مجلة الدراسات الافريقية



العــدد الثامن　　　١٩٧٩

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



العــدد الثامن ١٩٧٩

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

رئيس التحرير : **الأستاذ الدكتور محمد عبد الغنى سعودى**

سكرتير التحرير : **السيد الدكتور السعيد ابراهيم البدوى**

ترسل المقالات والأبحاث على العنوان التالى :

الأستاذ الدكتور محمد عبد الغنى سعودى

معهد البحوث والدراسات الافريقية

جامعة القاهرة

٣٣ شارع المساحة ــ الدقى ــ القاهرة ــ مصر

محتويات العدد الثامن ١٩٧٩

سكان جيبوتى

الدكتـــور / حسن حسين الخولى

THE POPULATION OF DJIBUTI

Djibuti lies in the western part of the Red Sea at the Isthmus of Bab Al-Mandab. It is surrounded from the North and West by Etheopian territories. Its south part is connected with Somalia extending eastwards around the gulf of Tagora.

Djibuti had been under French demination since the Scramble For Africa. Despite its small area amount to 21783 square kilometres, it represents a very complex problem by virtue of its situation as a very limited pocket of a very important strategic position, and also by virtue of its anthropological structure composed of Danakle tribes (Afar in the North and Al-IS in Somalia in the South). It is also the only outlet to Etheopia, and a naval centre on the Red Sea.

Of the most significant demographic features in Djibuti lies in the size and distribution of population. Estimates vary in defining the exact figure, as it ranges from 100,000 to 200000 inhabitants. These figures show that the rates of growth and movement of population make it undergo a fundamental stage in the demographic cycle, characterized by a rise in the birth rate, and a comparative decrease in mortality rate.

As regards the distribution and the density of population, these have affected by the site and position of this state, and the types of location and human settlements have been limited by the diverse enviromental conditions. Most prominent of these is the relief fact and the influence of the climate particularly rainwhich has its effect on the movement and distribution of the population. In addition its location as an outlet, to the neighbouring African states had its effects, also the process of civilization has been accelerated by the railway between Addis Ababa and Djibuti. Its location has its influence on the migrations from Asia to Africa and vice verse; and this accounts for the racial composition of its population.

Prospects for the future may open up before the New state more opportunities for development in the economic, social and cultural fields-opportunities which will relieve the inhabitants from various hardship, by the future development of the port of Djibuti whose population represents two thirds of the total population of the State. More attention is to be paid for agricultural pastoral and mineral, industrial, and water resources-besides more capacity for commercial activities, and also drawing up a population policy, and designing a new map in which the distribution and density of population are clearly defined.

تمهـــــيد :

لقد لعبت الجيوب الساحلية التى خلفها الاستعمار ، دورا خطيرا فى السياسة الافريقية المعاصرة ، وذلك لما لها من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية بعيدة الأثر . فالساحل كحقيقة لفلسفة المكان دائما فى خدمة الظهير ، وكانت هذه الجيوب الساحلية فى امتدادها وموقعها تمثل المنفذ لظهير قد يمتد فى دولة أو أكثر من دولة ، مما يخلق معه تناقصـــا اقتصاديا وصراعا سياسيا بين المشتركين من الدول لهذا الظهير ، كـل تريد أن تظفر بالجيب منفذا لها ، وحتى لا تضطر أن تحوم حوله بحثا عن منفذ جديد ، وهو أمر قد يؤدى فى الأغلب الأعم الى تعويق خطط التنمية بها أو تعطيل تجارتها ، وبالتالى زيادة تكلفة الصادرات والواردات بل قد يصل الامر فى بعض الدول شلل تجارى كامل ، وليس من حـل لهذه المعوقات الا بالاتفاقيات السلمية بين الدول صاحبة المصلحة المشتركة، لتزدهر الروابط وتتصل شرايين المواصلات فى ايقاع منتظم .

طوق الاستعمار القارة الافريقية بهـذه الجيوب وثبت أقدامه على أطرافها الغربية أولا ، ثم استشرى حتى بلغ شرقها ، وكانت جيبوتى على القرن الافريقى هى الجيب الوحيد الذى أفلح فى ارساء أقدامه على امتداد الساحل الشرقى الافريقى . ثم بدأ الاحسار الاستعمارى عن القـارة الافريقية تخليه عن الوحدات السياسية الكبيرة سواء كان ذلك طوعا أو كرها ، ولكنه تثبيت بالجيوب ، وكانت حجته فى ذلك أن هذه الدويلات ذات مساحات قزمية ومحصورة بين دولتين فى الغالب ، وهذا يجعلها مطلبا قوميا لكل منهما ، واستقلالها أو فكاكها عن حمايته سيخلق شدا وجذبا فى علاقات

الدول ذا تالمصالح المشتركة حول الجيب ، ويبرز بذلك لنفسه فرصة البقـــاء •

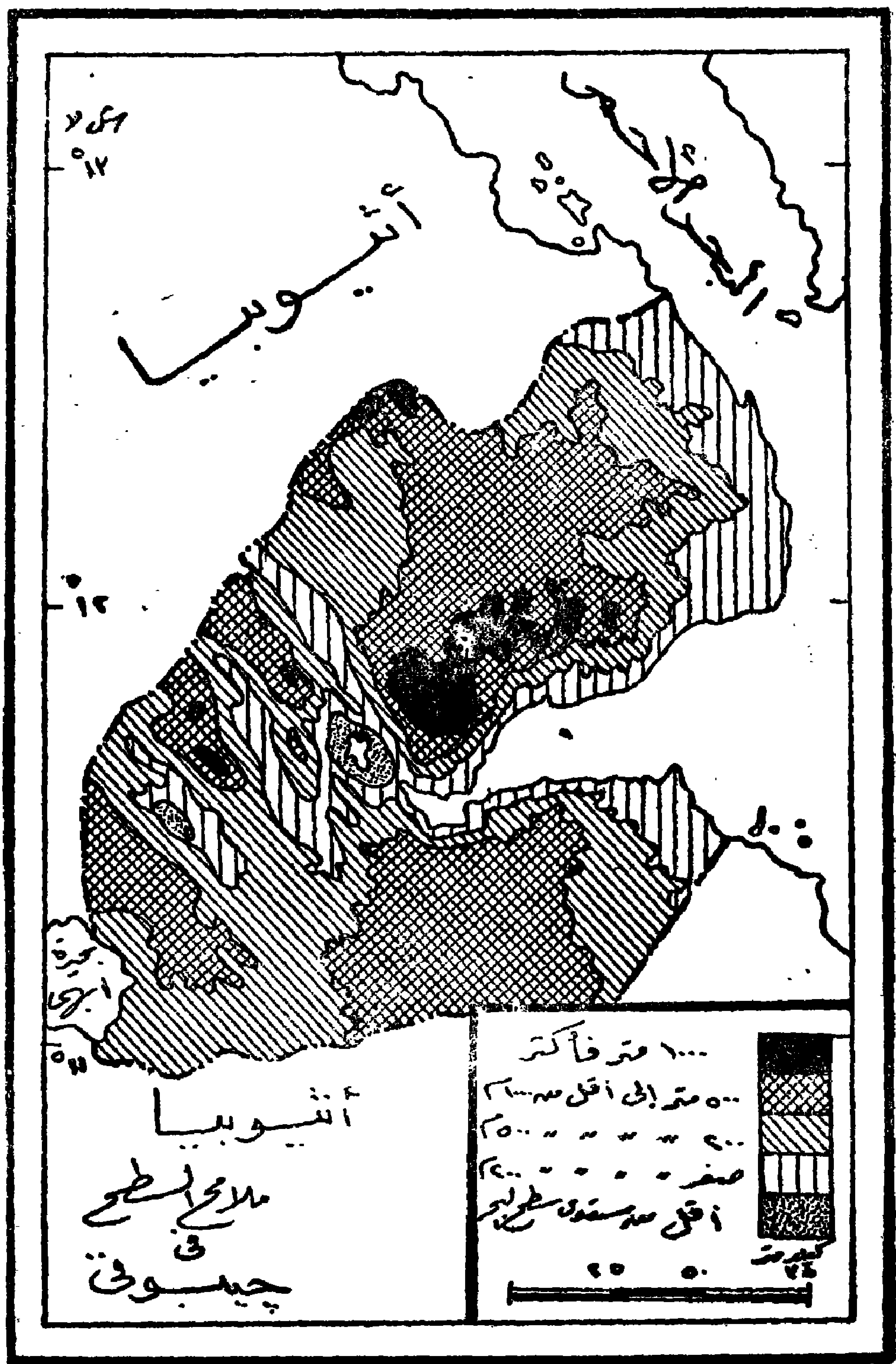
بالنسبة لجيبوتى والتى تقع على الجزء الغربى من ساحل البحر الاحمر عند بوغاز باب المندب والذى تطوقه الاراضى الاثيوبية من الشمال والغرب ، ويتصل جنوبه بأرض الصومال ، ويمتد حول خليج تاجوره شرقا شكل (١) فقد خضع بلا انقطاع للاحتلال الفرنسى منذ فترة التكالب الاستعمارى على القارة الافريقية • وهو على ضآلة مساحته التى تبلغ ٢١٧٨٣ كيلو مترا مربعـــا يمثل مشكلة معقدة ، ذلك لطبيعـــة التـــركيب الاثنولوجى للاقليم • فهو منصف اثنولوجى بالتقريب بين الدناقل (عفار) فى الشمال وقبائل عيسى الصومالية فى الجنوب ، يشكل هذان العنصران ما يربو على ٨٠٪ من العدد الكلى للسكان أما ما تبقى منهم فهم أما عرب أو هنود أو أوربيون •

لم تكن أرض جيبوتى أرضا صالحة للاستعمار الاســـتيطانى أو الاستغلال الاقتصادى سواء بالزراعة أو الثروة المعدنية شكل (٢) ، اذ اختار الفرنسيون هذه البقعة لموقعها الاستراتيجى فى المقال الأول (وقد كان الاستعمار الاستراتيجى من سماته المتطورة والمتغيرة تبعا لتطـــوره وتتغيره أبعاد الاستراتيجية العالمية) غير أن هذه المنطقـــة التى بدأت بالاستعمار الاستراتيجى ما لبثت أن كونت نواة تشرنقت حولها مصالح اقتصادية زادت من القيمة الاســـتعمارية للاقليم • غير أنـــه فى عصر الاستراتيجية الذرية والكوكبية ، والتى قبلت تماما فكرة الموقع الجغرافى وتأثير المحطات البحرية والمركزية البرية ، بدأت فرنسا فى تخفيف قبضتها على اقليم جيبوتى ، وسهلت مهام لجان تقصى الحقائق لزيارتها والبحث فى أوضاعها •

ان معاناة شعب الصومال باعتبـــاره أمة بالمعنى القومى معاناة لـــم تختبرها منطقة أخرى فى افريقيا فقد مزقها الاستعمار الفرنسى ، البريطانى والايطالى ، وتقاسموا فيما بينهم شعبها وأرضها • وكانت منطقة جيبوتى من المناطق التى تعانى من فرقة الوطن الأم ، وذلك لضعف مقومات التحرر



المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر
السودان
جمهورية اليمن الشمالية
جمهورية اليمن الديموقراطية
خليج عدن
جمهورية جيبوتي
أثيوبيا
جمهورية الصومال
كينيا
موقع
جمهورية جيبوتي
كيلومتر
٥ ١٠ ١٥ ٢٠



أثيوبيا
البحر الأحمر
٤٣°
١٢°
١١°
بحيرة أبي
أثيوبيا
ملامح السطح في جيبوتي
١٠٠٠ متر فأكثر
٥٠٠ متر إلى أقل من ١٠٠٠م
٢٠٠ " " " " ٥٠٠م
صفر " " " " ٢٠٠م
أقل من مستوى سطح البحر
كيلومتر
٠ ٢٥ ٥٠

فى هذا الاقليم الصغير ، والتى تخنقها قوة الضغط الأثيوبى وذلك لاعتماد أثيوبيا على جيبوتى فى تجارة الترانزيت ، وتسحقها عوامل الترغيب الذى تقدمه فرنسا بما توفره من رخاء اقتصادى نسبى وعـــوامل الترهيب المتمثل فى محاربة روح القومية ولا سيما بين قبائل العفار — وان كان الجزء الأكبر منهم فى أثيوبيا وآرتيريا هم أقرب حضاريا ودينيـــا الى الصوماليين منهم الى الأثيوبيين •

الملامح الديموغرافـــــية .

لعل أهم المشكلات فى موضوع السكان فى قارة آفريقيا بصورة عامة ، ودولة جيبوتى موضوع دراستنا بصفة خاصة هو القصور فى البنيان ، وتعدد مصادر تقديرات السكان ، وكذلك التضارب الشائك بين الاحصاءات يضاف الى ذلك طبيعة نشاط السكان الغالب آلا وهو الرعى مما يصعب معه الحصر أو العد • وعلى العموم فان أحد تقديرات الأمم المتحدة انه توضح أن عدد السكان فى جمهورية جيبوتى يربو على ٩٩٠٠٠ نسمة فى منتصف عام ١٩٧٢ بزيادة تبلغ حوالى ١٨٨٠٠ عن عام ١٩٦١ • أو بمعنى آخر : أن اجمالى الزيادة تقترب خلال هذه الفترة من ٢٤٪ خلال أحد عشر عاما • أى أن الزيادة السنوية تقرب من ٢٪ ، وفى تقدير آخـــر للسكان تبلغ معدلات الزيادة السنوية خلال الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٥ حوالى ١٪ ، ثم تنخفض الى ما يربو على ر ١٪ خلال الفترة التاليـــة ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ وما يقرب من ٢ر٢٪ خلال الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧٥ • وفى أحد التقديرات الأخرى المرتفعة فانه يبلغ عدد السكان حوالى ٢٠٠ ألف نسمة فى عام ١٩٧٣ ، وعلى النقيض نرى تقديرات يخفض اعداد السكان الى حوالى ٥٣ ألف نسمة فى منتصف عام ١٩٧٠ ، وتقدير آخر بما يقرب من ١٠٦ ألف نسمة ١٩٧٥ ، ومنها ثالث ١٣٤ ألف نسمة • ويمكن أن نتبين من هذه التقديرات الصعوبة البالغة التى تواجه تحديد عدد السكان الفعلى وأن كان يمكن القول بأن عدد السكان يقترب من ١٠٠ ألف نسمة كمتوسط عام لهذه التقديرات المتباينة ، وهو عدد يزيد أو يقل بما يتراوح ما بين ١٠٪ الى ٣٠٪ من مجموع السكان ، وذلك تبعا لحركة القبائل الرعويـــة التى لاتقف الحدود السياسية عقبة أمام اجتيازها أو التنقل على جوانبها

اذا ألقينا نظرة حول اسقاطات السكان فى جمهورية جيبوتى فـان تقدير أعداد السكان حتى عام ١٩٨٥ لا يوحى بأى زيادة كبيرة بل حالة من الثبات تقترب فى اعدادها من المتوسط السابق (١٠٠ ألف نسمة) وقد استندت هذه الاسقاطات على أساس أن معدل النمو السنوى لم يتعد خلال السنوات الخمس الأخيرة ١ر٪ سنويا كما توضح اسقاطات أخرى من السكان الى توقع زيادة سنوية تبلغ ٢٪ سنويا ، أو بمعنى آخـر أن عدد سكان جيبوتى سوف يصل الى ما يقرب من ١٣٠ ألف نسمة عام ١٩٨٥ •

وفى مجال المقارنة بين دولة جيبوتى ووحدات شرق أفريقيا السياسية من حيث حجم السكان ، سنجد أن دولتنا موضوع الدراسة تحتل الترتيب الخامس عشر بين الست عشرة وحدة والتى يكونها اقليم شرق أفريقيا ، حيث تتزيل « جزائر سيشل » المركز الأخير بأعداد من السكان تقترب من ٥٥ ألف نسمة فقط ، بينما يبلغ عدد سكان « رينون » ٤٦٦ ألف نسمة ، وجزائر « مورشيس » ٨٥٨ ألف نسمة ويمثل هذا الترتيب الثالث والرابع عشر •

أما بالنسبة لأصغر الوحدات السياسية سكانا فى أقاليم أفريقيـا الأخرى (الشمال والوسط والغرب والجنوب) سنجد « سانت هيلانة » فى غرب أفريقية ويبلغ عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة بينما يرتفع الى ٣٨٣ ألف نسمة فى غامبيا ، ويصل الى ٤٧٩ ألف نسمة فى غنيا بيساو • أما أقليم وسط أفريقيا فيتمثل فى « جزائر ساوتومى وبرنسيب ٧٥٧ ألف نسمة وفى جنوب أفريقيا سوازى لاند ٤٣٤ ألف نسمة » •

ولعل أهمية دراسة حجم السكان بالنسبة لأقليم جيبوتى خاصـة والجيوب بصورة عامة ، انما يرجع الى تساؤل حول الأحجام النسبية لهذه الدول الصغيرة والجيوب بالقياس الى جاراتها ، فليس المهم دراسة حجم الدولة بصورة متصلة، وكن لابد من الاشارة والمقارنة بين هذا الحجم من السكان وأعداد سكان الوحدات السياسية التى تشترك معها فى الحدود السياسية للتعرف على ما يسمى « بالانحدار الجيوبوليتكى » ، لأن ارتفاع

درجة هذا الانحدار لا يساعد على حسن الجوار أو مرونة التماسك غالبا، بل يفتح المجال أمام الأطماع والتكالب على ضم الوحدات صغيرة الحجم اليها ، وما يترتب على ذلك من مشكلات سياسية واقتصادية خاصة اذا كانت هناك أكثر من دولة تطالب بضمها اليها • فاذا كان تقدير عدد السكان فى أثيوبيا حوالى ٢٦ مليون نسمة فانما يعنى ذلك أنها تمثل ٢٦٠ ضعفا بالنسبة لعدد سكان جيبوتى، مما يسبب مزيدا من الحرج يضاف الى قوة المصالح الأثيوبية الاقتصادية وما تمثله من قوة ضغط على الاقليم •

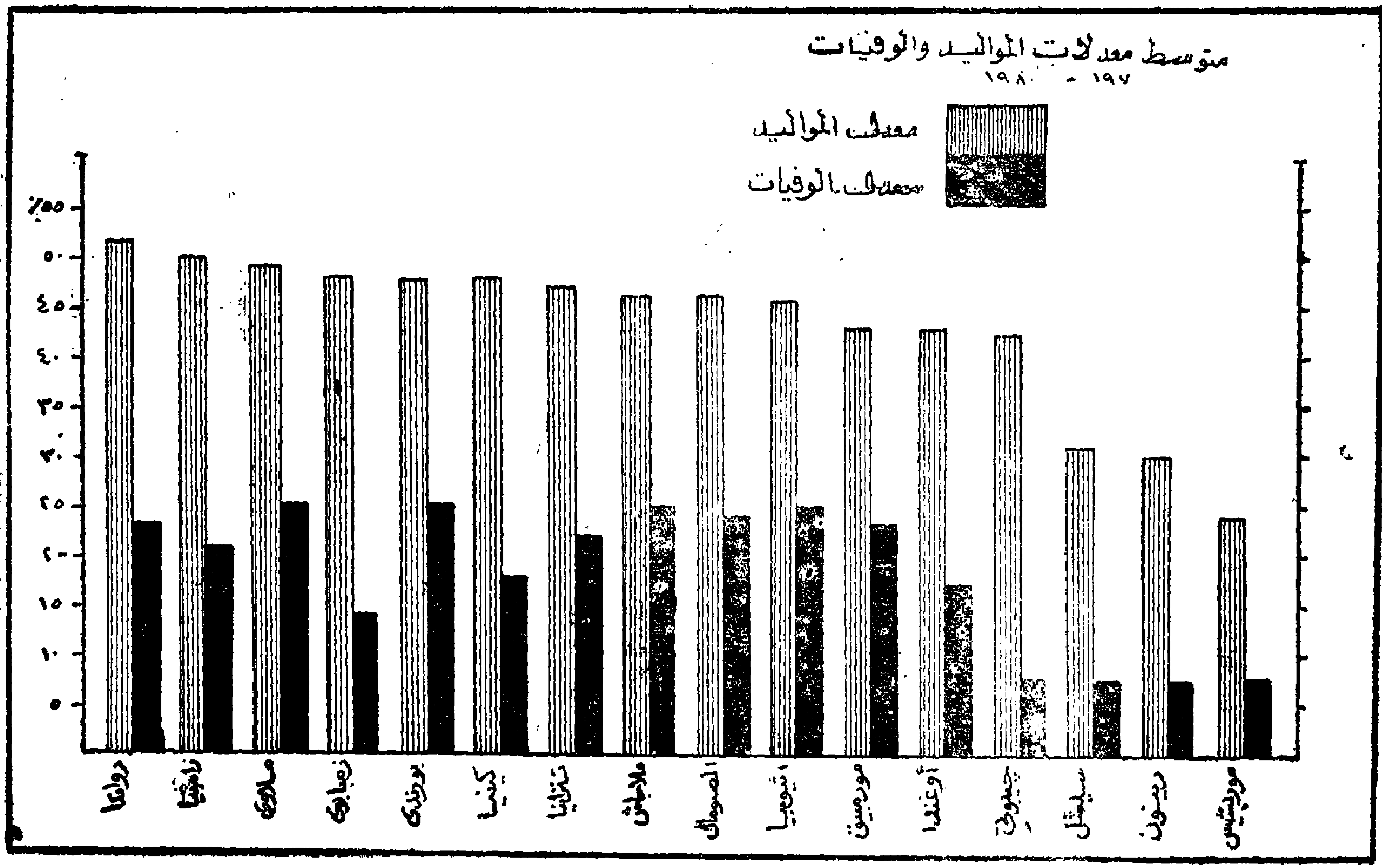
وفى مجال المناقشة والمقارنة بين معدل النمو السنوى العام فى جمهورية جيبوتى لاستكمال المقارنة مع وحدات شرق أفريقية فانها تقع حسب أكبر التقديرات ضمن أقل الوحدات السياسية نموا حيث يبلغ ٢٪ سنويا بينما يصل فى روديسيا ٣ر٣٪ وروانداً ٢ر٣٪ وفى أوغندا ٢ر٣٪ ، ولا يقل عنها الا أثيوبيا ٩ر١٪ •

مكونات النمــو السكانى :

المواليــــــد :

تختلف معدلات التكاثر حسب الوقت والمكان ، لذا فان معدل المواليد فى أى شعب يتعرض لتقلبات عدة على مر تاريخه • كما قد تجد فروقــا واسعة بين معدلات المواليد للمجموعات التى يتألف منها السكان حسب فئات السن والعرق والدين • وقد تظهر مناقشات وآراء أخرى تربط بين معدل المواليد فى المجتمع وظروف البيئة المحلية وخاصة العوامل الاقتصادية والاجتماعية ودرجة الثقافة والتعليم الخ •

يبلغ متوسط معدل المواليد الخام فى دولة جيبوتى خــلال العشر سنوات الأخيرة حوالى ٤٢ فى الألف ، ويمكن أن نتبين موقع الاقليم بالنسبة الى مستويات المواليد فى العالم ، حيث تندرج تحت فئة الأقاليم ذات معدلات المواليد المرتفعة جدا ، وذلك اذا رجعنا الى مستويات معدل المواليد الآتية :


متوسط معدلات المواليد والوفيات
١٩٧٠ - ١٩٨٠
معدلات المواليد
معدلات الوفيات
٪٥٥
٥٠
٤٥
٤٠
٣٥
٣٠
٢٥
٢٠
١٥
١٠
٥
رواندا
زامبيا
ملاوي
زمبابوي
بوروندي
كينيا
تنزانيا
ملاجاش
الصومال
اثيوبيا
موزمبيق
أوغندا
جيبوتي
سيشل
ريونيون
موريشيس

متوسط معدل المواليد	السمات
معدل المواليد ٤٠ فى الألف فأكثر	تمثل الأقاليم ذات المعدلات المرتفعة جدا •
معدل المواليد ٣٠ الى ٤٠ فى الألف	تمثل الأقاليم ذات المعدلات المرتفعة
معدل المواليد ٢٠ الى ٢٩ فى الألف	تمثل الأقاليم ذات المعدلات المتوسطة •
معدل المواليد أقل من ٢٠ فى الألف	تمثل الأقاليم ذات المعدلات المنخفضة •

وعلى هذا الأساس فانه يعتبر معدل المواليد فى الجمهورية من أعلى المعدلات بالنسبة للمستويات العالمية • فهو يبلغ ضعف مثيله فى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وأسبانيا ويزيد على ضعف مثيله فى اليابان وبريطانيا وايطاليا وفرنسا •

واذا قارنا متوسطات معدل المواليد فى الجمهورية بالنسبة لأفريقيا وأقاليمها المختلفة ، سنجد أنه يقل عن متوسط القارة والذى يبلغ ٤٧ فى الألف وهو نفس المتوسط العام لاقليم شرق أفريقيا ٤٧ فى الألف بينما تزيد جيبوتى من متوسط أقليم جنوب أفريقيا والذى يبلغ ٤١ فى الألف •

أما بالنسبة لدول شرق القارة الافريقية فاننا نلاحظ أن ترتيب الدولة هو الثالث عشر ، حيث يسبقها فى ارتفاع معدل المواليد رواندا (٨ر٥١ فى الألف) ، زامبيا (٨ر٤٩) فى الألف ، ملاوى (٤٩) ، زمبابوى (٤ر٤٨) بورندى (١ر٤٨) ، كينيا (٨ر٤٧) ، تنزانيا (٤٧) ، ملاجاش (٤٦) ، الصومال (٩ر٤٥) ، موزمبيق (٣ر٤٣) ، أوغندا (٢ر٤٣) • بينما يقل متوسط المواليد فى كل من سيشل الى ٤ر٣١ فى الألف ثم رينون (٩ر٢٩) وأخيرا موريشيس (٦ر٢٤) •

وفى دراستنا لاتجاه معدل المواليد فى جيبوتى فانه يتوقع ارتفاع مطرد فى المستقبل اذا لم تتكاتف جهود لتخطيط السياسة سكانية فى الاقليم . فقد ارتفع متوسط معدل المواليد من (٢٧ر٦) فى الألف خلال الفترة ١٩٥٥ الى ـ ١٩٥٩ ليصبح (٤٢) فى الألف خـلال العشر سـنوات الأخيرة .

ويمكن اجمالى العوامل التى أدت الى راتفاع المعدل فى المنطقة الى أثر العامل الثقافى ومدى أنتشار التعليم وارتفاع نسبة الأمية ، كذلك طبيعة حرفة السكان وهى الرعى أساسا ، وكذلك طول فترة المعاشرة الزوجية لانخفاض سن الزوجين عند الزواج ، وأيضا ارتفاع معدلات وفيات الأطفال الرضع ومحاولة تعويض الفاقد بزيادة الانجاب ، يضاف الى ذلك عدم وجود سياسة سكانية تخطط مستقبل القوة البشرية فى الدولة وذلك فى ضوء امكاناته الاقتصادية وأهمية موقعها الاستراتيجى ، بل اعتمد خلال فترة الاستعمار على الرخاء المصطنع مما دفع فى الترغيب لزيادة النسل .

الوفـــيات :

الوفيات هى ثانية العمليات الحيوية ، وهى فى نفس الوقت ثانيـة العوامل الرئيسية الثلاثة التى تؤثر فى اعداد السكان وتوزيعهم ، وأن كانت أقل فى الأهمية النسبية من الانجاب ، والذى له دوره الرئيسى فى تغيير حجم السكان ، ويصبح الأمر استثناء من القاعدة فى حالات الأوبئة والحروب والمجاعات .

ولا تقتصر أهمية دراسة الوفيات على الدور الذى تلعبه فى تغيير السكان ، فان أمد الحياة وطولها فى حد ذاته من أهم معايير نوعية السكان، وما يترتب عليه من فائدة فى تخطيط القوى البشرية ، كذلك يمكن من تحليل البيانات التفصيلية ـ اذا كانت تتسم بالدقة ـ الحصول عـلى معلومات ذات قيمة كبيرة تهتم بها الدولة . وتتمثل فى دراسة نوعية الأمراض التى تسبب الوفيات ، وأفضل الطرق لمكافحتها . ولذا أصبحت بيانات الوفيات أكثر الاحصاءات شيوعا لقياس الحياة الصحية للسكان ،

ويعتمد المجتمع اعتمادا كليا على مؤشرات الوفيات وجداول الحياة للحصول على معلومات عن فاعلية وكفاية العلوم الطبية والصحية فى تحسين المجتمع •

وفى ضوء دراستنا للاحصاءات الحيوية بوجه عام ، والوفيات والمواليد بصورة خاصة ، سنجد أن الأقاليم موضوع الدراسة ذو طابع رعوى لا يهتم بالتسجيل الحيوى بالنسبة لهذه الوقائع ، ومن هنا ينبثق الشك الكبير فى مقدار أهمية وجدوى هذه البيانات ، علاوة على أن التنقل والهجرة هى السمة السائدة لمجموعات القبائل التى تعيش فى الشمال والغرب والجنوب • أما التسجيل الدقيق نوعا فهو ما يتم بين الحالات الحضرية الأخرى • وعلى العموم فان متوسط معدل الوفيات خلال السنوات العشر الأخيرة يربو على (٧ر٦) فى الألف • ومن دراسة معدل الوفيات نجد أن الحد الأقصى لهذا المعدل لا يزيد عادة فى الوقت الحاضر عن (٢٥) فى الألف ، بينما الحد الأدنى لا يقل عن (١٠) فى الالف الا فى عدد محدود من دول العالم خاصة فى دول أوربا الغربية والشمالية •

وعلى هذا فان انخفاض معدل الوفيات الى هذا الحد فى جيبوتى انما يعنى قصورا فى التسجيل ، خاصة اذا قورن بمتوسط قارة أفريقيا الذى يبلغ حوالى (٢١) فى الألف ، بينما يصل فى اقليم شرق أفريقيا الى حوالى (٢٢) فى الألف ، وفى الغرب والوسط (٢٤) فى الألف ، وينخفض فى شمال وجنوب القارة الى (١٧) فى الألف • بينما يبلغ متوسط معدلات المواليد فى العالم الى ما يقرب من (١٤) فى الألف فقط •

وفى مجال المقارنة مع دول شرقى القارة الافريقية فان ثلاث وحدات هى جيبوتى (٧ر٦) فى الألف ، وجزائر موريشيس (٧ر٦) فى الألف ، ورينون (٧ر٣) فى الألف هى الأكثر انخفاضا فى وحدات شرقى القارة بل وافريقيا بأكملها بالنسبة لمعدلات الوفيات • بينما يصل هذا المعدل فى بورندى (٢٥ر٢) ، وأثيوبيا وملاجاش وملاوى (٢٥) فى الألف يليهم الصومال (٢٤) فى الألف ، ثم رواندا (٢٣ر٣) فى الألف وموزبيق (٢٢ر٩)

فى الألف يلى ذلك تنزانيا (٢٢) فى الألف وزامبيا (٢٠٫٧) فى الالف وينخفض فى كينيا الى (١٧٫٥) فى الألف ، وأوغندا (١٦٫٧) فى الألف ثم زمبابوى (١٤٫٤) فى الألف •

وقد يكون انخفاض المعدل فى جيبوتى انما يرجع كما أوضحنا الى قصور التسجيل أو اقتصاره على المناطق الحضرية ، وقد يرجع الى مزيد من التقدم الصحى والرعاية والخدمات فى مناطق جمع البيانات وهى على العموم بيانات تقديرية وغير تفصيلية خاصة بين بيانات وفيات الأطفال الرضع التى توضح بصورة أكثر المؤشر الحقيقى لاتجاه معدلات الوفيات، ومدى دقة تقديرات البيانات ، وتبيان صورة أمد الحياة بين السكان سواء النوعين معا أو للذكور والاناث كل على حدة •

هذا ويعكس البيان التالى الملامح الصحية فى الاقليم والذى يتمثل فى توضيح أسباب الوفيات لكل مائة ألف حالة وفاة :

نـــوع المرض	النسبة فى المائة
سل الجهاز التنفسى	٣٫٨
النزلات المعـــــوية	٢٩٫٦
أمراض القلب والجهاز الدموى	٢١٫ــــ
الامراض الصـــــدرية	١٢٫٣

ولما كانت نسبة الوفيات الناجمة عن أمراض القلب والجهاز الدموى، وهى أمراض سهلة وواضحة التشخيص مرتفعة النسبة (٢١٫٠٪) ، فان الأمر يتطلب زيادة العناية بالخدمات الصحية والتغذية ، وهى أمور ذات علاقة قوية بالدخل الفردى والقومى والمتصل اتصالا مباشرا بالظروف الاقتصادية العامة ، والتى تحتاج بالضرورة الى التنمية الشمولية المخططة على آجال قصيرة وطويلة فى ضوء امكانات الدولة ومواردها المتاحة المباشرة وغير المباشرة •

الزيـــادة الطبيعــــية :

النمو كما أوضحنا من قبل هو التغير المستمر فى حجم السكان ، سواء كان بالزيادة أو النقصان ، وفى نفس الوقت هو حصيلة ثلاثة عوامل تعرف بالعوامل المباشرة التى تؤثر فى حجم السكان وهى المواليد والوفيــات والهجرة • وكما أسلفنا فان دراسة النمو ومكوناته ، قد جذب انتباهــا عريضا ، ويرجع ذلك الى أن مخططى الدول يعتبرونه مرتبطا بالتقدم القومى ، والحكم على مدى نجاح مشروعات التنمية بمعناها الواسع • هناك العديد من النظريات الطموحة التى تعالج هذا الموضوع خاصة فيما يتصل بالتطور الاجتماعى والاقتصادى •

وقد أصبح الاتجاه العالمى هو التزايد المستمر والمطرد فى عــدد السكان ، ولكن بنسب تتفاوت بين دولة وأخرى حسب مدى تطورها ، ومرورها فى أى مرحلة من مراحل الدورة الديموغرافية • وفى دراسة معدل الزيادة الطبيعية فى دولة جيبوتى نجد أن متوسط هذا المعدل يصل الى حوالى (٣٫٤٤٪) ، وهو فى ذلك يفوق المتوســط العــام فى قــارة أفريقيا والذى يبلغ (٢٫٦٪) ، بل يفوق كذلك متوسطات الزيادة الطبيعية بين أقاليم القارة ، حيث يبلغ أعلاه فى شمال أفريقيا (٣٪) يلى ذلك شرقى أفريقيا وغربها (٢٫٥٪) ثم جنوب أفريقيا (٢٫٤٪) بينما يصل الى أدناه فى وسط أفريقيا (٢٫١٪) •

ومن الواضح لتحليل هذا الارتفاع الكبير فى الزيادة الطبيعية انما نرجع ذلك الى ارتفاع معدل المواليد والانخفاض النسبى بين معدل الوفيات فى المناطق التى تم التسجيل فيها • وهى مرحلة ديموغرافية لها دلالتها حيث تبين بجلاء مؤشرات توصيف السكان فى الحاضر والمستقبل، وأنه لا بد من تخطيط متكامل أمام الأفواج الجدد من السكان تتطلب معهم المزيد من الخدمات التعليمية والصحية وتوفر لهم المسكن والغذاء وخاصة أنه اقليم رعوى فى الأصل • ذو موقع استراتيجى هام يمكن أن تلعب الصناعة مع النشاط التجارى دورا هاما فى حل المشكلة السكانية المرتقبة ، على أن يتم مواكبا لذلك رسم سياسة سكانية لتنظيم الأسرة وخفض معدلات المواليد فى المستقبل •

واذا قورن معدل الزيادة الطبيعية فى الاقليم بالنسبة لباقى وحدات شرق أفريقيا فيكاد يتربع على القمة مع زمبابوى والتى تصل فيها الزيادة الطبيعية (٣ر٤٪) • ولعبت الهجرة الداخلية الانتقائية الى الحواضر واتاحة فرص العمل والاستقرار فى رفع مستوى لمعيشة نسبيا وبالتالى فرص الزواج والخدمات خاصة الصحية فىمناطق الوفود الجديدة على المساهمة فى الزيادة الطبيعية •

توزيــع الســكان وكثافتــهم :

اختلفت التقديرات كما أوضحت السطور السابقة فى جيبوتى حول عدد السكان ، فمنهم من رفع التقدير الى (٢٠٠ ألف) نسمة ومنهم من خفض العدد الى حوالى (٥٣ ألف) نسمة ، وفى تقدير ثالث أوضــح أنه يتراوح ما بين (٦٨) الى — (٨٣) ألف نسمة • حتى تقديرات الأمم المتحدة اختلفت فى تحديد عدد السكان فيما بين (٨٥) الى (٩٣) ألف نسمة • ويرجع هذا التباين الى صعوبة الاحصاء ونظرة الرعاه الى التعداد الذى أجرى فى مارس ١٩٦٧ ، وكذلك الى طبيعة القبائل بين الانتقال والترحال ثم تأثير الهجرة فى الاقليم • ولذا فان المتوسط العام لتقدير السكان كما رجح البعض هو حوالى (١٠٠ ألف) نسمة على أن يكون تقديرا يأخذ فى الاعتبار الزيادة والنقصان بنسبة تتراوح ما بين (١٠) الى ٣٠٪ للأسباب السابقة •

وعلى العموم فقد تأثر توزيع السكان فى المنطقة بأثر الموقع الجغرافى وعوامل البيئة المختلفة ، وكذا تأثــير الموقع بالاضــافة الى العــوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الأخرى • فاذا كانت مساحة الاقليم هذه المساحة أراض صحراوية جافة • أو بمعنى آخر فان معظم السكان يعيشون فى حوالى (١١٪) فقط من جملة المساحة • وعلى هذا الأساس فان متوسط الكثافة الحسابية العامة تبلغ حوالى (٥ر٤) نسمة فى الكيلو متر المربع • وحتى المساحة التى تستغل للرعى فلا تمثل الا بالنســبة (١٠٪) من جملة المساحة مع أن الرعى هى حرفة معظم القبائل فى الاقليم • وعلى هذا النحو فان نسبة الأراضى التى تتسم باستقرار دائم

للسكان فيها سواء بحرفة الزراعة أو المستوطنات الحصرية فلا تتعدى (١٪) من جملة مساحة الدولة •

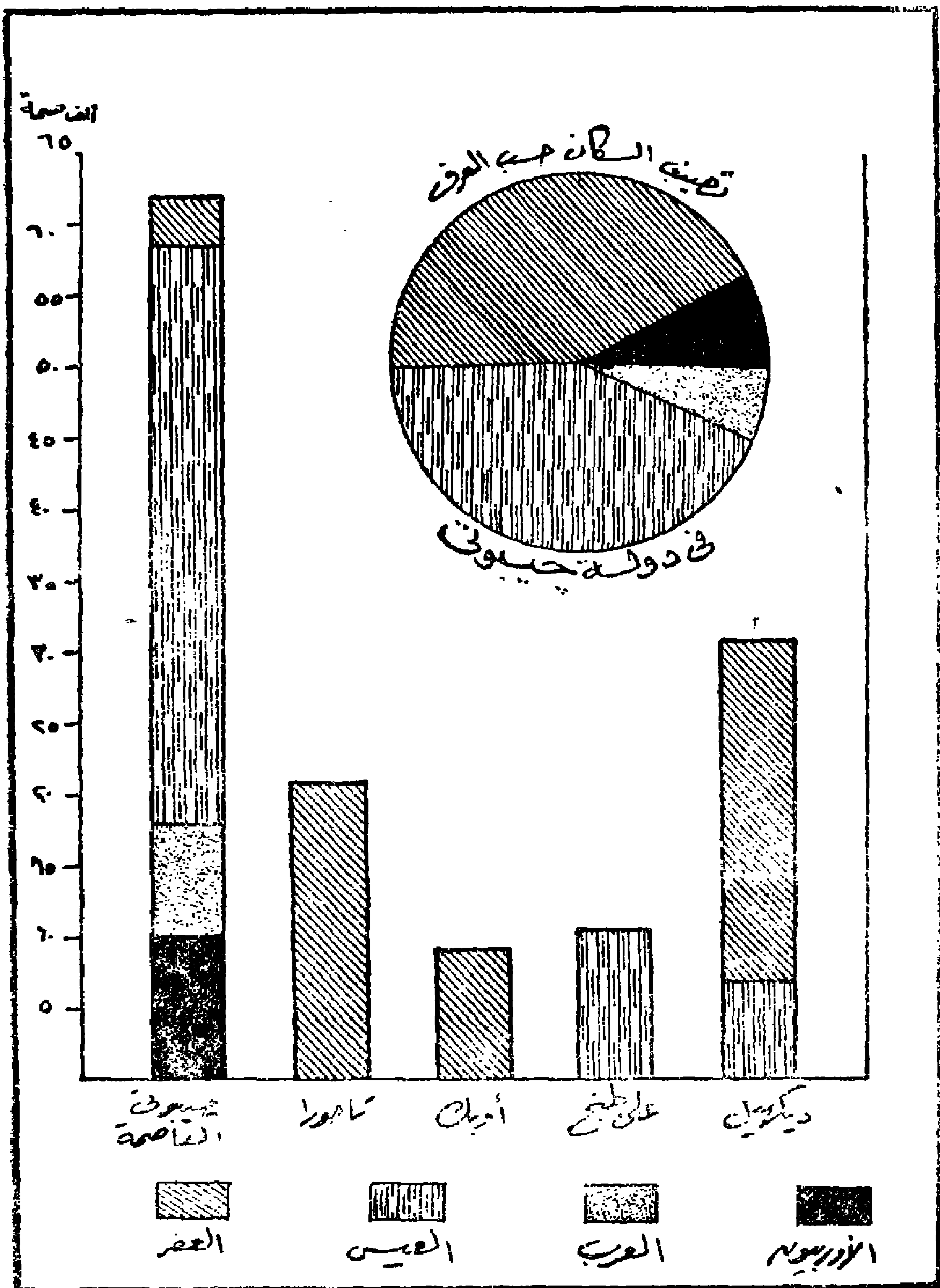
أما بالنسبة الى توزيع السكان حسب الحضر والريف ، فقد لعب موقع جيبوتى الاستراتيجي دوره الكبير في جذب السكان الى ميناء جيبوتى ، حيث يستحوذ على ما يقرب من ثلثى عدد سكان الدولة ويقدر سكان جيبوتى عاصمة الجمهورية بما يزيد على (٦٢ ألف) نسمة ، حيث تعتبر منطقة الجذب الرئيسية سواء لسكان الصومال أو أثيوبيا بل يتعدى ذلك وفود أعداد من سكان آسيا وأوربا أيضا •

وسوف يشهد المستقبل الارتفاع المستمر فى نسبة سكان الحضر حسب ما ترشدنا اليه السقاطات السكان ، ويشجع على ذلك ما يوجه حاليا الى الميناء من عناية وتجديد ومشروعات لانشاء العديد من الصناعات ، وكذلك تدعيم نشاطه التجارى باعتباره مركزا لتموين السفن العابـــرة والمارة من البحر الأحمر واليه مكملة فى ذلك ما تقدمه عدن على الضفة الأخرى للبحر الأحمر باب المندب •

اما المحلات والمراكز الاخرى التى يتوزع فيها العدد الباقى مـــن سكان الدولة فتتمثل فى الحواضر مثل : آبوك ، تاجورا ، ديكهيل •• الخ ثم مجموعة الواحات الداخلية حيث حرفة الزراعة وتوافر الماء الدائم ، أو مراكز استخراج بعض المعادن فى الشمال الشرقى والوسط ، وكذلك على ساحل خليج تاجورا ، حيث يشتغل البعض بالصيد واستخـــراج الملح ، ثم العاملين فى خدمة خطوط السكك الحديدية •

تقديرات توزيع السكان على مناطق الاقليم شكل (٤)

	جيبوتى	تاجورا	أوبك	على طبح	ديكهيل	الجملة
الأوزبيون وما فى حكمهم	١٠١٠٠	٢٠	٣٠	٧٥	٣٠	١٠٢٥٥
العرب	٨٠٠٠	٢٠	٩٤	٣٥	٧٠	٨٢١٩
العيسى	٤٠٤٠٠	١٦٠	٥٩	١٠٣٨٠	٧٢٥٠	٥٨٢٤٩
العفر	٣٥٠٠	٢٠٨٠٠	٨٨٦٧	٢١٠	٢٣٨٨٠	٥٧٥٧
الجملة	٦٢٠٠٠	٢١٠٠٠	٩٠٥٩	١٠٧٠٠	٣١٢٣٠	١٣٣٩٨٠



النسبة
٦٥
٦٠
٥٥
٥٠
٤٥
٤٠
٣٥
٣٠
٢٥
٢٠
١٥
١٠
٥
تصنيف السكان حسب العرق
في دولة جيبوتي
جيبوتي العاصمة
تاجورا
أوبك
علي صبيح
العفر
العيسى
العرب
الأوربيون

وسنلاحظ ان معظم المراكز الحضرية ، والتجمعات السكانية ، كانت فى انتشارها وتوزيعها تكاد تتركز حول خط السكة الحديد الممتد فيما بين جيبوتى وأديس أبابا ، حيث أثر امتداد هذا الشريان التجارى الهام فى توزيع السكان وارتفاع كثافتهم الى حد كبير وجعل باقى مساحة الدولة تكاد تخلو من التجمعات والمستوطنات الكبيرة ، بل ساعد هذا الخط فى جذب المزيد من المهاجرين للعمل فى النشاط التجارى أو الانتقال الى هذه المدن وعلى الأخص الى جيبوتى العاصمة ، كما ساعد وجود الخط الحديدى على زيادة التباين بين المجموعتين الرئيسيتين لقبائل الدولة ، حيث اشتغل القسم الأكبر من قبائل العيسى فى جيبوتى وتجمعوا فى المدن الكبرى الأخرى حوله ، بينما استمر معظم قبائل العفار يعملون فى حرفتهم القديمة الرعى وعلى امتداد طول الساحل .

اعادة التوزيع السكانى :

المقصود باعادة التوزيع السكانى هو الهجرة بشقيها سواء « الهجرة الداخلية » أو « الهجرة الخارجية » ، واذا كانت الهجرة وفودا أو نزوحا عاملا مؤثرا فى توزيع ونمو السكان ، فانها تؤثر بطريق مباشر فى خصاص سكان الاقليم سواء كان ذلك من الناحية الديموغرافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية . حيث يعتبر التغير فى التصنيف العمرى والنوعى أحيانا أحد نتائج النزوح من الاقليم أو الوفود اليه . كما أن « صافى الهجرة » يعنى حالة انتقال السكان من مكان الى آخر ، أى يمثل اعادة توزيع السكان فى المنطقة أو بين اقليم آخر . ويترتب على ذلك نتائج أما ايجابية مثل توافر القوة العاملة وكذا زيادة فرص الحصول على النخبة المدربة الماهرة منها . وأما أن يترتب على الهجرة نتائج سلبية تتمثل فى زيادة « نسبة الاعالة » فى أقاليم الطرد السكانى .وكذا خلق الكثير من المشكلات للوافدين الجدد مثل مشكلات الاسكان وصعوبة توافر الخدمات الصحية والتعليمية والمواصلات الخ .. اذ لم يحسن تخطيط الهجرة .

وقد واجه الباحث عدم وجود البيانات المباشرة التى يمكن الحصول منها على تقدير حجم وتيارات الهجرة فى جيبوتى ، الا أنه يمكن بطرق

غير مباشرة القاء بعض الضوء حول هذا الموضوع • فمن واقع دراستنا لمتوسط معدلات النمو السنوية وجدنا أن هذا المتوسط يبلغ حوالى(٢./٪) سنويا ، واذا قورن بمتوسط معدلات الزيادة الطبيعية فى الدولة والتى تقترب من (٣٫٤٤./٪) سنويا لوجدنا أن الفرق يبلغ حوالى (١٫٤٤./٪) سنويا ، وهى نسبة الفائدة بالهجرة من الاقليم • وهذا يفسره نشاط السكان وحرفتهم خاصة فى الغرب والجنوب والشمال ، حيث اقتضت مناشطهم الرعوية عبور الحدود وراء المراعى تبعا لدورة سقوط الامطار • الا أن هذا الانتقال ليس اختياريا فى كل الأحوال فقد تعرض ما يقـــرب من (٤٠٠٠) الى (٨٠٠٠) نسمة الى هجرة اجبارية سياسية كانت وجهتها الصومال الأم ابان فترة الاستفتاء فى مارس ١٩٦٧ وذلك للتأثير على المطالبين بضم جيبوتى الى الصومال ، يضاف الى ذلك المنازعات القبلية وما قد يترتب عليها من حروب عند ارتحال القبائل وتنافسهم على المرعى والماء فتتعرض قبائل تحت ضعفها الى الهجرة وهذا لا يعنى أن هناك تيارات مرتدة تمثلت فى حركة القوة البشرية لأبناء العمومة من السكان على حواف الحدود كما أن مجموعة كبيرة من الصـــوماليين وفدوا الى جيبوتى بحثا عن فرص العمل •

كما أننا فى عجلتنا لمناقشة الهجرة لا ننسى أن الاقليم يعتبر من المنافذ الرئيسية عبر التاريخ للهجرات البشرية خاصة من آسيا وعلى وجه الأخص بين سكان شبه الجزيرة العربية وكذا الهند مرورا بها أمـــا للاستقرار أو الارتحال الى باقى شرق أفريقيا •وقد ساعد على ذلك كما هو معروف قرب ساحلى البحر الأحمر المواجه للاقليم وكذا أهمية موقع الاقليم الاستراتيجى •

ويبلغ متوسط عدد العرب المقيمين فى الجمهورية حوالى (٨٢١٩) نسمة ومعظمهم من سكان اليمن ، كما يربو عدد الأوروبين على (١٠٢٥٥) نسمة جلبهم من فرنسا وتتمثل أغلبيتهم من بقايا الاستعمار الفرنسى • وقد ساعد وضع جيبوتى كميناء ومدينة حرة منذ عام (١٩٤٩) على أن تكون منطقة جذب سكانى يفدون اليها من المناطق الداخلية ســـواء من

الواحات أو من مجموعات القبائل الرعوية ، وكذلك انتقال تيارات من الهجرة سواء من أثيوبيا وأرتيريا أو الصومال للبحث عن فرص للعمل ورفع مستوى المعيشة • والخلاصة أن هناك تحركات داخلية للسكان خاصة بين القبائل الرعوية • كما تتداخل هذه التيارات عبر الحدود السياسية ، كذلك هجرة خارجية خاصة الى جيبوتى العاصمة •

تصنيف السكان :

ان سكان أى أقليم ، وهم مجموع رجاله ونسائه وأطفاله وشبابه وشيخوخه ، ليسوا فى حالة ثابتة بل هم فى تغير مستمر ، فمع مرور الأيام ينمو الأطفال وينتقلون الى مرحلة الصبا ، كما ينمو الصبية ويصبحون شبابا وينتقل الشباب الى مرحلة الكهولة ثم الشيخوخة • وهم فى ذلك يعيشون فى ظروف صحية مختلفة ، تصيبهم الأمراض منهم من يعالج ويشفى ومنهم من يوافيه أجله • كما أنهم يتزاوجون ويتناسلون فيتقدم الى المجتمع أطفال جدد ، كما أنه قد يفد الى المجتمع مهاجرون • وقد يرتحل منهم بعض شبابه ورجاله ، وهذا يؤثر بالتالى فى نمو السكان • كما يتأثر توزيع السكان وكثافتهم بهذا التغيير المستمر فى السكان فى علاقة مع عوامل البيئة الجغرافية •

وفى دراسة تكوين السكان ما يتيح الفرصة لأحكام وصفهم ، وبالتالى السماح بالمقارنة المفصلة بين أنواعهم ، كذلك ابراز الامكانات البشرية للمجتمع • كما أن بيانات التصنيف السكانى التى عبر عنها باسم « نصف متغيرات » هى بيانات جوهرية فى تحليل العمليات الديموغرافية مثل الميلاد والوفاة والهجرة والنمو • كما أن هذه المتغيرات مسئولة عن التغير والتباين الاجتماعى بين سكان الاقليم •

ونظرا لندرة البيانات فاننا نوجز تحليلنا عن تصنيف السكان فىدولة جيبوتى من خلال السطور التاية :

تصنيف السكان حسب السن والنوع :

بالنسبة لتوزيع السكان حسب السن فقد بلغ نسبة السكان من أهل الاقليم فى « الفئة العمرية العريضة » « أقل من سنة الى ١٤ عاما » ما يقرب

من (٣٦٫٦٪) من جملة عدد السكان ، وهى ما تعرف بفئة صغار السن وتمثل قاعدة الهرم السكانى ، ويرجع ارتفاع النسبة الى زيادة معدل المواليد بصورة واضحة والانخفاض الملحوظ فى معدل الوفيات ٠ وهذا يؤدى بالتالى الى ارتفاع « نسبة الاعالة»، وكذا توقع المزيد من المشكلات الخاصة بمواجهة أعداد هذه الفئات عندما تدخل فى سن النشاط وما تطلبه من خدمات فى السكن والعمل والمواصلات الخ ٠ بينما تقل نسبة هذه الفئة « صفر الى ١٤ سنة » بين السكان غير الوطنيين حيث تبلغ (٢٤٫٧٪) والسبب واضح ويرجع الى « انتقائية الهجرة » ٠ أما بالنسبة لفئة السن العريضة « ١٥ الى ٣٩ سنة » وهى فئة العمل والانتاج فى المجتمع فيبلغ نصيبها (٥٤٫٤٪) ، بينما اذا قورنت بالنسبة لغير الافريقيين سنجدها ترتفع الى (٧٤٫٢٪) من جملة عدد السكان الأجانب ويرجع ذلك الى أن الهجرة قد فرضت نمط المهاجر وهو عادة من الذكور وفى سن الشباب أما عن الفئة الثالثة « وهى ٦٠ سنة فأكثر » فتبلغ حوالى (٩٪) بين سكان جيبوتى وما يقرب من (١٫١٪) من جملة عدد غير الافريقيين ٠

وفى دراسة السكان حسب النوع فاننا نلاحظ أن نسبة النوع فى دولة جيبوتى تبلغ فى المتوسط العام « ٩٦ » أى أن هناك (٩٦) ذكرا لكل (١٠٠) أنثى ، وهو اختلال قل أن نشاهده بين كثير من الدول الافريقية ٠ ولعل من الواضح أن أثر الحرفة فى نشاط السكان قد ترك بصماته حيث يرحل الذكور وتترك الاناث فى المناطق ذات الموارد شبه الدائمة للماء ، كما قد ترجع هذه النسبة الى عدم الدقة فى التسجيل أو نظرة القبائل الى التعداد والحضر وخاصة بالنسبة للاناث ٠ وقد كان من الطبيعى أن نجد نسبة النوع أكثر ارتفاعا بسبب الهجرة خاصة فى جيبوتى العاصمة ٠

التصنيف حسب العرق والدين :

تتقاسم قبائل العيسى والعفار معظم أعداد السكان فى جيبوتى وتتقارب نسبة أعدادهم فهى حوالى (٤٦٫٦٪) نسبة السكان من قبائل العيسى بينما يمثل العفار (٣٨٫٦٪) ومع ذلك فان وطن العيسى

محدود المساحة نحو ربع الاقليم حيث يتركزون فى القسم الجنوبى بالقرب من جنوب الصومال وأثيوبيا حيث أغنى المناطق وأكبر المدن وينتشر العفار فى الباقى وبين العفار والعيسى تشابه كبير باعتبارهما من الجماعات الحامية « الحاميين الشرقيين » وهذا التشابه يظهر فى المظاهر الثقافية العامة خاصة اللغة كذلك العادات والتقاليد الاجتماعية وأيضا فى الصفات التكوينية • وقد زاد هذا التمازج باعتبار أن النطاق الفاصل بين الجماعتين ليس حاسما لطبيعة مزاولة كل منهما للحركة والانتقال وممارسة الرعي والبحث عن المراعى وموارد الماء •

النشاط الاقتصادى . شكل (٥)

أوضحنا أن نسبة من السكان خاصة بين القبائل الداخلية تعمل بالرعى حيث تشغل مساحة مراعى حوالى (١٠٪) من جملة مساحة الدولة وان كانت هذه الحرفة تتعرض لذبذبات تتمثل فى تفاوت كميات الأمطار والنزاع المستمر على الموارد المائية الدائمة وشبه الدائمة وكذا الهجرة أيضا ، ومع هذا فان هذه الحرفة مع تعرضها لهزات عنيفة تساهم الى حد ما فى الاقتصاد القومى سواء لسد حاجة الأسواق المحلية أو تصدير بعض المنتجات الى الخارج • وتتكون الثروة الحيوانية من أنواع مختلفة حسب ظروف المرعى وذلك على النحو الآتى :

الماشية	الأغنام	الماعز	الجمال
١٠٥٠٠ رأس	١٥٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٢٥٠٠

من الأنشطة الأخرى الزراعة فى الواحات الداخلية ، والانتاج محدود ومعظمه من الحبوب والفاكهة والنخيل ، وهناك بعض مشروعات الرى على الساحل فى الشمال والشمال الشرقى لاستزراعها أو تشجيرها

ومع امتداد السواحل التى تطل عليها جيبوتى فان حرفة الصيد محدودة ، وتكاد تقتصر ممارسة السكان لهذا النشاط حول خليج تاجورة

أما عن التعدين فان أهم المعادن التى تستخرج الجبس والميكا

المجاري المائية
واحات
مصائد الأسماك
ميناء ومصفاة بترول
صناعة الملح
طرق برية

البحر الأحمر
اثيوبيا
جيبوتي
خور عنقر
تاجورة
دخيل
كيلومتر
٧٥ ٥٠ ٢٥

والنحاس ، ولكن أبرز أنواع الانتاج الاقتصادى هو الملح حيث يصدر معظمه الى أثيوبيا •

أما عن توطن الصناعة ومدى انتشارها فيمكن أن نقول أنها محدودة وأبرزها التعليب والحفظ واستخراج الملح ، وهناك تخطيط بانشاء معامل للتكرير •

ولذا فان الاقليم يعتمد فى كيانه على تجارة الترانزيت وقد أثـــر موقعه فى ماضيه وحاضره كما أنه سيعطى ملامح مستقبلية ، باعتبار أن جيبوتى بمركزها فى خليج عدن وعلى با ب المندب له أكثر من دلالة ، فقد كان متوسط عدد السفن التى تتزود منها بالوقود حـــوالى (١٠٠٠) سفينة ، وقد ازدادت الأهمية التجارية بعد انشاء خط سكة حديد أديس أبابا ـ جيبوتى حتى أصبحت الأخيرة المنفذ الرئيسى للتجارة الأثيوبية حيث يتم تصريف (٦٠٪) من منتجات ومحاصيل أثيوبيا مثل البـــن والجلود والزيوت •• الخ • وساعد تطبيق قوانين المدينة الحرة على جيبوتى فى جذب المهارات والخبرات اليها •

ويمكن فى النهاية أن نوجز الملامح الديموغرافية فى جيبوتى بتوضيح أنه بالنسبة لحجم السكان وتوزيعه فان التقديرات قد اختلفت فى تحديد العدد الفعلى ، كما أن النمو وازيادة تتفاوت بين السكان • أما عـــن مكونات النمو فقد أوضحت الأرقام والمعدلات على أن الاقليم يمـــر بمرحلة فى الدورة الديموغرافية تتسم بارتفاع معـــدل المواليد جـــدا وانخفاض نسبى فى معدلات الوفيات •

أما عن التوزيع والكثافة فقد أثر الى حد كبير فى وضع الاقليـــم وتأثر بموقفه ، وتحددت أنماط الحالات والمستوطنات البشرية تبعـــا للظروف البيئية المختلفة ، ولعل أبرزها عامل التضاريس وتأثر عناصر المناخ وأخصها عامل الأمطار ، الذى حدد اتجاهات الترحل واعـــادة التوزيع السكانى باعتبار أن القبائل التى اتكون معظم السكن والى عهد قريب كانت تعتمد أساسا على الرعى كنشاط رئيسى • كما أننا لا نتناسى

أثر موقع الاقليم كمنفذ تجارى خاصة لصادرات أثيوبيا ، مما طبع امتداد خط سكة حديد أديس أبابا جيبوتى بخاصية جذب الحالات الحضرية على امتداده أو قريبا منه ، كما أثر فى خريطة توزيع وكثافة السكان فى جيبوتى وكذلك الى زيادة نسبية فى التباعد الحضارى بين عناصر السكان « قبائل العيسى والعفار » • كما أوضحت السطور السابقة أن موقع مدينة جيبوتى ومواجهتها بمسافة قريبة للساحل العربى ، جعل الاقليم معبرا بشريا منذ أمد بعيد ، كما أثرت استراتيجية المكان على ماضى المنطقة حيث تكالبت عليها قوى السيطرة وتأخر استقلالها ، وتركت بصماتها على المناشط البشرية ، ورسخت أعداد من المهاجرين من أوربا خاصة فرنسا وبعض العناصر العربية والآسوية فيها • كما ساعد رواجها على جذب أعداد من الهجرات من الدول المجاورة لها •

ولعل أبرز الآمال فى المستقبل هو المحافظة على استقلالها واستقرارها فى ظل ظروف كونها « جيب » محدود المساحة ، وفى قلب القرن الافريقى التى تلتهب فيه المنازعات وتتسم بعدم الاستقرار ، وعلى الجانب الآخر محاولة رسم سياسة سكانية من خلال خطة شمولية ترفع من كاهل السكان الأعباء التى تواجهها ، وكذا محاولة فتح المجالات أمام ميناء جيبوتى والاهتمام بالمناشط الزراعية والرعوية والتعدينية والصناعية وزيادة القدرات للتصريف التجارى ، وأخيرا رسم خريطة جديدة لتوزيع السكان وكثافتهم •

المراجـــــع

١ — ابراهيم رزقانة / الجغرافيا السياسة / القاهرة ١٩٦٦ . ص. ص. ٣٣٧ — ٣٤١

٢ — ابراهيم رزقانة / الجغرافيا الاجتماعية لافريقيا / مترجم / القاهرة ١٩٧٠ — ص. ص. ١٥ — ١٦ .

٣ — السعيد البدوى / لمحة جغرافية عن دولة جيبوتى العربية المسلحة / — الرياض ١٩٧٨ . ص. ص. ٢٧١ — ٢٩٤ .

٤ — جمال حمدان / الخريطة السياسية لافريقيا الجديدة / مجلة نهضة افريقيا / القاهرة . سبتمبر ١٩٥٣ . ص. ص. ١٣ — ٢١ .

٥ — جورج باركلى / أساليب تحليل البيانات السكانية / مترجم / القاهرة ١٩٦٨ . ص. ٣٠٥ .

٦ — دولت صادق ، محمد غلاب ، جمال الدناصورى / الجغرافيا السياسية / القاهرة ١٩٧٥ . ص. ص. ٦٤٣ — ٦٤٤ .

٧ — صلاح الشامى / النقل فى أفريقيا وأثر الاستعمـــار فى تخطيطـــه وتشغيله / القاهرة ١٩٦١ . ص. ص. ١٥١ — ١٥٨ .

٨ — فيليب رفله / الجغرافيا السياسية لافريقيا / القاهرة ١٩٦٥ . ص. ٣٠٢ .

٩ — محمد السيد غلاب / البيئة والمجتمع / القاهرة ١٩٧٠ . ص. ص. ٢٢٤ .

١٠ — محمد صفى الدين ابو العز / أفريقيا بين الدول الاوربية / القاهرة ١٩٥٩ . ص ١٤٨ .

١١ — محمد رياض ، كوثـــر عبـــد الرسول / افريقيا : دراسة لمقومات القارة / بيروت ١٩٧٣ . ص ٥٢ .

١٢ — محمد عبد الغنى سعودى / الصومال : عضو جديد للجامعـــــة العربية / **مجلة معهد البحوث والدراسات العربية** — العدد الخامس / القاهرة يونية ١٩٧٤ . ص. ٥٨ .

١٣ — محمد عبد المنعم يونس / الصومال وطنا وشعبا / القاهرة ١٩٦٢ . ص. ٢١٠ .

١٤ — يونان لبيب ، محمد العوينى ، فاروق شويقة ، حسن الخولى / مشكلة جيبوتى / معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة ١٩٧٦ .

— "Atlas of Africa", Jeune Afrique, Paris, 1973. — ١٤
— Clark, J.I., "Population Geography ", London, 1970. — ١٦
— Goon, C.S., " Races of Europe, London, 1970. — ١٧
— The Europa Year book, World Survey, London, Various Years. — ١٨
— Gowgill, D.G. " The Theory of Population Growth Cycles", in; Population Theory and Policy; Selected Reading, (ed.) By, Spengler & Duncan, U.S.A., 1969, — ١٩
— Hance, W.A., " The Geography of Modern Africa", N.Y., 1964. — ٢٠
— Hance, W.A., " Population, Migration and Urbanization in Africa", New York, 1970. — ٢١
— Hawely, A.T., " Population Cpmposition ", in; The Study of Population", (ed.) by Hauser & Duncan, Chicago, 1959. — ٢٢
— Jarret, H.R., " Africa", London, 1974. — ٢٣
— Lewis, I.M., " Peoples of Africa "; London International African Institute, 1955. — ٢٤
— Lewis, I., " Africa South Sahara", London 1975. — ٢٥
— Seligman, G.G., " Races of Africa ", London, 1967. — ٢٦
— Stamp, L.D. & Morgan, W.J., " Africa "; A Study in Tropical Development, " N.Y., 1972. — ٢٧
— Thompson, V. & Adloff, R., " Djibouti and The Horn Africa, Stanford Univt. press, 1967. — ٢٨
— U.N., Demographic Yearbook, N.Y., Various Years, — ٢٩
— N.N., Statistical Yearbook, N.Y. Various Years. — ٣٠

الحضارة الاسلامية العربية فى غرب افريقيا

سماتهـا وعوامـل انتشـارها

للدكتور / شوقى عطا الله الجمل استـاذ ورئيس قسم التـاريخ
بمعهد البحوث والدراسات الافريقية .

ARABIC ISLAMIC CIVILIZATION IN WEST AFRICA

ITS CHARACTERISTICS AND THE ELEMENTS OF ITS SPREAD

BY

PROF. Dr. S. A. ELGAMAL.

Professor of History at the Institute.

Arabic Islamic civilization spread in West Africa. This civilisation has contributed effectively in the economic, political and social development of the region.

Among the inhabitants of this region, there were many scholars and Fakihs who left a great religious and scientific heritage. There were also cultural centres that could attract many scholars of the Islamic world.

Due to the spread of Islam in these parts, Arabic spread as the language of commercial dealings, writing and speech for it is the language of the Koran.

The Arabic Islamic movement in West Africa was characterized by the appearance of an elegant class of reformers who fought the bad customs and traditions that were practised in the daily life, besides the purification of Islam from all the traditions that contradict with the doctrines of the right religion. Among the factors that contributed in the spread of Islam in West Africa we have these points :

1. Commerce which has played an important part in the spreading of Islam and its Arabic culture in West Africa. As Arnold referred that Islam and commerce are intermingled.

2. Pilgrimage was and is still one of the most important elements that aided moslems to mingle and exchange intellectual and cultural views.

3. Sofi Tariquahs that spread there as Quadriah and Tiganiah. The followers of such tariquahs have played an important role in the spreading of Islam and Arabic culture in this region.

4. Scholars and religious men who came to West Africa from various islamic nations to teach in the schools and mosques of Timbucto, Jenne and Mali. These men have played a vital role in the spreading of Islam in these parts.

5. The Reform movements that appeared in these parts, as we have previously mentioned, have helped people to the right path of the religion.

6. The psychological factors : The Africans in West Africa have found in Islam-with its simplicity and tolerence and its adaptability to every age-what can solve many of their problems.

7. **The role of Maghrib :**

The Maghrib countries, owing to its site, played an important role in the spreading of Islam and Arabic cuture in West Africa, where scholars and Fakihs went to West Africa, besides the role of the Veiled and Almoravid in the spreading of Islam and its culture in West Africa.

Islam and the Arabic culture could create a special forum that affected the customs, arts, culture and the economic and social system. This paper tries to deal with these points.

شغلت فى الفترة الاخيرة ببعض القراءات عن التراث الثقافى الذى تركه لنا علماء غرب افريقيا ــ وقد خــرجت من هذه القراءات بعــدة انطباعات منها :

١ ــ ان هذه المنطقة الشاسعة من القارة الافريقية تأثرت بالحضارة الاسلامية العربية التى وجدت طريقها الى غرب افريقيا فى وقت مبكر ، منذ أن مد العرب نفوذهم الى شمال القارة فأخذت حضــارتهم تنتشر وتتسرب الى المناطق الشاسعة الواقعة الى الجنوب • وكان للمغرب دور فعال وريادى فى نشر الاسلام والحضارة العربية فى هذه البلاد •

٢ ــ ساهمت هذه الحضارة العربية الاسلامية مساهمة فعالة فى التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى للمنطقة • فالاسلام لم يكن دينا فحسب بل ثقافة وتنظيما اجتماعيا واقتصاديا ــ ولم يهدف لهــدم المجتمع القديم بــكل مقوماته بل تطويعه للدين الجــديد وما يأمر به ، وما ينهى عنه •

٣ ــ برز فى هذه المنطقة الافريقية علماء وفقهاء تركوا لنا ثروة علمية وفقهية فى مختلف مجالات العلوم الاسلامية والانسانية ، ما زال أغلبها حبيس دور الوثائق ، غير ما نقل من هــذه الثروة للمكتبات الاوربية ، وما فقد منها • ولعل القرنين الرابع ، والخامس الهجريين يمثلان القمة فى الثقافة العربية فى هذه البلاد ، فقد برز فيهما علماء من البربر ساهموا بحظ وافر فى النهضة العلمية بها •

٤ ــ هذه الثروة العلمية جزء من تراثنا الاسلامى العربى يجدر بنا أن نبذل جهودا مضاعفة لالقاء الاضواء عليها وابرازها •

٥ ــ قامت فى غرب افريقيا مراكز حضارية استقطبت الكثرين من علماء العالم الاسلامى ، وطلاب العلم والمعرفة ، ومازال دورها الحضارى الحقيقى لم يكشف النقاب عنه كاملا •

٦ ــ انتشار الاسلام فى هذه الجهات ، كان معناه ايضا انتشــار اللغة العربية كلغة للحديث والمعاملات التجارية والكتابة ــ خاصة بعد أن اجمع اغلب ائمة المسلمين بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم ، وعدم جواز قراءته بغير العربية ، ووجوب الصلاة بها ، فكان لابد لمن يريد معرفة اسرار الدين ان يتعلم اللغة العربية ويتقنها •

٧ ــ ارتبط ازدهار الثقافة الاسلامية العربية فى غــرب افريقيا بانتشار الطرق الصوفية ــ خاصة التيجانية والقادرية ، وما انبثق منهما من طرق فرعية اخرى • وقد لعبت هذه الطرق واتباعها دورا كبيرا فى نشر الثقافة الاسلامية فى هذه الجهات ، وفى مقاومة الاستعمار الاوربى

الذى اندفع الى المنطقة طامعا فى ثرواتها ومتسلحا بما امدته به النهضة الاوربية من اسلحة مكنته من اختراق المناطق المجهولة •

٨ ـ تميزت الحركة الاسلامية العربية فى غرب افريقيا أيضا بظهور صفة واعية من المصلحين الذين سعوا الى محاربة البدع والعادات السيئة التى شاعت فى حياة الناس وتطهير الاسلام مما تسرب اليه من هذه البدع المخالفة لتعاليم الدين الصحيح ، للملاءمة بين الشريعة الاســلامية وما تقضى به ، وبين الافكار الحديثة ـ هذا بالاضافة الى اعلان الجهاد للعمل على نشر الاسلام على نطاق اوسع ، والدفاع عنه فى وجه التيارات الوثنية والاستعمارية ، ولم يقف نشاط هذه الحركة على غرب افريقيا ، بل امتدت تطلعاتها الى العالم الاســلامى كله للدعوة للسير وفق تعاليم الدين السليمة •

وفى هذا البحث محاولة لالقاء بعض الاضواء على الظــروف التى انتشرت فيها الحضارة الاسلامية العربية فى افريقيا وعوامل انتشارها والآثار التى ترتبت على انتشار الاسلام واللغة العربية فى هذه البــلاد كما اننى أرجو أن اقدم فى بحث آخر بعض الشخصيات من علماء غرب افريقيا وانتاجها الثقافى والعلمى •

العوامل التى ساهمت فى انتشار الاسلام والثقافة العربية فى غــرب افريقــــــيا :

١ ـ دور المغــــرب :

كما تركت مصر وثقافتها الاسلامية اثرها الواضح فى نشر الاســلام والثقافة العربية فى سودان وادى النيل وشرق افريقيه ـ كذلك كــان اثر بلاد المغرب واضحا فى تاريخ الاسلام فى غرب افريقيا ـ هذا التاريخ الذى لا يمكن فهمه الا فى ضوء تاريخ المغرب واحداثه (١) •

---

(١) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية (القاهرة ١٩٦٣) ص ٢١٠ •

فمنذ اللحظة التى دخل فيها الاسلام بلاد المغرب بدأ يتسرب الى غرب افريقيا ، والمعروف ان عقبة بن نافع الفهرى أوغل بقواته حتى ساحل المحيط الاطلنطى ، وسار موسى بن نصير فى نفس الطريق فانفتح الباب للاســلام صوب الغرب وجنوبا الى قلب القارة التى اطلق عليها الاوربيون فى وقت من الاوقات تعبير (القاره السوداء) ، فكان هذا أول اتصال بين الاسلام القادم من المغرب وبين اقاليم غرب افريقيا ، وتتابعت بعد ذلك هجرات البربر الذين اندفعوا فى موجات متعاقبة نحو الجنوب متأثرين بالأحداث السياسية التى تعرضت لها بلاد المغرب . ولعل من ابرز القبائل التى لعبت دورا حاسما فى نشر الاسلام فى هذه الجهات قبائل (الملثمين) و (الطوارق) بالذات فقد كان لها نشاط واضح فى منطقة السنغال ، والنيجر والمناطق المحيطية(٢) .

ولم تكن الاحداث السياسية فى المغرب هى العامل الوحيد فى هجرة قبائل البربر صوب الجنوب ، فهناك عوامل اخرى بينها مثلا هجــرات القبائل العربية خاصة (بنى سليم) و (الهلاليين) وتقدمها تجاه الصحراء بحثا عن مناطق تشبه الى حد ما فى ظروفها وانماط الحياة فيها تلك التى تعودت عليها فى بيئتها الأولى فى الجــزيرة العربية ــ فدفعت هــذه القبائل العربية امامها قبائل بربرية وزنجية ، وأدى هذا ــ كما يذكر توماس ارنولد ــ الى تغيير اساسى فى توزيع السكان ، وتجمعهــم فى مناطق معينة صالحة للاقامة فى الواحات أو على ضفاف الانهار . وساعد ذلك بدوره على نشر الاسلام فى المناطق التى نزحت اليها هذه القبائل المتراجعــة (٣) .

وفيما يتعلق بدور قبائل الملثمين فى غرب افريقيا لابد من الاشارة الى الدور الذى قام به (عبد الله بن ياسين) من رباطه فى مصب السنغال .

(٢) Dubois : F. 1 : Islam Noir P. 28.
وكذلك
Palmer : Islam in Western Sudan and on the west Coast of Africa P.9

(٣) توماس ، أرنولد : الدعوه الى الاسلام (مترجــم ــ القاهــرة ١٩٥٧) ص ٣٩١ وما بعدها .

فقد استطاع ان يوحد قبائل الملثمين ، وأن يبعث فيهم روح الجهـاد فى سبيل نشر الاسلام،فقامت دولةالمرابطين الذين استطاعوا أن يكونوا جبهة أسلامية قوية تمتد من غرب افريقية الى المغرب ثم الاندلس •

وقد ترك المرابطون أثارا عميقة فى ثقافة وحضارة غرب افريقيـة ، ومن أعظم الآثار التى تمت فى عهدهم تأسيس مدينة تنبكتو(٤) التى أصبحت من أعظم الحواضر الثقافية الاسـلامية فى غـرب أفريقيـا • ويتحدث السعدى عن الظروف التى أدت الى نشأة هذه المدينة وعمرانها حتى غدت حاضرة للثقافة العربية فى غرب افريقيا ، فيقول « نشـأت تنبكت فى أواخر القرن الخامس من الهجرة — وأخذ النـاس يسكنون فيها ، وتزداد بقدرة الله تعالى وارادته فى العمارة ، ويأتيها الناس من كل جهة ومكان حتى سارت سوقا للتجارة • وسـكن فيها الأخيـار من العلماء والصالحين وذوى الأموال من كل قبيلة ، ومن كل بلاد — من أهل مصر ، ودجل ، وفزن ، وغدامس ، وتوات ، ودرعة ، وتافللت ، وفاس ، وسوس ، الى غير ذلك ••• انتقل الجميع الى تنبكت قليلا قليلا ••• مع جميع قبائل الصنهاجة بأجناسها فكانت عمارة تنبكت•• فأول الحال كانت مساكن الناس من زريبات الأشواك ••• ثم تحولوا الى بناء الحوائط ، أسوارا قصارا جدا بحيث من يقف فى خارجها يرى ما فى داخلها ، ثم بنوا مسجد الجامع على حسب الامكان ، ثم مسجد سـنكرى كذلك ••

(٤) اختلفت المراجع فى كتابتها فبعضها يكتبها (طومبوكتو) والبعض (تنبكت) ، والسعدى الذى يؤيد الرأى الأخير يعطى تعليلا لهذه الصيغة فيذكر أن تنبكت بلغتهم معناها (العجوز) أى المدينـة القديمة أو العريقـة

انظر : السعدى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدى : تاريخ السودان (طبعة هوداس — ١٨٩٨) ص ٢٠ •

لكن لم يكتمل بناء المسجد الا فى أواسط القرن العاشر فى مدة اسكيا داوود ابن الأمير اسكيا الحاج محمد » (٥) .

والحقيقة أن أوضاع المغرب كانت تهيؤه للزعامة السياسية والثقافية والدينية فى هذه المنطقة من افريقيا . فهو فى ملتقى عدة تيارات حضارية، فهو يتقبل حضارة المشرق الاسلامى كما يتلقى مؤثرات البحر المتوسط ، والمؤثرات الأوربية بالاضافة الى المؤثرات الافريقية وتبلورت كلها فى النهضة التى بلغت ذروتها فى عهد أمير المؤمنين يعقوب المنصــور الذى قرب اليه العلماء والأدباء ونشطت فى عهده حركة التأليف ، وأحاط نفسه بمجموعة من الفلاسفة كان يأنس اليهم مثل الطبيب الفيلسوف (أبو بكر بن زهر) والفيلسوف (أبو بكر الطفيل) والفقيه (أبو الوليد ابن رشد الحفيد) (أبو العباس أحمد الجرارى)(٦) .

وحين أصبحت مراكش عاصمة لامبراطورية شاسعة تضم الأندلس، والمغرب الأوسط والأقصى وافريقية — أصبح المغرب بحق قلب الحياة الاسلامية الخافق والأمين على التراث العربى الاسلامى بعد ســقوط (غرناطة) ، ودافع الأشراف السعديون وخلفاؤهم الأشراف العلويون عن هذا التراث ، وجنبوا بلادهم الخطر التركى الذى داهم العــالم العربى كله مشرقه ومغربه ... وهكذا ظل المغرب مركز الثقافة الاسلامية وحصنها المنيع بغرب أفريقيا .

وبانتشار الاسلام فى غرب أفريقيا قامت — منذ القرن الثانى عشر

---

(٥) السعدى : المرجع السابق ص ٢٠ — ٢٢ .
— وكذلك
Dubois, F.: Toumboctou la Mysterieuse (Paris 1899) p. 152.
ملاحظة : (ديبوا) رحالة فرنسى زار تنبكتو فى القرن التاسع عشر ، وكانت قد فقدت الكثير من عظمتها فسجل ذلك باسلوب مؤثر ، وذكر ان مكتباتها الشهيرة أصبحت خاوية ، ومدارسها تضاءلت — لكنها تعيش على ذكريات مجدها وتراثها التليد .

(٦) المراكشى ، عبد الواحد : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب (القاهرة ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م) ص ١١٠ .

فصاعدا ـــ ممالك اسلامية كبرى لها مكانتها وحضارتها فى غانا ، ومالى وسنغى ، وبرنو ، وكانم(٧) .

وحرص حكام هذه الممالك على توثيق صلاتهم بالمغـــرب باعتبـــاره الدولة الاسلامية الأب ، وحين زار الرحالة العربى ابن بطوطة هذه الجهات أشار الى ذلك ، والى أن شعوب هذه البلاد على المذهب المالكى الذى أخذوه مع ما أخذوا من تعاليم الاسلام ومبادئه من المغرب (٨) .

وقد تأثر حكام هذه البلاد السودانية (٩) بما شاهدوه أو سمعوا عنه فى البلاد الاسلامية عامة ، والمغرب بصفة خاصة ، وحـــاولوا أن ينقلوا

---

(٧) ملاحظة : اتسعت مملكة غانا واصبحت امبراطوريـــة عظيمة فى القـــرن الحادى عشر ، وقد اشار الى ذلك ابن خلدون وغيره من المؤرخين العـــــــرب .

كما بلغت مملكة مالى درجة كبيرة من القوة والاتساع فى عهد ملكها منسى موسى (١٣٠٧ ـــ ١٣٧٢) . وبرزت مملكة سنغى فى القرن الرابع عشر بالـــــــذات .

كذلك مملكة برنو الواقعة شرقى مالى ، وكانت قاعدتها مدينة (كاكا) .

أما مملكة كانم فقد قامت فى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد وكانت عاصمتها مدينة جنى ـــ ومن يريد التوسع فى دراسة هذه الممالك الاسلامية ـــ انظـــــر :

عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا (١٩٦٥) ص ١٤ وما بعدهـــا .

(٨) ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ١٣٧٧ م) :

تحفة النظار فى غرائب الابصار وعجائب الاسفار (بولاق ١٩٣٤) ص ٣٧٦ وما بعدهـــا .

ملاحظة : يشير ابن خلدون الى أن القرن الخامس الهجرى يمثـــل انتصار المذهب المالكى وسيادته بالمغرب حيث طبع الثقافة العربية والاسلامية فى هذه البلاد بطابعه الخاص ، وصحب انتشار المالكية ـــ كما يقول ـــ توطن الثقافة العربية نهائيا فى غرب المغرب وظهور جيل من مثقفى البربر وفقهائهم وعلمائـــــــهم .

ـــ انظر ابن خلدون جـ ٦ ، ص ١٥٩ .

ـــ كذلك عن مذهب المالكية وانتشاره انظر :

الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى : معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان (٤ أجزاء ـــ تونس ١٣٢٠ هـ) جـ ٢ ص ٨ .

(٩) أطلق تعبير (بلاد السودان) على منطقة فى غرب أفريقيا ـــ تكاد تكون محدودة تحديدا واضحا فمن الغرب والجنوب يحـــدها المحيط الاطلنطى بينما حدودها الشرقية ليست واضحة بهذا الشكل ، وفى الشمال تذوب هذه الحدود فى الصحراء .

Trimingham, J. Spencer : Islam in West Africa (Oxford 1964) P. 1

لبلادهم هذه الأنماط الحضارية ، وظهر أثر ذلك واضحا فى مساجدهم وقصورهم وبلاطهم ، وفى الكثير من مظاهر الحياة فى هذه البلاد • وتعطينا المراجع التاريخية أمثلة عديدة لذلك ــ منها مثلا ما تردد عن زيارة الوفد المالى الذى زار المغرب فى عام ١٣٤١م فى عصر السلطان أبى الحسن المرينى (١٣٣٠ ــ ١٣٥١) بهدف تقوية العلاقات بين المغرب ومالى ، وعندما انتهت زيارة الوفد للمغرب ــ جمع السلطان مهرة الصناع والفقهاء وأمرهم بالتوجه الى مالى وكان على رأس تلك البعثة المعمارى (أبو أسحق الطويجن) الذى أشرف على بناء مسجد وقصر للملك المالى، وكان الفن المعمارى المغربى يتميز فى ذلك الوقت بالقبة المربعة المزخرفة بالزليج والجص ، وقد أسهمت هذه البعثة المغربية فى الحركة العمرانية والعلمية فى هذه البلاد ، وأجيزت على نشاطها هذا باثنى عشر ألف مثقال من الذهب(١٠) •

وحين وصلت أنباء انتصار السلطان أبى الحسن المرينى فى (تلمسان)ــ أرسل سلطان مالى وفدا للتهنئة • وقد حرص حكام مالى على هذه العلاقات الودية ، وعلى ارسال البعثات الثقافية الى (فاس) على وجه الخصوص لتتشرب من لبان الثقافة الاسلامية فيها •

وكان أعضاء هذه البعوث يحتلون مراكز قيادية هامة حين يعودون الى بلادهم فمنهم الأئمة ، والقضاة والمعلمون فى المدارس ، والمساجد فى (تنبكتو)، و (غاؤ) و(جنه)، و (نيانى) التى عدت مدنا ثقافية هامة •

---

(١٠) تحدث عن هذه الزيارة بالتفصيل العديد من المراجع مثل :

المقرى ، أبو العباس احمد بن محمد : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب (بولاق ١٨٦٢) ــ وقد انتهى منه مؤلفه سنة ١٦٢٩ م •

Niam, Djibril : L'Empire de Mali (Conakry 1948)

ومؤلف هذا الكتاب غينى ويعتبر من الافارقة القلائل الذين كتبوا كتابة علمية دقيقة عن تاريخ هذه البلاد وله كتب أخر سنشير اليها فيما بعد منها :

— Ghana (Conakry 1959)

— Histore de l'Afrique Occidentale (Conakry 1960)

وهذا الكتاب الأخير الفه بالاشتراك مع زميل له هو كانال **(Canale)**

هذا وسنلمس فيما بعد أثر المغرب فى مختلف نواحى الحياة فى بلدان غرب افريقيا — عند تعرضنا لدراسة سمات الحضارة العربية الاسلامية فى هذه البلاد •

وقد أشار المؤرخ السعدى السودانى — فى أكثر من موضع فى كتابه الى أن حضارة غرب افريقية — حضارة مغربية قلبا وقالبا (١١) •

٢ — التجـــــارة :

لعبت التجارة دورا هاما فى نشر الاسلام والثقافة العربية فى غرب افريقيا حتى أن (ارنولد) يشير الى أن التجارة والاســلام فى غـرب افريقيا مرتبطان كل الارتباط (١٢) •

فرغم العقبات الطبيعية التى كانت تعوق الوصول الى قلب القارة — كانت هناك مراكز تجارية بمثابة (الموانى) يتطلع اليها المسافرون عبر الصحراء حيث يجدون نبض الحياة فيستريحون ويستبدلون الجمـال الضعيفة المنهكة بغيرها ليستطيعوا مواصلة المرحـلة ، وفيها يحـدث التبادل التجارى ، وكانت بحيرة تشاد نفسها حلقة هامة من هذه السلسلة من طرق الاتصال •

فالنيـجر ينحنى انحناءة عظيمة صوب الشمال ليقــرب من شـــقة الصحراء ، وهذه الصحراء لا تتصل بساحل المحيط الأطلسى اتصـــالا مباشرا — ولكنها تترك سهلا ساحليا يجعل الاتصـــال عبره ممـكنا بين الجنوب والشمال ، وعبر هذا الطريق اتصل المغــرب — منــذ أقــدم العصور — بالسهل الخصيب الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، وكانت التجارة من أهم دوافع الاتصال بين الاقليمين • وكان للمغاربة دور هام

---

(١١) السعدى — مرجع سابق ص ٢١ ، ٥١ ، ٥٧ .

ملاحظة : نعلق اهمية خاصة على ما كتبه السعدى ، وكذا محمود كعت، الملقب بأبى الثنـــاء محمود بن عمـــر كاتى الصنهاجى التمبكتى (١٤٦٣ — ١٥٤٨) قاضى تمبكتو ، وصاحب كتاب « تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش ، وأكابر الناس » — نشره هوداس ، وديلافوس (باريس ١٩١٣). وذلك لأن الكاتبين سودانيان وقريبان من الاحداث التى عالجاها — وكثيرون من المؤرخين اخذوا عنهما .

(١٢) أرنولد — مرجع سابق ص ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ .

فى هذه التجارة ، وكان ملح الطعام — الذى يستخرج من مناجمه الواقعة جنوب المغرب الأقصى — من السلع الهامة التى يحتاج اليها الزنوج وغيرهم من شعوب المنطقة الواقعة جنوب الصحراء ، هذا بالاضافة الى النحاس ، والمنسوجات ، والتمر ، والعقود والحلى — وكانوا على استعداد لمبادلة هذه السلع بالذهب والمحاصيل الافريقية الرعوية أو الاستوائية التى وجدت طريقها الى البحر المتوسط وأوربا على يد التجار المغاربة على الخصوص • ويكفى أن نذكر أن هذه البلاد انفردت لفترة طويلة بثروتها الذهبية ، وقد كانت المصدر الرئيسى لذهب العالم الى أن اكتشفت مناجم أمريكا الجنوبية والهند وجنوب افريقيا (١٣) •

وانتشر الاسلام انتشارا سريعا وهادئا « دون اللجوء للعنف » عبر هذه الطرق التجارية الممتدة من بلاد المغرب عبر الصحراء الكبرى أو على طول المحيط الأطلسى الى بلاد السنغال ، وأعالى النيجر ، ومنطقة بحيرة تشاد • وكان لتجار الفولانى والحوصا ، والتكرور المسلمين أيضا دور كبير فى هذا المجال •

فقد كان التجار المسلمون فى تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنوج ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصى وأمانتهم ونظافتهم • وكثيرا ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول كثيرين من هؤلاء الزنوج فى الاسلام • وعدد غير قليل من هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والعلم ، فاذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن أو للعبادة وقاموا بمزاولة النشاط التعليمى والدعوة لاتباع مبادىء الاسلام بجانب نشاطهم التجارى ولذا تركز الاسلام على الخصوص فى المبدأ فى المراكز التجارية الهامة ، والمدن ثم تسرب منها الى المناطق البعيدة — وهكذا دخل الاسلام الى كثير من بلدان غرب افريقيا فى ركاب التجار وكنتيجة لنشاطهم — وانتشر بعد ذلك أكثر بانتشار نفوذ المسلمين فقد أصبح الاسلام — كما يقول ترمنجهام — « بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار

---

(١٣) Fage : An Introduction to the History of West Africa (Cambridge 1955) P.P. 9-10.

بنجاح مع الامارات الاسلامية فى افريقيا الغربية » [١٤] .

وكان الوثنيون يعيشون فى وئام مع المسلمين ، حتى أن المسلمين كانوا يقيمون مراكز تجارية داخل مناطق التجمعات الوثنية دون خوف أو رهبة ، وساعد قيام ممالك اسلامية قوية فى غرب افريقيا على استتباب الأمن مما أدى لازدهار التجارة التى أصبحت تلعب دورا هاما ورئيسيا فى اقتصاد هذه الممالك . ففى مملكة مالى مثلا — يقدر نيان (Nian) عدد الجمال التى كانت تستخدم فى عمليات التبادل التجارى فى عام ١٣٥٠ بما لا يقل عن ١٢ ألف جمل ، وعند حديثه عن اقتصاد مالى يذكر أن تجارة القوافل تلعب دورا هاما فى اقتصاد المملكة ، وان عددا كبيرا مى البربر والطوارق يشتركون فى عمليات التبادل التجارى .

ومن القبائل التى لعبت دورا هاما فى التجارة عبر الصحراء — قبائل (صنهاجة) و (لمتونة) و (مسوفه) و (جداله) — ولذا فان اعتناق (صنهاجة) الاسلام فى القرن العاشر يعتبر حدثا هاما فى انتشار الاسلام والثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا كله ، لان هذه القبائل اندفعت فى نشر الاسلام بين غيرها من سكان غرب افريقيا وهكذا اصبحت كثير من المراكز التجارية مثل (اودغشت) مصادر اشعاع دينى وثقافى[١٥] .

واذا كانت التجارة قد ساهمت فى نشر الاسلام فقد ادى انتشار الاسلام الى مضاعفة النشاط التجارى ، فقد تغيرت النظرة الى الزراعة واصبحت للتجارة مكانة خاصة ووجدت طبقة جديدة من التجار العرب والافارقة فى كل من غانه ، ومالى وغاؤ — وأدى ذلك بالتالى الى نشوء ونمو المدن التجارية الكبرى مثل (كومبى) و (تنبكتو) و (نيانى) . و (جنه) و (غاؤ) . وكانت (كباره) ميناء تنبكتو الحربى والتجارى ملتقى البضائع القادمة من شمال افريقيا ومنها توزع الى مالى ، والنيجر الاعلى ، والداهومى كما تحمل اليها البضائع الافريقية المنقولة عبر نهر النيجر فى طريقها الى شمال افريقيا حيث قامت المدن التجارية فى المغرب،

---

(١٤) انظركتابه الذى اشرنا اليه سابقا عن امبراطورية مالى .
Trimingham : Op. cit. p. 28.

(١٥) عبد الرحمن زكى — مرجع سابق ص ٥ وما بعدها .

والقيروان ، وتونس ، وطرابلس وأصبح التجار يشكلون طبقة كبيرة فى المجتمع الافريقى ، بل ان بعض القبائل الافريقية اتخذت التجارة كحرفة رئيسية عرفت بها ، واصبحت فى المدن التجارية الهامة احياء خاصة للتجار العرب يقيمون فى دور بها بنوها فوق مستودعات بضائعهم ، وحرص هؤلاء على ان يتعلم ابناؤهم فى المدارس والمساجد مع زملائهم الافريقيين (١٦) ٠

والحقيقة ان الذين كتبوا عن قصة التجارة فى غرب افريقيا ، وما كان يتم فى هذه الرحلة الطويلة فى هذه الايام التى لم يكن عامل السرعة والوقت فيها له من الاعتبار كما نحس نحن الان — يعطونا صورة رائعة لأثر الاحتكاك البشرى والحضارى الثقافى عن الطريق ٠ فابن بطوطة مثلا يتحدث عن الطرق التجارية والابار حيث يرتوى المسافرون ويستقرون ، وحيث كانت قوافل التجار تقيم فى ضيافة التجار المحليين أو الشيوخ أو تكترى مسكنا صحراويا تقضى فيه ايام الاستراحة ، وتكون مناسبة لتبادل المنتوجات وشراء لوازم السفر ، كما يذكران الامتزاج كان على اشده بين السودانيين والتجار المغاربة بالذات الذين كانوا وسطاء فى العمليات التجارية ، كما كانون يقومون بالترجمة والسمسرة ، ويعملون كأدلاء وحراس فى الصحراء (١٧) ٠

والبكرى يتحدث عن شبكة الطرق الصحراوية التى انتشرت فى هذه المنطقة فى غرب افريقيا ، ويعطى تقديرات تقريبية للمسافة التى تستغرقها الرحلة فى كل مرحلة من مراحلها (١٨) ٠

وكانت طرق (المبادلة) هى السائدة ، لكن العرب ادخلوا النقود الى

---

(١٦) قداح ، نعيم : أفريقيا الغربية فى ظل الاسلام (دمشق — ١٩٦٠) ص ١٢٥ وما بعدها ٠

(١٧) رحلة ابن بطوطة (دار التراث — بيروت ١٩٦٨) ص ٦٥٨ وما بعدها ٠

(١٨) البكرى ، أو ببيد الله : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (نشر دى سلان — الجزائر ١٨٥٧) (مشتق من كتاب المسالك والممالك) ٠

— البكرى (١٠٣٠ — ١٠٩٤) جغرافى اندلسى توفى فى قرطبة وقد تجول فى السنغال وزار (كومبى) عاصمة غانا ٠

جانب القطع الذهبية المسكوكة ، وقد وجدت فى القصر الملكى فى مالى ، وفى (غاؤ) قطع نقديه مغربية ومصرية — ويشير (انتاديوب) Anta Diap فى حـديثه الطـويل عن التجـاره فى غـرب افريقيـا الى ان الاسر المالكة فى غرب افريقيا اصبحت تشترى حاجياتها من منسوجات وتحف وغيرها من المغرب مباشرة او عن طريق التجار المغاربة ، كما يشير الى ان التجار الافارقة قلدوا المغاربة فى اقامة بعض الاسواق فى مدن معينة فى ايام معلومة كما يشير الى ان حكام هذه البلاد — حتى من لم يعتنق منهم الاسلام — اضطروا خاصة فى المدن التجارية الى اقامة قضاء اسلامى يحكم حسب الشريعة الاسلامية وذلك للفصل فى القضـايا التى تتعلق بمصالح التجار المسلمين • حرصا منهم عى ان يشعر هؤلاء بالطمأنينة فى معاملاتهم التجارية (١٩) •

٣ — الحـــج :

كان الحج وما زال من اهم العوامل التى تيسر للمسلين فرصة الالتقاء والتبادل الفكرى والثقافى • وقد حرص سلاطين للدول الاسلامية فى غرب افريقيا وشعوبها على اداء هذه الفريضة رغم ما كنوا يتكبدونه من مشاق لطول الطريق وعورته ، وكانت هناك طـرق معروفة تطرقها قـوافل الحجاج من اهمها :

(أ) طريق صوب الشمال — عبر الصحراء الى ساحل البحر المتوسط، ثم الاتجاه شرقا تجاه مصر ومنها عبر البحر الاحمر الى الحجاز •

وحين انتشرت الطريقة (التيجانية) كان اتباعها يفضلون هذا الطريق، لانه يتيح لهم فرصة زيارة مقبرة السيد احمد التيجانى بفاس •

وبعض القبائل — خاصة قبائل الهوسا — كانت تفضـل طريق : تونبكتو — جاؤ — غات — غدامس — طرابلس ، لانه كان آنا ، كمـا كان يتيح لهم الفرصة للتجارة فى اثنـاء الطـريق • على ان المـوكب

---

(١٩) الفصل الثانى على الخصوص . والكاتب سنغالى وهذا يوضح اهمـية الكتـاب .

Anta Diop : L'Afrique Noire Pré-Coloniale (Paris 1952).

الصحراوى لشعوب غرب افريقيا الذى كان يفضل الطريق الشمالى للحج – عادة يذهب بمعية الوفد المغربى عبر الشمال الافريقى وليبيا ومصر ، وكانت هذه بالطبع فرصة نادرة للاندماج والتعارف .

(ب) طريق صوب الشرق – الى سودان وادى النيل ، ثم ساحل البحر الاحمر فالحجاز ، وهذا الطريق لم يكن مأمونا ، فقد كان المسافر فيه يتعرض للنهب بالاضافة الى الحروب الداخلية والاضطرابات .

ولعل قبائل الهوسا – بعد اسلامها – كانت اكثر قبائل غرب افريقيا حرصا على أداء فريضة الحج رغم العقبات التى تكتنفها ولعل ذلك يرجع لميلهم للحركة وللتجارة .

وكانت رحلة الحج بالغة الأثر فى نفس الافريقى الوافد من غرب القاره مخترقا كل هذه الافاق الى الاراضى الحجازية حيث يجتمع حجاج المسلمين من مختلف البقاع فى وقت واحد . فقد كانت هذه الرحلة تشعر الافريقى بالاخوة التى تربط بين جميع المسلمين ، وبهذا تتحطم كل الفواصل القبلية – وكما يقول ترمنجهام (Trimingham) « ان شعورا بأن الاسلام ديانة الأفارقة جميعا – كان يتملك المسافرين فى رحلة الحج »[٢٠] .

وهكذا أصبح خروج المسلمين من غرب افريقيا ملوكا وشعوبا الى الحج واتصالهم بالشعوب الاسلامية المختلفة فى المغرب أو مصر أو الحجاز تأكيدا لروح الاخوة الاسلامية التى فرضها الاسلام[٢١] .

ولعل من اشهر مشاهد ركب الحجاج السودانيين التى سجلها التاريخ – وفد الحجاج الذى كان على رأسه منسى موسى – سلطان مالى (٧٢٤ هـ – ١٣٢٣ م) والذى قيل انه كان يضم اكثر من عشرة الألاف حاج ، وقد مر بمصر فى طريقه الى الحجاز فى عهد السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون . والذين تحدثوا عن هذا الموكب يعطون لنا

---

(٢٠) Trimingham : op. cit. p. 88.

(٢١) السعدى – مرجع سابق ص ١٦ .

صورة لعل فيها شيئا من المبالغة ، لكنها لا تخلو من حقيقة ، فقد احاط هذا السلطان نفسه بمظاهر الترف والاسراف فى مصر وحمل معه كميات كبيرة من الذهب الخام ، حتى قيل انه لم يدع اميرا من امراء المماليك فى مصر ، ولا رب وظيفة سلطانية الا وصله بحمل من الذهب ، كما افاض من حباته على الفقراء فى الأراضى الحجازية ، ومنح عن سعة حتى قيل ان قيمة الذهب انخفضت انخفاضا ملحوظا لكثرة ما انفقه • ومن طريف ما ذكر عن بعثة الحج هذه ان سلطان مالى فى طريقه الى الحج بعث رسالة الى سلطان المغرب يخبره فيها ان مركبه سيمر من الطريق المحاذى لساحل البحر المتوسط ، فأصدر السلطان المغربى اوامره بحراسة موكب السلطان المالى اثناء اجتيازه الصحراء ، وابست المملكة حلة الزينة لاستقبال ضيف المغرب ، الذى أحاطت به مظاهر الابهة والبذخ وحمل معه احمالا من الهدايا قدمت الى الحضرة (بفاس) وتركت اثارها فى نفوس المغاربة الذين كانوا ينظرون الى القادمين نظرة الاحترام والتقدير • وعند ما انطلق الموكب من (فاس) الى (تلمسان) — صحبته كوكبة من الخيالة المغاربة الذين كانوا يحملون أوامر بمضاعفة مظاهر الحفاوة عند المرور (ببجاية) وتخوم تونس • وحل الموكب بمصر حيث وجد الملك المالى — عاهل الجركس يفاتحه فى موضوع اقامة صلات تجارية وسياسية بين البلدين يجب اخفاء امرها عن المغرب • لكن الحديث بين الملكين بلغ فاس ، ولا يطيل المؤرخون فى الحديث عما جرى بعد ذلك ، لكن الظاهر ان ملك مالى اكد لملك المغرب بعد عودته بأن الحلف الذى سبق ان عقد بين المملكتين لن يتأثر ، كما ان الحاكم المصرى نفسه سعى بعد ذلك وبكل الوسائل لتأييد حسن نواياه تجاه المغرب (٢٢) •

٤ — الطرق الصوفية :

ارتبط انتشار الدعوة الاسلامية فى غرب افريقيا بالذات — بانتشار الطرق الصوفية وعلى الاخص القادرية ، والتيجانية • وقد زاد عدد

---

(٢٢) العمرى : مسالك الابصار ص ٩٤٣ وما بعدها .

— وابن الوردى : ذيل المختصر فى اخبار البشر جـ ٢ ص ٢٧٥ .

اتباع هذه الطرق الصوفية ولا سيما من المشتغلين بالتجارة ، ومن العلماء والفقهاء • ولعب اتباع هذه الطرق دورا دينيا وسياسيا هاما كان كبير الاثر فى تاريخ وحضارة هذه البلاد ونهضتها ، فقد اصبح كل مسلم تقريبا يرى لزاما عليه ان يرتبط باحدى هذه الطرق الدينية •

واقام اتباع هذه الطرق — الزوايا للعبادة ، ولايواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام ، وللاعتكاف بعيدا عن زخرف الحياة وملذاتها للدرس والتفقه فى شؤون الدين • وكانت لكل طريقة تنظيماتها واعضاؤها وعلى رأسهم شيخ الطريقة ، وللطريقة اورادها وتقاليدها الخاصة • هذا وان كانت جميع تلك الطرق ترمى الى غاية واحدة وهى الوصول بالنفس الانسانية الى درجة الكمال — لكن الوسيلة لتحقيق هذه الاهداف اختلفت من طريقة الى اخرى •

وقد انتشرت القادرية (٢٣) بالذات فى السودان الغربى خاصة فى القرن الخامس عشر على يد مهاجرين من قبيلة كونتا (٢٤) من (توات) ، واتخذوا من (ولاته) أول مركز لطريقتهم ، وانتشر اتباع هذه الطريقة من الفقهاء والمريدين من السنغال الى مصب النيجر ، وأقاموا المراكز لبث دعوتهم فى مختلف الجهات ، بل نظموا البعوث الى الأزهر الشريف ، والمعاهد الدينية بتونس ، وطرابلس ، والقيروان فانتشرت القادرية فى (جنى) و (تنبكتو) وغيرها من العواصم بغرب أفريقيا وتفرعت منها نظم جديدة اتخذت اسماء أخرى منها (الفضلية) التى تنسب الى الشيخ

(٢٣) ملاحظة : نشأت القادرية فى العراق فى القرن الحادى عشر ، وتنسب الى سيدى عبد القادر الجيلانى .

(٢٤) جاء جدهم محمد الكنتي — من توات فى القرن الخامس عشر وتعرف الطريقة عادة بالطريقة البكائية نسبة الى ابنه احمد البكاى (ت ١٥٠٤) ، لكن الفضل فى نشر الطريقة ومبادئها يرجع الى عمر الشيخ ابن احمد (١٤٦٠ — ١٥٥٣) — وقد تلقن العلم ومبادىء الاسلام على يد المصلح التواتى (محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلى) عند عودة هذا الاخير من بلاد الهوسا — فلما رسخت قدماه أرسل اتباعه لنشر الاسلام فى الصحراء وحوض النيجر وبلاد الهوسا .

محـــمد فيضـــل (١٧٨٠ — ١٨٦٩) و (المريديــة) التى تنسب الى (أحمد بامبا)([٢٥]) •

اما التيجانية فتنتسب الى أحمد بن محمد التيجانى ، وقد انتشرت على وجه الخصوص حين قام على بن عيسى (ت ١٨٤٤) زعيم زاوية تماسين (Temasin) بجهد ضخم لنشرها خاصة بين رجـــال القوافل والتجار فانتشر اتباع الطريقة فى حوض السنغال ، وفى تنبكتو وفى سيجـــو ، وأسسوا زوايا فى (كانـــو) و (وبـــرنو) و (واداى) و (شنقبيط) واستمرت الطريقة التيجانية فى النمو والازدهار ، وزاد عدد اتباعها حتى أصبحت الطريقة السائدة فى غرب أفريقيا ([٢٦]) •

ولقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما وخطيرا فى مقاومة الاستعمار الاوربى • وان كان هذا الدور لم يكشف عنه النقاب تمـــاما الى الآن اذ أن اتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا ألجهاد السياسى المتصل بالوطن وحريته ، والوقوف فى وجه اعدائه والمغتصبين — جزءا من واجبهم لا ينفصل عن الجهاد فى سبيل نشر الدين ، فمعظم المراجع الاجنبية تعالج الامر على أنه ثورات من أفراد خارجين على القانون وعلى النظام — فواجبنا يحتم أن نضع هذه الحركات الوطنية فى مكانها الصحيح •

وقد أدى تبنى هذه الحركات لقضية الجهاد الوطنى — الى شعبيتها واندفاع الشباب بالذات للانضام اليها ، ومن المعروف ان (الحاج عمر) زعيم السودان فى القرن التاسع عشر جعل من التيجانية وسيلة للوصول

---

(٢٥) وانظر محمد بلو : انفاق الميسور فى اخبار بلاد التكرور •
— وكـــــــذلك Trimingham . op. cit P.P. 94-96

(٢٦) لمن يريد التوسع فى دراسة التيجانية انظر :
(أ) ابو العباس أحمد بن احمد العياشى : كشف الحجاب على من تلقى مع التيجانى من الأصحاب (فاس ١٣٢٥ هـ) •
(ب) جواهر المعانى ، وبلوغ الامانى فى منفى الشيخ التيجانى — المعروف بالكناش (القاهرة ١٣٤٥ هـ) •

الى أهدافه فى طرد الفرنسيين من البلاد — ولـذا كثيرا ما يطلق على حركته لفظ (العمرية) (٢٧) .

٥ — توافد العلماء ورجال الدين لغرب أفريقيا :

وفد على غرب افريقيا عدد كبير من العلماء ورجال الدين من مختلف الاقطار الاسـلامية للتدريس فى مدارس ومساجد تنبكتو ، وجنى ، ومالى — وغيرها من حواضر غرب افريقيا احساسا منهم بواجبهم تجاه اخوانهم فى هذه البلاد ، وأسهم هؤلاء فى نشر الثقافة الاسلامية والعربية فيهـا .

هذا كما توافد الطلاب من أبناء السودان الغربى الى معاهد فاس وغيرها من مدن المغرب ، وكذا الازهر الشريف والقيروان وتلمسان (٢٨) .

وقد تشبه كثير من حكام غرب أفريقيا المسلمين — بالحكام المسلمين فى باقى جهات العالم العربى — فأجزلوا العطاء لرجال العلم والادب والدين الوافدين من المغرب وغيره من الاقطار الاسـلامية للاسـهام فى النهضة الدينية والثقافية فى هذه البلاد ، كما استقدموا المهنـدسين المعمارين من فاس وغيرها لبناء القصور والمساجد والمدارس . وقد أقبل الافريقيون على معاهد الدين والعلم بشغف كبير ، وترتب على هـذا

---

(٢٧) Dubois, F. : L'Islam Noir P. 60.
أنظر نعيم ، قداح : مرجع سابق ١٣٥ — وما بعدها .
ملاحظة : من الأمثلة على ما قام به اتباع هذه الحركات الدينية من دور فعال ضد الاستعمار ما قام به اتباع القادرية واتبـاع أبى عبد الله محمد الجزولى (ت ١٤٦٣) مؤلف « دلائل الخيرات » — ضد الاستعمار البرتغالى للثغور المغربية ، كذلك ما قام به أو عبد الله محمد بن أبى العباس أحمد الزيادى العياشى — فى النصف الاول من القرن السابع عشر ضد المستعمرين الاسبان والبرتغـال .
أنظر : املاق ، عبد القاهر بن محمد بن احمد بن حسن أبو املاق : الخبر عن ظهور الفقيه العياشى بهذه البلاد ، وذكر سبب قيـامه بوظيفـة الجهـاد .
وبالطبع يبرز أيضا فى هـذا المجال دور (السنوسية) فى محـاربة الاستعمـار الايطالى .

(٢٨) عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ص ١٤٦ .

قيام نهضة علمية حقيقية أثرت فى مختلف نواحى الحياة فى غرب أفريقيا. ونشأت طبقة أفريقية مثقفة بالثقافة الاسلامية • فالملاحظ أن كثيرين من الوزراء وغيرهم من رجال الدولة فى أقطار غرب أفريقيا كانوا من المسلمين فقد أصبح الملوك يطمئنون الى أن يعهدوا لهم بشؤون البلاد السياسية والاقتصادية (٢٩) •

ويشير ابن بطوطه الى ان عددا من رجال العلم من مختلف الأقطار العربية كان يقيم بمدينة مالى • ومن طريف ما يذكره اثناء اقامته بهذه المدينة أنه لصيب بمرض حاد فى معدته نتيجة أكله عصيده مصنوعة منشىء يشبه (القلقاس) ، ولم يسعفه سوى طبيب مصرى قدم له دواء مسهلا يسمى بيدر (٣٠) •

وقد اشتهر عن السلطان اسكيا محمد سلطان مالى ١٤٩٣ — ١٥٢٨ حبه للعلم والعلماء ، فقد استقدم الكثيرين منهم ورحب بهم وأغدق عليهم من المال والهبات واقام كثيرون منهم فى (غاؤ) و (جنه) و (تنبكتو) — فكان وجود هؤلاء المثقفين العرب نواة نهضة ثقافية شملت البلاد فى القرنين السادس عشر ، والسابع عشر ، واصبحت اللغة العربية بفضلهم — لغة البلاد الرسمية • وحين ادى اسكيا محمد فريضة الحج كان بصحبته المؤرخ (محمد كعت) وقد مر بمصر وتعرف على العالم المصرى جلال الدين السيوطى ، وكان من اهم رجال العلم فى أيامه العالم الفقيه (عبد الكريم بن محمد المغيلى التلمسانى) الذى عاش فترة غير قصيرة فى تنبكتو اهم المراكز الاسلامية فى سنغاى — وقد ازدهرت تجارة الكتب فى (تنبكتو) ، واشار الرحلة العرب الى وجود العديد من المخطوطات النادرة ببعض مكتباتها ، كما وجد فيها نساخ متخصصون فى نسخ هذه الاصول ، هذا بالاضافة الى خزانة الكتب العامة التى كان يستعين بها اهل العلم والادب فى بحوثهم (٣١) •

---

(٢٩) نعيم ، قداح : مرجع سابق ص ٤١ .
(٣٠) ابن بطوطة جـ ٤ ص ٣٩٧ .
(٣١) عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ص ٥١ ، ٥٢ .
— ونعيم قداح : مرجع سابق ص ٧١ . =

٦ ــ قيام الحركات الاصلاحية :

ارتبط انتشار الاسلام فى غرب أفريقيا ــ بظهور حركات اصلاحية على رأسها زعماء تحمسوا لنشر الاسلام ولارشاد الناس الى حقائقه ، ولتخليص الدين مما علق به من شوائب، واستطاع هؤلاء الزعماء ان يجمعوا حولهم عددا كبيرا من الاتباع والمريدين لما رأوا فيهم من التقوى والصلاح ، وقد تبلورت جهود هؤلاء المصلحين واتباعهم فى مجالين :

المجال الاول : مجال الوعظ والارشاد والتأليف ، فتركوا لنا ثروة كبيرة من مؤلفاتهم فى مختلف الفروع الدينية والعلمية كالتفسير والفقه وشرح الاحاديث النبوية والتصوف والعقائد واللغة والشريعة الاسلامية ــ وغير ذلك من ضروب العلم والمعرفة • ولا شك فى ان هذه الثورة ــ التى فقد الكثير منها للأسف ، كما نقل المستعمرون الاجانب جزءا هاما من هذا التراث الى مكتبات بلادهم بينما الباقى وهو عدد قليل أيضا لا زال مخطوطا حبيس دور الوثائق ــ تحتاج لان يكشف عنها القناع ونعكف على بحثها ودراستها لنقف على ثمرات فكر وجهد هؤلاء العلماء بالاضافة الى توضيح المدى الذى وصلت اليه الحضارة والعلم ، والنهضة الاسلامية فى هذه البلاد فى ايامهم •

ونشير فى هذا المجال الى ان عددا هاما من نفائس المخطوطات قد تداولته خزائن فاس ، والصحراء مرات عديدة قبل ان تستقر بصفة نهائية فى اماكنها التى توجد بها الآن او التى اختفت فيها بعد ذلك ، ولا شك فى ان الكثير منها قد ضاع نتيجة هذا الانتقال الذى كان يجىء فى ظروف عصيبة ، ويقال ان الحاجب السلطانى أو كبير الوزراء ابا محمد عبد الله الطريقى عندما بنى مسجد السوق الكبير بفاس ، واراد أن

ملاحظة : اشرنا من قبل الى محمود كعت ــ قاضى تمبكتو واهمية كتابه (تاريخ الفتاش) •

اما عن العالم الفقيه (عبد الكريم المغيلى) فسنفرد له باذن الله بحثا خاصا نعرف فيه بالدور الذى قام به هو وصفوة اخرى من العلماء والفقهاء فى غرب أفريقيا •

يؤسس خزانة تليق به يحبسها عليه — ارسل فى طلب ذخائر الكتب من الصحراء (٣٢) •

المجال الثانى : مجال الجهاد ، فقد اصطدمت حركات الاصلاح الدينى بالسلطات الحاكمة فى هذه البلاد — وأدى هذا لحروب ومعارك •

وكما سبق ان ذكرنا — لم يكن من الممكن الفصل بين حركة الاصلاح الدينية وحركة الجهاد المسلح لاعلاء شأن الاسلام فى السودان الغربى ، واخضاع البلاد الوثنية لسلطان القوات الاسلامية • ولعل حركة عثمان دان فوديو ، واصطدامه بحكام الهوسا والحروب التى نشبت بينه وبينهم تعطى مثلا قويا لذلك •

والحركات الاصلاحية فى غرب افريقيا هى فى حقيقتها جزء من الحركات الاصلاحية فى العالم الاسلامى التى كان هدفها محاربة البدع والعادات الضارة التى شاعت فى حياة الناس ، وتهدف الى اصلاح التعليم ، والملاءمة بين الشريعة الاسلامية وبين الفكر الحديث ، وللدفاع عن الاسلام والبلاد الاسلامية فى وجه تيار من الافكار والمعتقدات المغايرة لتعاليم الاسلام • وهذه الحركات الاسلامية فى غرب افريقيا بالذات كانت تهدف الى تقريب الفجوة بين الثقافة الافريقية والثقافة الاسلامية بحيث تحتفظ الثقافة القديمة بخير ما فيها مع التطور الذى يفرضه للدين الاسلامى بتعاليمه ومبادئه •

---

(٣٢) تحتفظ دور الوثائق فى العواصم العربية والاوربية بالكثير من مخطوطات علماء غرب افريقيا وقد أشرت فى بحث مجلة (البحث العلمى) العدد ٢٦ (لسنة ١٩٧٦) التى يصدرها المركز الجامعى للبحث العلمى بالرباط — الى بعض مخطوطات المصلح عثمان دان فوديو ، وابنه محمد بلو ، واخيه عبد الله المجودة فى دار الوثائق بالرباط .

— وانظر ملحق المخطوطات العربية فى نيجريا فى كتاب الاستاذ عبد الرحمن زكى •

عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا (مرجع سابق) ص ١٦٤ ، ١٧٨ . وهو يشير فى هذا الملحق الى العديد من المخطوطات العربية فى الدين والادب والاجتماع الموجودة بمكتبة ايبدان بنيجيريا ومكتبة مدرسة الشريعة ، ومكتبة الوزير جنيدو فى سوكوتو، ومخطاطات كانو — بالاضافة الى بعض مخطوطات دار الكتب الوطنية فى باريس .

ولهذا نجد المصلحين فى غرب افريقيا يركزون بالذات على المعتقدات التى كانت سائدة فى المجتمع الافريقى مثل التقاليد المتبعة عند ولادة الطفل او عند الزواج او الوفاة او غير ذلك ، والحوا على تطويرها بحيث تساير العقيد الاسلامية . ولم يكن الهدف هو احداث تغيير جذرى فى حياة الناس اليومية الا بالقدر الذى يمس صميم الدين وما نهى عنه وما يطالب به . ولقد هال هؤلاء الذين دعوا للاصلاح ما وجدوه من انغماس الناس فى كثير من الامور التى ينهى عنها الاسلام ، بل لقد شاعت كثير من الاخطاء باسم الاسلام وفى ظله ، كما أن الأمر كان يتطلب من وجهة نظر هؤلاء المصلحين — حربا جهادية لاعادة للاسلام مجده وسطوته وللوقوف فى وجه تيار الوثنية والاستعمار (٣٣) .

ولا يمكن ان نلم هنا بجميع الحركات الاصلاحية التى انبعثت فى غرب أفريقيا ابتداء من الحركة الاصلاحية الكبرى التى تزعمها عبد الله ياسين من رباطة فى مصب السنغال الى حركة عثمان بن فودى الذى استطاع ان يقود قبائل (الفولانى)(٣٤) ويؤسس سلطنة (سوكوتو) التى لعبت دورا هاما فى نشر الاسلام فى غرب افريقيا ، هذا بالاضافة الى حركة أحمدو لوبو وولده أحمد شيخو فكل ، من هذه الحركات وامثالها تحتاج الى دراسة خاصة بها (٣٥) .

لكن ما نريد ان ننوه به هنا ان هذه الحركات الاصلاحية كان لهـا

---

(٣٣) ملاحظة : سنشير فيما بعد الى الآثار الاجتماعية وغيرها التى ترتبت على التقاء الحضارة العربية الاسلامية بالحضارة الافريقية .

(٣٤) يرى (ديبوى) ان الفولانى من البربر ، وانهم انحدروا من منطقة (أدرار) شمال السنغال واندفعوا الى السودان الغربى بعد طرد المسلمين عن الاندلس ، واشتغلوا بالرعى والزراعة ، والتجارة حتى لم شملهم (عثمان ابن فودى) فى حركته .

Dubois F. : Tomboctou, La Mysterieuse (Paris 1899) p.p. 152-153.

(٣٥) انتشرت دعوه (احمدو لوبو) فى ماسة حيث انشأ امارة اسلامية عظيمة — ودخل مدينة تنبكت سنة ١٨٢٧ وتوفى فى عام ١٨٤٤ وخلفه ابنه أحمدو شيخو الذى توفى ١٨٥٢ .

دور هام فى توجيه الاذهان فى هذه المنطقة بل وفى العالم الاسلامى عامة الى الكثير من مبادىء الاسلام التى تناساها الناس — بالاضافة الى نشر الدين الاسلامى على نطاق أوسع بين الوثنين والمدافعة عنه وعن الاقاليم الافريقية فى وجه موجة الاستعمار الاوربى الصاخبة .

٧ — عوامل سيكولوجية :

تشير بعض المراجع العربية والاجنبية الى ان العوامل السيكولوجية كان لها اثرها الفعال فى انتشار الاسلام والثقافة العربية بين شعوب غرب افريقيا . فالافارقة قد وجدوا فى الاسلام بسماحته وبساطته وملاءمته لكل عصر وكل بيئة — ما يحل الكثير من المشكلات القائمة فى مجتمعاتهم ، فالاسلام يتلاءم مع البيئات التى ينتشر فيها ويخلق فى كل منها طابعا محليا ، والعبادة فى الاسلام بسيطة غير معقده ، وقد حرص المصلحون المسلمون على تدعيم هذه الحقائق بننما نجد المبشرين المسيحيين يحرصون على سلخ كل من اعتنق المسيحية من الزنوج عن قومه وعشيرته ، وحرموا عليه التمتع بمتع الحياة البريئة وابعدوه عن مشاعر طفولته المحببه اليه (٣٦) .

والحقيقة ان الالتقاء الحضارى بين الاسلام وتقاليده وانظمته وبين التقاليد والنظم المحلية الافريقية يشبه الى حد ما التقاء الثقافة العربية الاسلامية بالثقافات القديمة فى الشرق الادنى . كانت نتيجة هذا الالتقاء ظهور تقاليد يمكن ان نطلق عليها (التقاليد الاسلامية الافريقية) — تساير الاسلام فى جوهرها لكنها مع ذلك تحتفظ بالطابع الأفريقى .

والاسلام ملائم لحياة البدوى فى الصحراء ، كما يلائم حياة الحضرى فى المدنية — وليس له نظام (كهنوتى) ومعقد ، ولذا وجد البدو فيه ضالتهم المنشودة ، كما وجد التجار والصناع والمثقفون فيه تنظيما لحياتهم

---

(٣٦) Carpenter. G.W. : The Role of Christianity and Islam in Contemporary Africa p. 90.
— Trimingham, S. : Chrisitan Church and Islam in West Africa (london 1955) p. 32

اليومية ومعاملاتهم ، وجابة الكثير من تساؤلاتهم واستفساراتهم (٣٧) •

هذا على ان الافريقى لم يجدفى نظم الاحوال الشخصية والاجتماعية التى يضعها الاسلام للمجتمع ما هو فوق ادراكه وحسه ، وما يتعـذر تطبيقه ، كما أن ما نادى به الاسلام من اخاء ومساواة بين المسلمين ، وما سنه للحياة الدنيا ، وما وعد به فى الحياة الاخرى – لقى صدى لدى الأفريقيين •

هذا كما ان الكثير من المبادىء التى نادى بها الاسلام مثل (الصدقة) و (الزكاة) و (الصلاة) و (الصوم) – لم تكن غريبة كل الغرابة عن المجتمع الافريقى فقد كانت هناك جذور لها فى التقاليد والعادات القبلية يمكن ان تتطور لتساير هذه الفروض الاسلامية(٣٨) •

سمات المجتمع الاسلامى العربى فى غرب أفريقيا :

كان اثر الاسلام فى المجتمع فى غرب القارة – عميقا ، فقد غير من عادات الافارقة بل ومظهرهم وطريقة تفكيرهم ، وخلق ثقافة اسلامية أفريقية • ولا تكاد توجد ناحية من نواحى الحياة لم تتأثر بالاسلام وتعاليمه •

وسنحاول ان نستعرض بعض مظاهر الحياة فى هذه البلاد لندرس اثر الاسلام فيها :

أ – المدن الاسلامية بغرب أفريقيا :

أصبحت بعض مدن السودان الغربى بفضل الاسلام مراكز علميـة واقتصادية ذائعة الصيت ، برزت فيها دور العبادة والعلم ، ووقفت على قدم المساواة مع العواصم الاسلامية الاخرى فى هذا المجال • ورغـم قلة ما كتب عن هذه العواصم وعن دورها الحضارى والاقتصادى – فقد نوه بها اكثر من واحد من المؤرخين الاجانب والعرب •

---

(٣٧) Trimingham, S.: Islam in west Africa (1964) p. 25.

(٣٨) Ibid: p. p. 31 and 35.

فالمؤرخ الفرنسى (ديبوا) الذى سبق أن اشرنا اليه ــ يشيد بما بلغته (تنبكتو) فى القرن السادس عشر بالذات من مجد ــ فقد كانت حاضرة ثقافية على صلة بغيرها من العواصم الثقافية الاخرى فى المغرب والعالم العربى مثل (فاس) فى المغرب و (القيروان) فى تونس و (قرطبة) فى الاندلس و (القاهرة) فى مصر •

ويذكر أن الكثيرين من علمائها رحلوا الى فاس والى مص واتصلوا بعلمائهما(٣٩) •

هذا بينما تحدث السعدى عن العلماء الذين زاروا تنبكتو للتدريس بمعاهدها ، من مختلف انحاء الوطن العربى من مغاربة واندلس وحجازين ومصريين ويذكر انها اصبحت من حواضر العلم يفد اليها الطلاب من السنغال والنيجر ومن امارات الهوسا ، وبرنو ، وكانم ــ ويذكر انها كانت سوقا للكتب تنسخ فيها المخطوطات وتوزع فى البلاد الاخرى ويتحدث عن علمائها فمنهم (محمد بن محمود بن ابى بكر) الذى اقتنى نفائس الكتب ، وربما يأتى لبابة طالب يطالب كتبا فيعطيها له دون معرفة سابقة ، ومن علمائها البارزين أحمد بابا • وقد وصل بعض هؤلاء العلماء ــ كما يقول السعدى الى درجة لا تقل ان لم تزد عن مستوى علماء المسلمين فى الاقطار الاخرى (٤٠) •

أعطى لنا الحسن بن الوزان صوره عن تنبكتو حين زارها فى اوائل القرن السادس عشر (٤١) كما زارها مؤخرا بعض الرحالة الاجانب

---

(٣٩) Dubois ; F. : Toumbouctou, la Mysterieuse (Paris 189 P. 175

(٤٠) السعدى : مرجع سابق ص ٥١ ، ٦٢ .

(٤١) The history and Description of Africa - written by al-Hassan Ibn Mohmamed al Wezan al Fasi-Done into English in the year (1600) by John Pory (London 1896) p. 824.

من امثال بارث Barth الذى زارها فى (١٨٥٣ — ١٨٥٤ م) وتحدث عنها (٤٢) .

وقد ذاعت شهرة معهد (سنكورى) بتنبوكتو فاصبحت له مكانه الازهر ، والقرويين وغيرهما من معاهد العلم بالعالم الاسلامى ، وقد ذكر السعدى بعض العلماء الذين كانوا يدرسون فيه ، وبعض الكتب التى كانت تدرس فى حلقات الدرس وهى كتب فى الفقه والحديث والمنطق والنحو واللغة وغيرها من فروع المعرفة كما تحدث عن مسجد (سيدى يحيى) وغيره من مساجد تنبكتو والاثار الاخرى بها مثل القصبة التى بناها جؤدر باشا قائد المنصور الذهبى (٤٣) .

ومن المراكز الاسلامية الاخرى بالسودان الغربى مدينة (جنى) — وهى تقع على مسافة مائتى ميل الى الجنوب الغربى من (تنبكتو) على الضفة اليسرى لنهرى بنى (Beni) احد روافد النيجر . وقد أسست قبل تنبكتو بوقت بعيد ، لكنها لم تدخل فى دائرة النفوذ الاسلامى الا منذ القرن الخامس الهجرى حين اسلم أميرها فى عام ١٠٥٠ م وبنى مسجدها العتيق على نظام المسجد الحرام بمكة . وقد بلغت درجة كبيرة من التقدم والازدهار فى المجالين الاقتصادي والعلمى — فى ظل الحضارة الاسلامية خاصة بعد ازدهار تجارة الملح والتبر فيها، فأصبحت من أهم أسواق قبائل الفولة والولوف ، والسركوله ، والتكرور . وقد عبر السعدى عن ذلك بقوله « انها سوق عظيمة من اسواق المسلمين يلتقى فيها تجار (الملح) من مناجم تغازا ، وتجار الذهب من مناجم بط وانه بفضل هذه المدينة تتجمع القوافل فى تنبكتو من جميع الجهات المجاورة ، وكانت سوقا كبيرة لتجارة الرقيق ومركزا ثقافيا تنافس تنبكتو وازدهرت فيها الدراسات الدينية » ويشير السعدى الى انه كان بها اكثر من اربعة الالاف من المشتغلين بالعلم ، وذكر بعض علمائها كالفقيه

---

(٤٢) Barth, H: Travels and Disocveries in North and Central Africa (london 1858) Vol. IV. p.p. 403 and 408.

(٤٣) السعدى : مرجع سابق ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ .

(فودى محمد سافو الونكرى) الذى عاش فى اواخر القرن التاسع الهجرى والقاضى (العباس كب الجندى) وكان فقيها وعالما جليلا والقاضى (محمود بن ابى بكر بغيغ) والد العالمين الفقيه (محمد بغيغ) والفقيه (احمد بغيغ)(٤٤) •

ومن المدن الهامة التى برزت فى السودان الغربى مدينة (كانو) — وقد تبوأت هذه المدينة مركزا ممتازا كمدينة علمية فى غرب أفريقيا خاصة بعد ان رحل اليها بعض علماء (تنبكتو) منذ سنة ١٤٨٥ ، وبعد ان اضمحل شأن تنبكتو منذ القرن السادس عشر • وقد أسست فى كانو مدرسة للعلوم ومدرسة للقضاء الشرعى ذاعت شهرتهما (٤٥) •

اما مدينة (كاشنه) فقد اجتذبت عددا كبيرا من العلماء ، وقد اقام فيها الامام (المغيلى) زمنا طويلا يعلم الناس ، ويرشدهم ويفصل فى الخصومات بينهم ، كما أن بعض المراجع تشير الى أن (جلال الدين السيوطى رحل الى شمال نيجيريا وأقام فى (كاشنه) زمنا يعلم ويرشد الناس ويفقههم فى الدين ثم عاد لمصر ثانية فى عام ٨٧٦هـ (١٤٨١م)(٤٦)•

هذه بعض المدن الاسلامية فى غرب أفريقيا • على أن السعدى يشير الى ظاهرة طريفة جديرة بأن نقف عندها ، فقد أوضح أن كثيرين من العلماء فى هذه البلاد الاسلامية فى غرب أفريقيا كانوا حريصين على انشاء المكتبات الخاصة بهم(٤٧) •

ب — الطابع الثقافى والفنى :

أشرنا الى ان الثقافة العربية بل الثقافة بمعناها الواسع — أنتشرت فى غرب أفريقيا فى أثر الاسلام • ورأينا كيف انشئت المدارس وبنيت المساجد لتثقيف الناس وتفقيههم فى شئون دينهم ومن أهم ما تميز به

---

(٤٤) المرجع السابق ص ١١ •

(٤٥) Meek, C. K.: The Northern tribes of Nigeria (London 1925) Vol. 1. P. 66.

(٤٦) Deschamps, H.: Les Religions de L'Afrique Noir (1948) p.127

— والالورى ، آدم عبد الله : الاسلام فى نيجيريا ص ١٠ •

(٤٧) السعدى : مرجع سابق ص ٤٣ — ٤٥ •

التراث الثقافى فى غرب أفريقيا تأثره الى حد كبير بالتــراث العربى المغربى الأندلسى .

وقد رأينا كيف انتقل علماء من المغرب وغيره من الاقطار العربية الى المدارس التى قامت بهذه البلاد ، كما انتقل الدارسون منها الــى معاهد العلم المغربية وغيرها . والحقيقة ان الاثر الثقافى للاسلام فى مجتمع غرب أفريقيا كان قويا وعميقا ، ولعل الصورة التى يقدمها بالمر (Palmer) عن علاقات ممالك غرب أفريقيا الثقافية بالبلاد العربية الاخرى توضح الاثر الثقافى للاسلام واللغة العربية فى هذه البلاد . فقد شملت البــلاد نهضة علمية ، وقامت فيها مراكز ثقافية كانت بمثابة الشعلة التى تضىء الطريق للمستقبل،وبرز علماء وأدباء فى مختلف المجالات وتأثرت الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية بكل ذلك — وساعد تشجيع كثير من السلاطين للحركــة العلمــية على أن تستــمر الحركــة فى تحقيق أهدافها (٤٨) .

ولا شك فى أنه لو استمرت الحركة الثقافية الاسلامية العربية فى طريقها دون أن تصطدم بالاستعمار الاوربى وأهدافه — لحققت لهــذه البلاد المزيد من التقدم والازدهار،على ان الأمر لا يتعلق بالثقافة العربية وانتشارها فى هذه البلاد — فهناك قضية أهم وأمتع هى نتيجة هــذا الالتقاء بين حضارتين متباينتين — الحضارة العربية التى جاءت فى ركاب الاسلام — والحضارات الافريقية التى كانت قبل ذلك فى هذه البلاد . وبعض الكتاب يرون أن هذا الالتقاء بين الحضارتين خضع لنفس القواعد والنتائج التى تترتب على هذه الظاهرة — ظاهرة الالتقاء الثقافى أو التماس الثقافى فى كل الظروف . وقد انتهى المؤرخ الانجليزى توينبى بتقنينها فى مبادىء محددة .

ومهما يكن من أمر فان الاسلام دخل غرب أفريقيه حاملا معه ثقافة عربية زاهرة . واذا كانت طبيعة الاسلام أن يبقى من التقاليد والنظم

---

(٤٨) Palmer : Islam in western Sudan and on the west Coast of Africa P. 33

ومظاهر الحياة مالا يتعارض وتقاليد الاسلام ومبادئه ، وما يلائم طبيعة المجتمع وسكانه — فان تأثر سكان غرب أفريقيا بالحضارة الاسلامية العربية كان نابعا قبل كل شيء من رغبة داخلية وتطلع لمسايرة العالم الاسلامي في حضارته ونهضته(٤٩). ولعل النقطة الغامضة التي تحتاج لدراسة أعمق هي — هل شمل هذا التغيير غالبية المواطنين في هذه البلاد — أم أن الأمر اقتصر على طبقة خاصة من المجتمع استطاعت أن تساير الثقافة الاسلامية العربية بينما بقي عامة الناس بعيدين الى حد ما عن جوهر الحياة الاسلامية ؟ خاصة ان المعروف ان العامة لم يتخذوا اللغة العربية كلغة للتخاطب في حياتهم الخاصة ، انما ظلوا لفترة طويلة يستخدمون لغاتهم الأصلية بينما بقيت العربية لغة الثقافة ولغة الصلاة، كما ان الحركات الاصلاحية التي قامت والتي ارتسمت أحيانا بالعنف في هذه البلاد كان الدافع اليها ما لمسه القائمون بهذه الحركات من انتماء الكثيرين للاسلام اسما مع ممارستهم لما اعتادوه من عادات وتقاليد وثنية بعيدة كل البعد عن تعاليم الاسلام .

هذا على ان الفن الاسلامي في غرب أفريقيا لم يحظ بعد بما يستحقه من دراسة تحليلية — لكن نشير هنا الى بعض معالم الفن والمؤثرات التي أثرت فيه . فقصور الأمراء والملوك التي أقيمت في غرب أفريقيا في ظل الاسلام وحضارته تدل في هندستها ونقوشها ، وشمسيات الزجاج وغير ذلك من معالمها على أثر الفن المغربي ، كما ان المساجد بطريقة بنائها ونقوشها التي استخدم فيها الخط الكوفي ، والخطوط الهندسية والآيات القرآنية بالخط الفارسي — تدل على التأثير المغربي الواضح أيضا . هذا وقد شاع في غرب أفريقيا بناء الاسوار حول المدن تشبها لما شاع في المغرب. وهذا التشابه يعزى لمساهمة مهندسين مغاربة في بناء وتشييد هذه المساجد ، فقد ساهم المهندس ابراهيم الساحلي في بناء مسجد (جانكوبر) في تنبكتو ، ومسجد آخر في (غاؤ) ، كذلك ساهم في بناء مسجد في العاصمة (نيابي) ، وقصر به قاعة كبيرة لمجلس السلطان ، وقد وصف

---

(٤٩) حسن احمد محمود : مرجع سابق ص ١٠ ، ١١ .

ابن بطوطة هذه القاعه عند زيارته للعاصمة عام ١٣٥٣ م • اما مسجد جنى فهو من تصميم المهندس (ادريس المراكشى) • فدراسة الآثار العمرانية فى جنى ، وتنبكتو تكشف لنا عن أسلوب البناء الذى ســاد فى البلاد والذى يعود فى أصله الى الهندسة المعمارية فى المغرب والتى كما قلنا حملها الى هذه البلاد مهندسون مغاربة أو مهندسون آفارقة درسوا فن العماره وتمرسوا عليه فى فاس أو مراكش • وقد شاع فى (كومبى) الحى المغربى بمنازله المغربية ونوافذه الزجاجية — كان حــكام هــذه البلاد وشعوبها ينظرون لما يشيع فى المغرب والبلاد العربية الاخرى التى اتصلوا بها — من ألون الحضارة — على أنها مثل عليا تحتذى(٥٠) •

جـ — اثر الاسلام على النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى :

ترتب على انتشار الاسلام فى غرب أفريقيا — خلق مجتمع جــديد يدين بمبادىء جديدة • حقيقة أن الاسلام — كما ذكرنا — لم يهدف الى تغيير التقاليد الزنجية المحلية تغييرا جذريا الا ما يتعارض منها مع تعاليمه ومبادئه — لكن ترتب على الاحتكاك بين سكان هذه البلاد نوع من الامتزاج بين التقاليد الاسلامية الوافده وبين التقاليد الزنجية المحلية ، وتمت الملاءمه بين هذين العنصرين وظهرت فى المجتمع الافريقى تقاليد اسلامية افريقية •

ولعل ما عرضه (ابن بطوطه) و (القلقشندى) من نماذج للحياة فى هذه البلاد ، وما كتبه المؤرخون الافارقة مثل السعدى ، ومحمود كعت — يعطى فكرة عن التقاليد والنظم الاجتماعيــة التى شــاعت فى المجتمع الافريقى فى هذه البلاد •

ولا شك فى أن الثقافة العربية بما أدخلته من مفاهيم جديدة — أثرت تلقائيا فى المفاهيم الاجتماعية وفى التقاليد وفى العادات التى ارتبطت بمختلف المناسبات فى غرب أفريقيا — فقد امتص الأفريقيون فى غرب أفريقيا الكثير من معتقدات الاسلام دون أن يترتب على ذلك هزة عنيفة فى مجتمعهم ، فالكثير مما نادى به الاسلام — كما ذكرنا — لم يكن غريبا

(٥٠) نعيم ، قداح : مرجع سابق ص ١٥٤ — ١٦٠ •

عن مجتمعهم بل كانت له جذور فى المجتمع القبلى • ولذا كما يقول — ترمنجهام — لم يكن سهلا وضع حد فاصل بحيث نستطيع ان نرجع هذا الى الاسلام وذلك الى ما قبله• ولا يعنى هذا أنه لم تحدث تغييراتجذرية فى المجتمع ، ففى كثير من الجهات مثلا كانت هناك مجتمعات أمويـــة (تنسب الى الأم) فتغير هذا كما تغيرت قوانين الوراثة تغيرا جذريا حسب الشريعة الاسلامية • والتغير بالطبع لم يحدث فجأة فقد كان لابد من وقت ليعتاد عليه المجتمع • فاذا أخذنا قرية من قرى الهوسا وحاولنا دراسة حياة الناس فيها وتقاليدهم ومثلهم نجد ان الكثير مما يجـــرى فىاحياة الناس اليومية يرجع لاساس قديم سابق للاسلام،بينما لو ذهبنا الى قرية من قرى (التوكولور) مثلا نجد القانون الاسلامى سائدا على نطاق أوسع • ولعل الاحتفالات العامة فى المناسبات المختلفة تعطى فكرة عن هذه التأثيرات ،كما ان الصورة التى يمارس بها مسلمو غرب أفريقيا الفرائض توضح كيف ان فيها ملاءمة بين تعاليم الاسلام والتقاليـــد الافريقية • لقد سما الاسلام بالكثير من معتقدات الافريقى وعـــدل من سلوكه قبل الاسلام ، مثلا كان شائعا عندهم تقديم الضحايا وغير ذلك من وسائل ارضاء القوى الخفية ، اما فى ظل الاسلام وتعاليمه — فالصدقه ، والزكاة ، والصيام فيها تعنى التضحية ونكران الذات ، ولذا لم يكن صعبا على الافريقى أن يدرك هذه القيم ، وان يعدل من سلوكه حسب تعاليم الدين الجديد(٥١) •

ولعل أهم أثر للاسلام فى مجتمع غرب أفريقيا بصفة عامة هـــو الاحساس بأن الجميع يعبدون الها واحدا • وهذه الوحدة الاجتماعيه تزكيها أكثر ممارسة الجميع لفرائض واحدة • ويظهر هنا بوضوح دور الصلاة الجماعيه حيث يؤدى الكل الصلاة معا فيشعر الكل انهم ينتمون لوحدة دينية ، أضف الى ذلك هذا الشعور الواحد وهذه الروابط التى يشعر بها الكل فى شهر الصوم ، وفى الحج حين يتجرد الغنى والفقير من ملذات الحياة الدنيا ، هذا الى ما يفرضه الاسلام من مساواة بين الجميع

Trimingham : Islam in West Africa p.p. 41-46 and 74-75. (٥١)

وتحريمه استرقاق المسلم • كل هذه الاسس كان لها أعمق الاثر فى كسر الحواجز القبلية والفروق التى كانت تفتت المجتمع الافريقى فى غرب القارة •

على ان الشريعة الاســـلامية كان لابـــد أن تمس البناء الاسرى فى المجتمع الافريقى فاذا قارنا بين حياة الاسرة المسلمة وحياة الاسرة الوثنية التى تنتمى لنفس المجموعة يبدو لنا بوضوح أثر الاسلام • وبالطبع لايمكن أن نتوقع ان القانون الاسلامى النموذجى هو الذى يمكن أن يسود — لكن لا شك فى أن التغيير الذى حدث كبير ، والصراع بين الشريعة وبين التعاليم ظل فترة طويلا مستمرا وقائما •

ويشير ترمنجهام الى ان (الثنائية) تتضح فى مجتمعات غرب افريقيا أكثر من غيرها ، فهناك نظم اسلامية صرفة جنبا الى جنب مع تقاليد ترجع الى ما قبل الاسلام • وتختلف قوة كل من العاملين فى المـــدن عنها فى المجتمعات الزراعية والقرى بصفة خاصة • ففى هذه الأخـــيرة نلمس المحافظة على التقاليد القديمة والميل للتغيير أقل منه فى المدن • ولعل نظم الوراثة ومكانة المرأة فى المجتمع ، ونظم الزواج والاستجابة للقوانين الوضعية وقوانين الضرائب تعطى فكرة عن مدى سيادة الاسلام وتعاليمه وتأصلها فى المجتمع الافريقى(٥٢) •

ومن الناحية السياسية لا يفصل الاسلام — كما نعلم — بين السلطتين الدينية والسياسية فالخارج عن سلطة الحاكم المسلم — عدو لله • وفى ظل هذه النظرة أعلن الحكام المسلمون الجهاد ضد الخارجين عن سلطانهم •

وقد حاول حكام غرب افريقيا المسلمون تقليد نظم الحكم السائدة فى البلاد الاسلامية الاخرى على قدر ما سمعوا عنها وما فهموها • ولاشك فى أن النظام السياسى الذى وجد مع الاسلام اضعف الى حد كبير النظام القبلى والولاء للسلطات القبلية التى كان لها نفوذ كبير قبل الاسلام(٥٣) •

هذا ومن الناحية الاقتصادية شجع الاسلام العمل والانتاج وبالطبع دخلت مع المسلمين ومع الاحتكاك الجديد محاصيل زراعية جديدة وأوجه

(٥٢) Trimingham, S. : Islam in west Africa p.p. 124

(٥٣) Anderson, J.N. : Islamic law in Africa p. 168.

جديدة للنشاط الاقتصادى • كما نشطت التجارة فى ظل الأمن الــذى ساد البلاد والآفاق الجديدة والتى فتحت للمعاملات • والاسلام ــ كما نعلم ــ يحترم الملكية الفردية ، ويأمر بالصدقة ويعترف بالوراثة ، ويعتبر الاسرة وحدة اقتصاديه لها كيانها الخاص • وكل هذه كانت لها آثارها على اقتصاد غرب أفريقيا •

وقد أشرنا الى أن طريقة (التبادل) التجارى لم تعد صالحه للمجتمع الجديد ــ فدخلت النقود ، كما دخلت الموازين والمكاييل • ويعطينا البكرى صورة للتطور الاقتصادى الذى طرأ على المجتمع الافريقى فى غــرب القارة ، وعن دور الموانى المغربية والقبائل المغربية فى ذلك ، والســلع التى أصبحت تلعب دورا رئيسيا فى هذا النشاط ، ويشير الى أن اللغة العربية باعتبارها لغة مكتوبة ولغة مشتــركة لعبت دورهــا فى هــذا المجــــــــال (٥٤) •

وبالتالى فان الاسلام أدى لمضاعفة النشاط التجارى ، وهذا بدوره ساعد على انتشار الاسلام واللغة العربية • ويعطى لنا البكرى أمثلة لالفاظ عربية استحدثت فى المعاملات التجارية (كالشبر) مثلا ، كما يذكر ان عقود البيع والشراء أصبحت تستهل بالبسملة ، كما أن الأرباح أصبح يراعى فيها النسبة الشرعية(٥٥) •

هذه لمحة سريعة عن أثر الاسلام على المجتمع فى غرب أفريقيــا • ولعنا لا نستطيع أن ندرك عمق هذا الاثر الا اذا أخذنا صورة واقعية لهذه المجتمعات الافريقية قبل الاسلام ــ وقارنا بين الصورتين •

ومع أن ما كتب عن وضع هذه المجتمعات قبل الاسلام لا يعــدو أن يكون بيانات متناثرة عما شاهده أو سمع عنه الرحــالة الاجانب ، والكثير منها تعوزه الدقة ــ فان هذا القليل بالمقارنة بالاوضاع الجديدة فى هذا المجتمع يعطى صورة عن عمق هذا الاثر الذى تركه الاسلام فى النسيج الاجتماعى فى غرب أفريقيا •

---

(٥٤) البكرى : مرجع سابق ص ١٧٣ .
(٥٥) نفس المرجع السابق ــ ونفس الصفحة .

مكتبة البحث

اولا ـ مصادر ومراجع عربية او معربة

١ ـ **آدم ، عبد الله الألورى :**
الاسلام فى نيجيريا (بيروت ١٩٧١) .

٢ ـ **عبد القاهر بن محمد أحمد بن حسن :**
الخبر عن ظهور الفقيه العياشى بهذه البلاد ، وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم ٩١/د)

٣ ـ **ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجى :**
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بولاق ١٩٣٢)

٤ ـ **البكرى ، أبو عبيد الله ، عبد الله بن العزيز بن أبى مصعب البكرى :**
المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (نشر دى سلان ـ الجزائر١٨٥٧)

٥ ـ **بلو ، محمد :**
نفاق الميسور فى أخبار البشر (نشره وتنج ـ لندن ١٩٥١)

٦ ـ **توماس ، أرنولد :**
الدعوة الى الاسلام ـ (ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ـ القاهرة ١٩٤٧) .

٧ ـ **حسن أحمد محمود :**
الاسلام والثقافة العربية فى أفريقية (القاهرة ١٩٦٣)

٨ ـ **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد :**
العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٦ (بولاق ١٢٨٤ هـ)

٩ ـ **الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصارى :**
معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان (٤ أجزاء ـ تونس ١٣٢٠ هـ)

١٠ ـ **السعدى ، بن عبد الله بن عمران :**
تاريخ السودان (طبعة هوداس ١٨٩٨) .

١١ ـ **عبد الرحمن زكى :**
الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا (١٩٦٥)

١٢ ـ **عبد الرحمن زكى :**
المراجع العربية عن غرب افريقية (١٩٦٧) .

١٣ ـ **العياشى ، أبو العباس أحمد بن أحمد العياشى :**
كشف الحجاب على من تلقى مع التيجانى من الاصحاب (فاس ١٣٢٥هـ)

١٤ ـ **العياشى :**
جواهر المعانى ، وبلوغ الامانى فى فيض الشيخ التيجانى ـ الكناش (القاهرة ١٣٤٥ هـ) .

١٥ ــ العمرى : (شهاب الدين احمد بن فضل الله)
مسالك الابصار فى ممالك الأمصار .
١٦ ــ قداح ، نعيم :
افريقيا الغربية فى ظل الاسلام (دمشق ١٩٦٠)
١٧ــ كعت ، أبو الثناء محمود بن عمر كاتى الصنهاجى التمبكى :
تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر النـاس (نشر هوداس ، وديلافوس ــ باريس ١٩١٣) .
١٨ ــ المراكشى ، عبد الواحد :
المعجب فى تلخيص اخبار المغرب (القاهرة ١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٩) .
١٩ ــ المقرى ، أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى :
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب (بولاق ١٨٦٢) .

ثانيا ــ المراجع الاجنبية

1. Anderson, J. N. : Islamic Law in Africa (London 1966).
2. Barth, H. : Traveis and Discoveries in North and Central Africa (1849-1855). Vol. IV (London 1859).
3. Carpenter, G. W. : The Role of Christianity and Islam in Contemporary Africa.
4. Deschamps, H. : Les Religions de l'Afrique Noir (1948).
5. Diop, Anta : L'Afrique Noire Pré - Coloniale (Paris 1952).
6. Dubois, F. L. : Islam Noir (Paris 1899).
7. Dubois, F. L. : Tomboctou la Mysterieuse (Paris 1899).
8. Fage, U. D. : An Introduction to the History of west Africa (Cambridge 1955).
9. Meek, C. K. : The Northern Tribes of Nigeria 2 Vols. (London 1955).
10. Niam, D. Jebril : L'Emperè de Mali (Conakry 1941).
11.. Niam, D. Jebril : Ghana (Conakry 1959).
12. Niam and Conale : Histoire de l'Afrique Occidentale (Conakry 1960).
13. Palmer, H. R. : Islam in Western Sudan and on the west Coast of Africa (1926).
14. Pory, John (Publisher) : The History and Desctiption of Africa ; written by al Hassan Ibn Mohammed el Wzan al Fase (London 1896).
15. Trimingham, J. Spencer : Islam in West Africa (Oxford 1864).
16. Trimingham, J. Spencer : Christian Church and Islam in West African (London 1955).

اداة التعريف
فى الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا

دكتور مصطفى حجازى السيد حجازى
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القــاهرة

هدف هذا البحث هو دراسة ظاهرة لغوية لها أهميتها فى بحث الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ، وهى ظاهرة أداة التعريف العربية . وذلك بحصر الصور الصرفية المختلفة للأداة ، وبيان موقعها فى التراكيب العربية المقترضة ، وبحث خضوع الكلمات المقترنة بها للنظام الصرفى للغة الهوسا .

وقد تتبعت هذه الظاهرة فيما جمعت من مادة علمية للكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ، أثناء قراءاتى لكثير من كتب الأدب الهوسوى ، وكذلك معجم أبراهام(١) . وبعد الحصر وجدت أنها مائة وإحدى عشرة كلمة تسير على النحو التالى :

(٢)
٦٨ كلمة تقترن بأداة التعريف / ?al /

٢٣ كلمة تقترن بمتغاير أداة التعريف / ?a /

١٠ كلمات تقترن بمتغاير أداة التعريف / li /

١٠ كلمات تقترن بمتغاير أداة التعريف / la /

---

(١) Abraham R.C. :Dictionary of the Hausa Language,liondon, 1973

(٢) صوت /?/ ينطق مثل الهمزة فى اللغة العربية

أولا : الصور الصرفية لأداة التعريف :

أداة التعريف العربية هى « ال » بصورتيها المدغمة وغير المدغمة ، وقد اتخذت هذه الأداة فى الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا الصور الآتية :

تأتى الكلمة العربية المقترضة مقترنة بأداة التعريف /?al/ — اللام القمرية — على النحو التالى :

الأمثلة :

الأمر	<	?al?amari
العمود	<	?al?amuudi
البصل	<	?albasa
الفخر	<	?alfahari
الغرارة	<	?algaraara
الخميس	<	?alhamiis
الكوثر	<	?alkawasara
المحرم	<	?almuharram

وتأتى متغايرات أداة التعريف على النحو التالى :

(أ) المتغاير ?a+C[1] — اللام الشمسية — حيث يحذف صوت اللام ويضاعف الصوت الساكن الأول .

الأمثلة :

الدين	<	?addiini

---

(١) C = الصوت الساكن الأول .

?addaa?ira	<	الدائرة
?annabi	<	النبي
?annuuri	<	النور
?attaajiri	<	التاجر
?attaka		الطاقة
?azzaalumi		الظالم

(ب) المتغاير /li/ حيث تحذف همزة الوصل وتنقل حركة همزة الوصل /i/ إلى ما بعد اللام .

الأمثلة :

litineen	<	?al-?itineen	<	الإثنين
likkaafa	<	?al-kkaafa	<	الركاب
lissaafi	<	?al-ssaafi	<	الحساب
littaafi	<	?al-ttaafi	<	الكتاب

(جـ) المتغاير /la/ حيث تحذف همزة الوصل وتضاف حركة /a/ أو /aa/ بعد صوت اللام .

الأمثلة :

la?asar	<	?al-?asar	<	العصر
laabaari	<	?al-baari	<	الأخبار
laafiiya	<	?al-fiiya	<	العافية
laahira	<	?al-hira	<	الآخرة
laraba	<	?al-raba	<	الأربعاء
layma	<	?al-yma	<	الخيمة

(د) وقد يحذف التضعيف وتبقى همزة الوصل .

الأمثلة :

?araadu < ?ar-radu < الرعد

?asiiri < ?as-siirii < السر

?asalaatu < ?as-salaatu < الصلاة

?asubaahi < ?as-subaahi < الصباح

?aturaabi < ?at-turaabi < التراب

?azahar < ?az-zahar < الظهر

?azakari < ?az-zakari < الذكر

وقد تأتى الكلمة مقترنة بأداة التعريف والتنوين فى وقت واحد .

مثال :

?al?abadan < أبداً

ثانياً : موقع أداة التعريف فى التراكيب المفترضة .

(أ) تأتى أداة التعريف فى الكلمة المركبة من المضاف والمضاف إليه .

الأمثلة :

huurul?ayni < huuru-l-?ayni < حور العين

baytulmaali < baytu-l-maali < بيت المال

(ب) وتأتى فى كلمة مركبة من الجار والمجرور مع الإبقاء على حركة الكسرة بعد المجرور .

الأمثلة :

kal?adami < ka-l-?adami < كالعدم

fil?azali < fi-l-?azali < فى الأزل

(جـ) وقد تأتى مسبوقة بأداة القسم .

الأمثلة :

billaahi < bi-l-laahi < بالله

tallaahi < ta-l-laahi < تالله

(د) وقد تأتى فى كلمة مركبة من حرف العطف والمعطوف عليه .

مثال :

wassalaam < wa-?as-salaam < والسلام

(هـ) وقد تأتى فى جملة أو شبه جملة مقترضة من اللغة العربية مع الإبقاء على حركات الإعراب .

الأمثلة :

?al?ilmu ?inda llaahi < العلم عند الله

?alhamdu lillahi < الحمد لله

baynal mala?i < بين الملإ

(1)

bišiql ?anfusi < بشق الأنفس

?al sabillmisaali < على سبيل المثال

ثالثاً : إخضاع الكلمة المقترضة للنظام الصرفى للغة الهوسا .

عند إدخال أداة التعريف فى بنية الكلمة المقترضة ، يتم إخضاعها للنظام الصرفى للغة الهوسا ، فنجد بعض الكلمات تتقبل الوحدات الصرفية شأنها فى ذلك شأن كلمات الهوسا الأصيلة .

وفيما يلى القواعد الصرفية العامة للغة الهوسا التى تطبق على الكلمات العربية المقترضة مقترنة بأداة التعريف ، مع التمثيل لكل قاعدة بمثال من لغة الهوسا ، ثم مثال أو أكثر من الكلمات العربية المقترضة .

(١) q = القاف العربية ، š ينطق كما ينطق صوت الشين فى اللغة العربية

التذكير والتأنيث :

باستثناء بعض الكلمات الشاذة يعتبر الاسم فى لغة الهوسا مذكراً بطبيعته وفى حالة تأنيث الاسم المذكر المقترض من العربية ، تضاف إليه إحدى اللواحق الهوسوية التالية بعد حذف الحركة النهائية من المذكر :

١ — /-iiyaa/

مثال من الهوسا :

والد				mahayfii
والدة		*mahayfi-iiyaa	<	mahayfiiyaa

وقياساً على ما سبق تطبق تلك القاعدة على الكلمات العربية المقترضة .

مثال :

الحاج	<			?alhaji
الحاجة		*?alhaji+iiyaa	<	?alhajiiyaa

٢ — /a/ أو /aa/

مثال من الهوسا :

خبير أو ماهر				gwaanii
خبيرة أو ماهرة		*gwaanii+aa	<	gwaanaa

أمثلة من الكلمات المقترضة :

مهاجر أو تلميذ				?almaajirii
مهاجرةوتلميذة	<	*?almaajiri+aa	<	?almaajiraa
المبذر				?almubazzarii
المبذرة	<	*?almubazzarii+aa	<	.almubazzaraa
تاجر أو ثرى				?attaajirii
تاجرة أوثرية	<	*?attaajirii+aa	<	?attaajiraa

* صيغ صرفية إفتراضية .

التعريف والتنكير :

(أ) التعريف : يعرف الاسم فى لغة الهوسا بإحدى الطرق الآتية :

١ – إضافة اللاحقة /n/ لنهاية المذكر و /r/ لنهاية المؤنث بعد تقصير الحركة الطويلة .

مثال من الهوسا :

مدينة	garii	>	المدينة	garin
مرأة	maataa	>	المرأة	maatar

أمثلة من الكلمات المقترضة :

حاج	?alhaji	>	الحاج	?alhajin
صبح	?asubaahi	>	الصبح	?asubaahin
عادة	?al?aada	>	العادة	?al?aadar

٢ – وقوع الاسم بعد أو قبل اسم الإشارة مع إضافة الرابطة [n] إلى نهاية الاسم إذا تلاه أداة الإشارة /nan/

مثال من الهوسا :

هذه الفتاة	wannan yaarinya
هذه الفتاة	yaarinya⁀n⁀nan

أمثلة من الكلمات المقترضة :

هذا الحال	wannan ?alhaali
هذا الحال	?alhaali⁀n⁀nan
هذا الوعد أو القول	wannan ?alkaawari
هذا الوعد أو القول	?alkaawari⁀n⁀nan

٣ – إلحاق ضمير الملكية بالاسم وربط المضاف بالمضاف إليه بأداة الربط /n/ فى حالة المذكر ، و /r/ فى حالة المؤنث وتقصير الحركة النهائية

مثال من الهوسا :

مدينة	garii
مدينته	garinsa < garii ⁀ n ⁀ sa
عادة	?al?aada
عادتهم	?al?aadarsu < ?al?aada ⁀ r ⁀ su
جيب	?aljiifu
جيبه	?aljiifunsa < ?aljiifu ⁀ n ⁀ sa
خبر	laabaari
خبرهم	laabaarinsu < laabaarri ⁀ n ⁀ su

(ب) التنكير : يتم تنكير الاسم بوضع كلمة /wani/ قبل المذكر /wata/ قبل المؤنث و /waḍnsu/ قبل الجمع .

مثال من الهوسا :

ولد ما	wani yaaro
بنت ما	wata yaarinyaə
بعض الأولاد	waḍansu yaəraa

مثال من الكلمات المقترضة :

قاض ما	wani ?alkaali
عادة ما	wata ?al?aada
بعض الأخبار	waḍansu laabaaru

جمع الاسم :

توجد عدة أنماط فى لغة الهوسا لتحويل الاسم من المفرد إلى الجمع منها :
أولا : إضافة أحد متغايرات مورفيم الجمع [-ay] بعد حذف الحركة

النهائية من الجذر .

ثانياً : بوقوع تغيرات صوتية فى الجذر مع إضافة متغاير مورفيم الجمع .

ثالثاً : بوقوع متغايرات الجذر .

وفيما يلى أنماط الجمع المستعملة فى جمع الأسماء العربية المقترضة فى لغة الهوسا والمقترنة بأداة التعريف .

أولاً : /-ay/ هو النمط السائد لجمع الأسماء المقترضة فى لغة الهوسا لذلك جعلته هو المورفيم الأساسى وباقى الأنماط متغايرات له .

مثال من الهوسا :

biray < birii+ay القردة < birii القرد

أمثلة من الكلمات المقترضة :

?əlhaa?inay < ?alhaa?ini⁀ay الخونة < ?alhaa?ini الخائن

?alkaalay < ?alkaali⁀ay القضاة < ?alkaali القاضى

?attaairay < ?attaajiri⁀ay تجار < ?attaajiri تاجر

?azzaalumay < ?azzaalumi⁀ay الظالمون < ?azzaalumi الظالم

٢ — المتغاير /-ii/

مثال من الهوسا :

tabarmii الحصر < tabarma⁀ii < tabarma الحصيرة

مثال من الكلمات المقترضة :

?aljannii < ?aljann⁀ii عفاريت < ?aljan عفريت

٢ — المتغاير /-ooCii/ (١) :

مثال من الهوسا :

hanyooyii < hanya⁀ooCii طرق < hanya طريق

(١) C = الصوت الساكن الأخير من الإسم .

أمثلة من الكلمات المقترضة :

?al?aadoodii	<	?al?aada⁀ooCii العادات	<	?al?aada العادة
?alkaryooyi	<	?alkarya⁀ooCii القرى	<	?alkarya القرية
?addaa?iroorii	<	?addaa?ira⁀ooCii الدوائر	<	?addaaira الدائرة

٣ — المتغاير /-uu/

مثال من الهوسا :

zakaruu	<	zakəra⁀uu الديوك	<	zakara الديك

أمثلة من الكلمات المقترضة :

?al?aaduu	<	?a'l?aada⁀uu العادات	<	?al?aada العادة
?alkaryuu	<	?alkarya⁀uu القرى	<	?alkarya القرية
ɭaabaaruu	<	laabaar⁀uu الأخبار	<	laabaari الخبر

٤ — المتغاير /-una/ :

مثال من الهوسا :

zaakunə	<	zaaki⁀una الأسود	<	zaaki الأسد

من الكلمات المقترضة :

?aljiifuna	<	?əljiifu⁀una الجيوب	<	?aljiifu الجيب
?alluna	<	?alloo⁀una الألواح	<	?alloo اللوح

٥ — المتغاير /-wa :

مثال من الهوسا :

hannuwa	<	hann⁀uwa أيدى	<	hannu يد

من الكلمات المقترضة :

?annabaawa	<	?annabii⁀wa الأنبياء	<	?annabii النبي

ثانياً : بوقوع تغيرات صوتية فى الجذر مع إضافة متغايرات مورفيم الجمع الآتية :

١ – المتغاير /-uCCuka/ حيث CC مكرران للصوت الساكن الأخير.

مثال من الهوسا :

ليل daree < ليالى daree⁀uCCuka < darurruka

مثال من الكلمات المقترضة :

خبر laabaari < أخبار laabaari⁀uCCuka < laabaarurrukə

٢ – المتغاير /-uCCa/ حث CC تكرار لآخر صوت ساكن فى الجذر.

مثال من الهوسا :

سيف takoobi < سيوف takoobi⁀CCa < takoobba

من الكلمات المقترضة :

الأمر ?al?amari < الأمور ?al?umari⁀uCCa < ?a?amurra

الوعد ?alkaawari < الوعود ?alkaawari⁀uCCa < ?alkaawurra

التعبير عن الحدث :

يعبر عن الحدث باشتقاق مادة الفعل من الإسم ثم إضافة مورفيات الزمن التى منها /-taa/ بعد حذف الحركة الأخيرة من الإسم .

مثال من الهوسا :

الكذب qarya < qarya⁀ta < qaryata

كذب yaa qaryata

من الكلمات المقترضة :

الخبر laabaari < laabaari⁀taa < laabərtaa

المتكلم :

قلت له naa laabartaa masa

قلنا له mun laabartaa masa

---

(١) التتابع CVV⁀CC < CVCC

الغائب :

قال له	yaa laabartaa masa
قالت له	taa laabartaə masa
قلن أو قالوا له	sun laabartaa masa

المخاطب :

قلتَ له	kaa laabartaa masa
قلتِ له	kin laabartaa masa
قلتن أو قلتم له	kun laabartaa masa

وهكذا فيما يلى من الأمثلة :

حساب lissaafi > lissafi taa >	kessaftaa
حسب	yaa kissaftaa
الوعد أو القول ?alkaawari > ?alkaawari taa >	alkaawartaa
وعد	yaa ?alkaawartaa
القاضى ?alkaali > ?alkaali taa >	?alkaltaa
عين قاضيا	yaa ?alkaltaa

الفعل المتعدى :

يتحول الفعل اللازم فى لغة الهوسا إلى فعل متعد بحذف الحركة الأخيرة من الإسم وإضافة لاحقة التعدى /-ad/ أو /-ar/ فى تغاير غير مشروط متبوعاً بـ /da/

مثال من الهوسا :

خرج yaa fita > أخرجهم yaa fitar da su

من الكلمات المقترضة :

خبر laabaari

yaa laabartaa	قال
yaa laabartad da su	أخبرهم
?almaajiri	تلميذ
yaa ?almaajirtaa	تتلمذ
yaa ?almaajirtad da su	اتخذهم تلاميذ له

الصفة :

تشتق الصفة فى لغة الهوسا بقلب الحركة الأخيرة من الإسم إلى /a-/ وتضعيف الصوت الساكن الأخير متبوعاً بالحركة الأمامية /ee/ فى حالة المذكر ، والتتابع /iiyaa/ فى حالة المؤنث والحركة الخلفية /uu-/ فى حالة الجمع على النحو التالى :

مثال من الهوسا :

	<	raama نحافة
raamamme	<	نحيف
raamammiiyaa	<	نحيفة
raamammuu	<	نحاف أو نحيفات

مثال من الكلمات المقترضة :

	<	laafiya سلامة
laafiyayyee	<	سليم
laafiyayyiiyaa	<	سليمة
laafiyayyuu	<	سالمون ، سالمات

الحال :

يتكون الحال فى لغة الهوسا بقلب الحركة الأخيرة من الإسم إلى /ee-/ ووضع المورفيم /?a/ قبله.

مثال من الهوسا :

?a zawnee جالساً < yaa zawna جلس

مثال من الكلمات المقترضة :

?asirtaa	< (1)	?asiiri	السر
?a ?asircee	<	yaa ?asirta	أسر

الاسم الدال على الحدث :

يتكون الإسم الدال على الحدث فى لغة الهوسا بحذف الحركة الأخيرة من الإسم وإضافة اللاحقة /-ci/ أو /-anci/ .

مثال من الهوسا :

?amarci	<	?amaara⁀ci	عرس	<	عروس	?amaara

من الكلمات المقترضة :

?aljanci	<	?alijan⁀ci	مهارة	<	عفريت	?aljan
?almaajirci	<	?almaajiri⁀ci	تلمذة	<	تلميذ	?almaajirii
?alkaalanci	<	?alkaali⁀anci	القضاء	<	القاضى	?alkaali
		?amubazzarii⁀anci	التبذير	<	المبذر	?almubazzarii
		?amubazzaranci		<		

---

(١) ينتهى الفعل فى لغة الهوسا ،بإحدى الحركات i ؛ ee ؛ a ؛ u وفى حالة وقوع الحركتين الأماميتين i ، ee بعد صوت /t/ يقلب هذا الصوت الساكن إلى c وينطبق كما ينطبق الصوت الأول فى كلمة Chair الإنجليزية .

ملحوظة : فى نهاية هذا البحث أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى أستاذ اللغويات بكلية الآداب جامعة القاهرة لاهتمامه بمراجعة البحث منهجياً بدقة وإخلاص .

أهم مصادر المـــادة العلمية .

Abraham : Dictionary of the Hausa language, university of london press 1973

Ahmed Umar Balarabe: Bora da Mora, N.N.P.C.

Balew Abubakar Tafawa : Shaihu umar, N.N.P.C. 1973

Bamalli Nuhu : Bala Da Babiya, N.N.C.P. 1973

Bello,walin katsina : Gandoki, N.N.C.P. 1973

Dembo : wasannin yara, N.N.P.C. 1973.

Gogge Adamu and Dauda Kano : Tabarmar kunya, N.N.P.C.1973

Imam,Abubakar : 1-Magana jari ce I, II, III N.N.P.C. 1973
2-Ruwan Bagaja. N.N.P.C. 1973

Ingawa, Ahmadu : Iliya Dan Maikarfi, N.N.P.C. 1973

Ka'oje Abdullahi : Dare Daya, N.N.P.C. 1973

Makarfi shu'aibu : Jatau Na Kyallu, N.N.P.C. 1970

Rimmer, Ahmadu Ingawa and Abu Musawa and Yakubu Auna:
Zaman mutum da sana ?arsa, N.N.P.C. 1970

Tunau Abubakar : Wasan Marafa

Wusasa, Tafida : Jiki Magayi, N.N.P.C.

Yahaya Ibrahim yaro: Daren sha Biya, N.N.P.C. 1971
: Karamin sani I, II, N.N.P.C. 1973
: Ka Fara Karatu, N.N.P.C. 1971
: Ka yi ta karatu, N.N.P.C. 1973

N.N.P.C. = Norther Nigerian Publishing Company, Zaria, Nigeria

تطور نظام الحكم فى قرطاج

للدكتــــور فــوزى مكــاوى

بقيت قرطاج ملء السمع والأبصار لسبعة قرون تقريبا (٨١٤ — ١٤٦ ق • م) • احتكرت التجارة والكشوف الجغرافية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط والمحيط الأطلنطى وكانت عاملا رئيسيا فى اقرار السلم أو اشعال الحرب فى العالم ، كما كانت شريك القوى العظمى المعاصرة لها فى تقرير مستقبل ذلك الزمان • وبالاضافة الى كل ذلك حكمت قرطاج امبراطورية بحرية وبرية واسعة شملت عديدا من جزر البحر المتوسط وسواحل شمال أفريقيا غرب النفوذ المصرى فضلا عن شبه جزيرة ايبيريا وبعض سواحل أفريقيا الى المحيط •

هذه المدينة العظيمة سيرت شئونها بلا شك حكومة قديرة نجحت فى تحقيق حالة الرخاء للمدينة فى أغلب سنوات حياتها • وكانت تلك الحكومة قادرة على مواجهة متطلبات الحكم فى الداخل والمستعمرات وكانت ترسم سياسة المتقبل وصداقات الحاضر بالنسبة للدولة •

هذه الحكومة ضمت بلا شك عددا من المؤسسات وعديدا من الموظفين مثلها فى ذلك مثل روما وغيرها • وقد أعجب بهذه الحــكومة كثير من المفكرين الاغريق والرومان ، فقال أرسطو « ويظهر أن القرطاجيين ينهجون فى سياستهم منهجا حسنا ، ويبزون غيرهم فى كثير من شرائعهم » وذكــر اراتستثينس أن قانونهم كان حسنا الى حد لا يمكن معه اعتبارهم برابرة أما بوليبيوس فأشار الى اعجاب جل المؤرخين بنظم قرطاج ويؤكد من ناحيته حسن انتظام أمورهم وشرائعهم الى عهد الحرب البونيقيــة الثانية (١) •

(١) اكسيل ، اسطفان ، تاريخ شمال أفريقيا القديم ، ترجمة محمد التازى سعود ، الكتاب الثانى الفصل الأول ص ٢٣٥ (الترجمة غير منشورة ، وقد استخدمتها باذن شخصى من المترجم فله الشكر .

ولكن البحث فى هذا الموضوع تصادفه الصعوبات المعتادة التي يلاقيها كل من اقترب من التاريخ القرطاجي يستنطقه ، فالمدينة دمرت والوثائق ضاعت والباقى من مصادرها الأدبية كتبه مؤرخو الأعداء الذين لا ينتظر منهم انصاف قرطاج فضلا عن ابراز مزايا حكومتها •

ومع ذلك فان هذه الصعوبات تحفز الباحث أكثر مما تحبط عزمه وهو يعلم مسبقا أن رسم صورة الحكومة القرطاجية وتطورها لن تحقق كل أغراضها ولن تكون الصورة بالوضوح الذى يتمناه • ويرى الباحث أن رسم صورة تلك الحكومة حتى ولو نقصتها بعض التفصيلات اسهام ضرورى من أجل الوصول الى كتابة تاريخ قرطاج بقلم منصف محايد •

مصادرنا الأدبية عن هذا الموضوع محدودة ومع ذلك فهى مشتتة : فقرة هنا وسطر هناك • ويمكننا الاشارة فى ذلك الى عدد من العبارات وردت عند هيرودوت (١) وبعض الصفحات عند بوليبيوس (٢) الذى أخذ عنه ليفيوس (٣) وديودورس الصقلى (٤) وبعض المعلومات التى وردت عند تروك بومبى فى ملخص جستينوس (٥) له ويبدو أن بومبى نفسه أخذ عن تيمايوس • يضاف الى ما سبق ما ذكره أرسطو فى كتاب السياسات عن الدستور القرطاجي فى مجال مقارنته مع الدساتير الاغريقية الأخرى (٦) • يحد من أهمية هذه المصادر بالنسبة لموضوعنا تناولها للموضوع بصورة عمومية وبطريقة عرضية ، يستثنى من ذلك أرسطو الذى أفرد عددا من الصفحات للحديث عن دستور قرطاج بالاضافة الى عدد من الاشارات المتفرقة فى الكتاب • ويعيب هذه

---

(١) HERODOTUS, THE HISTORIES, Penguin classics, 1954.

(٢) POLYBIUS, THE HISTORIES, Loeb classical liberary, 1977,

(٣) LIVY, THE WAR WITH HANNIBAL, Penguin classics, 1965

(٤) DIODORUS SICULUS, THE HISTORY OF ..., loebclassical liberary. 1946-1963.

(٥) JUSTINUS, J ; HISTORIAE PHILIPPICAE, ed Ruhl, 1888

(٦) أرسطو ، السياسات ، ترجمة الأب أوغسطينس بربارة البوليسى ، بيروت ١٩٥٧ •

المصادر تعرضها لموضوع بعيد عن خبرة مؤلفيها ومن ثم قدموا أوصافا وأسماء لا تطابق الحقيقة تماما فى كثير من الأحيان ما رأوه أو سمعوا عنه من مؤسسات ووظائف بونيقية • وأخيرا يلاحظ على هذه المصادر أنها عرضت موضوع الحكومة القرطاجية كما لو كانت هذه الحكومة كيانا ثابتا لم يتغير منذ بداية حياة المدينة الى تدميرها •

يضاف الى المصادر الأدبية المصادر غير الأدبية ومن ثم نتجه الى الحفائر الأثرية فى قرطاج والمناطق التى خضعت لنفوذها لعلها تساهم فى القاء بعض الضوء على ما غمض من معلومات • الا أن مساهمة هذه الحفائر فى ميدان بحثنا ما تزال محدودة رغم أنها تقدم عددا من أسماء الوظائف والمؤسسات القرطاجية ولكنها لا تعطى أية معلومة عن طريقة تسيرها أو تطورها ، كما يلاحظ على ما اكتشف من نقوش أنها لا تغطى الا القرنين الأخيرين من حياة المدينة •

وهكذا يجد الباحث نفسه أمام فجوات كثيرة فى الدراسة فيضطر للاتجاه الى الاستقراء الحذر لمحاولة استكمال صورة الحكومة القرطاجية وتطورها فى مراحل حياة المدينة • وفى هذا نلجأ الى المقارنة بين ما كان قائما فى قرطاج والحكومات التى عرفتها المدن التى نجت من التدمير لما تخلت عن حلف قرطاج • وكانت تلك المدن قد احتفظت ببعض مظاهر حياتها السابقة رغم وقوعها تحت السيطرة ثم الاستعمار الرومانى •

مرت الحكومة القرطاجية بعديد من التطورات متوافقة فى ذلك مع تطور ظروف المدينة ومن ثم عرفت قرطاج حكومة ملكية من بداية حياتها الى عام ٣٧٠ ق • م وان لوحظ وقوع تطورات هامة فى شكل تلك الحكومة بعد استيلاء أسرة ماجون على الحكم فى حوالى عام ٥٣٠ق•م بل ان حكم أسرة ماجون شهد هزائم وانتصارات حربية ألقت بظلالها على شكل الحكومة فى داخل قرطاج •

ثم عرفت قرطاج مرحلة جديدة من الحكم سيطرت الارستقراطية فيها على الحكومة سيطرة كاملة ، وان عرفت قرطاج خلال الفترة الأولى

من هذه المرحلة وجود بعض الملوك ، أما الفترة التى فصلت بين نهاية الحرب البونيقية الأولى ونهاية الحرب البونيقية الثانية فقـد عرفت سيطرة أسرة بركا على القيادة العسكرية فضلا عن امتداد نفوذهم على المدينة .

وقد تميزت فترة البركيين بضعف الارستقراطية التقليدية وتزايد مظاهر الديمقراطية .

امتدت الفترة الأخيرة الى هزيمة هانيبال فى زاما عام ٢٠١ ق . م وهى فى حقيقتها فترة سيطرة رومانية خضعت فيها الحكومة القرطاجية للتدخل الخارجى الذى انتهى بتدمير المدينة .

* * *

اشتملت الحكومة القرطاجية على عدد من الوظائف والهيئات ، وقد تعرضت هذه الوظائف وتلك الهيئات لكثير من التغييرات فى طبيعة الوظيفة وسلطاتها بل فى بعض الأحيان شمل التغيير اسم الوظيفة نفسها . وفيما يلى أقدم دراسة لكل وظيفة ولكل هيئة فى الحكومة القرطاجية مع اثبات ما اعتراها من تغير خلال الفترات التاريخية التى سبقت الاشارة اليها .

أولا : رئاسة الدولة القرطاجية (الملوك ثم القضاة)

تشير مصادر عدة الى وجود ملوك قرطاجيين ، فأسطورة نشـأة قرطاج تتحدث عن اليسا كملكة على المدينة ، كما يشير جستنيوس الى ملك قرطاج يدعى مالخوس كان على رأس الدولة خلال القرن السادس ، وبصرف النظر عن اشارة المؤلف الى مالخوس كملك فان كلمة مالخوس نفسها ربما كانت تحـريفا لكلمة ملك السامية ، وهناك أيضـا اشارة عند هيرودوت تتحدث عن هملكار كملك قرطاجى فى أوائل القرن الخامس ق . م (١) .

استخدم المؤلفون الاغريق والرومان كلمة ملك Basilius ترجمة للقب القرطاجى الذى يطلق على رئيس الدولة . وقد شكك كتاب محدثون فى صحة هذه التسمية وقالوا بأنها ترجمة خاطئة لكلمة شوفيت

(١) HERODOTOS, OP. cit. B VII , 161-167.

أو قاضى التى وردت علما على رئيس الدولة القرطاجى عند بعض المؤرخـــين (١) أمثـــال بوليبيوس (٢) وتيتوس ليفيوس (٣) وكذلك على النقوش المتأخرة • ولكن العثور على نص بونيقى فى اتروريا حسم الخلاف وأوضح أن المؤرخين الذين استخدموا كلمة ملك REX انما ترجموا كلمة ملك السامية • هذا النص يتحدث عن تقدمه للالاهة عشترت قدمها تفاريا فلياناس THEFARIA VELIANAS ملك كايرى CAERE (٤) ولا يعنينا هنا موضوع التقدمة ولكن الذى يشدنا هو الاشارة الى ثيفاريا هذا بلقب ملك MLK وتتكرر هذه الكلمة مرتين فى النص ، ولما كان هذا النص قد كتبه الملك الأتروري باللغة البونيقية فمن المنطقى الاعتقاد بأنه أستخدم التسمية البونيقية لنظيره فى قرطاج وعلى هذا يمكن القول بأن القرطاجيين قد استخدموا على الأرجح كلمة ملك علما على وضع رئيس الدولة فى مرحلتها الأولى •

ولم تكن الملكية فى قرطاج وراثية ابنا عن أب اذ يذكر هيرودوت أن هملكار قد اعتلى العرش القرطاجى لصفاته الحميدة ، الا أننا نلاحظ أن أسرة ماجون قد استمرت تقدم ملوكا لقرطاج بصفة مستمرة لفترة امتدت من عام ٥٣٠ تقريبا الى عام ٣٧٠ ق • م وهو الأمر الذى يدعونا للقول

---

(١) G.C. PICARD, VIE ET MORT DE CARTHAGE, Hachette, 1970 p.81.

(٢) Polybius, op. cit.,

(٣) LIVY, op. cit., XXVIII, 37 & XXX 5, 7.

(٤) عثر فى عام ١٩٥٧ م فى برجى Pyrgi احدى موانى كايرى باتروريا على ثلاث قطع من رقائق الذهب كتب على اثنتين منها نقش بالاترورية والثالث كتب بالبونيقية وتشير النقوش الثلاث الى موضوع واحد هو تقدمة ثيفار يا فلياناس لعشترت . والنص البونيقى يقول : « الى الالاهة عشترت . هذا هو المكان المقدس الذى اقامه ثيفاريا فلياناس ، ملك كايرى ، فى شهر تقديم القرابين للشمس واعطاه كهدية ... لأن عشترت قد رعته فى سنى حكمه الثلاثه (المنصرمة) . » ولا يمكننا تأريخ هذا النص بدقة ولكن المؤكد انه سابق على قيام الجمهورية الرومانية فى عام ٥٠٩ ق. م.
OGILVIE, R. M., EARLY ROME AND THE ETRUSCANS, GLASGOW 1979, pp. 82 - 83.

بأن الملكية كانت وراثية فى داخل الأسرة المالكة على الأقل حتى سقوط أسرة ماجون (١) .

ويؤكد هذا الاعتقاد أن هملكار — المشار اليه — اعتلى العرش رغم انتسابه لفرع ثانوى من الأسرة المالكة وفى وجود ثلاثة يسبقونه فى القرابة الى الملك الراحل .

والملكية القرطاجية كانت على ما يبدو ذات أصول دينية وتظهر الطبيعة المقدسة للملكية القرطاجية فى تقديم الملوك لواجباتهم الدينية على واجباتهم العسكرية فنجد همكار — وهو الملك الذى عرف بالشجاعة — يقدم واجبه الدينى على واجبه العسكرى أثناء معركة هميرا ؛ فجلس يقدم القرابين للآلهة فى معسكره بينما كانت رحى المعركة تدور خارج المعسكر (٢) .

وتظهر الطبيعة الدينية للملكية القرطاجية أيضا فى تكرار تضحية الملوك بأنفسهم فى سبيل الدولة ، وكان يتم ذلك بقتل الذات . فالملكة اليسا عندما خيرت بين الزواج من الملك الوطنى أو أن تواجه مدينتها الحرب ، وجدت الحل فى الانتحار لكى تهب المدينة فرصة الحياة . والملك هملكار ألقى بنفسه فى النار ومات عندما بلغه خبر هزيمة جيشه فى هميرا . وكان الانتحار الملكى فى سبيل الدولة لا يدين صاحبه بل كان يؤدى الى رفعه الى مصاف الأبطال وتقام له النصب والصلوات فى المدينة وفى كل أجزاء الامبراطورية (٣) . وقد حدث هذا للملكة اليسا التى ألهها رعاياها

---

(١) يذكر اكسيل بأن ثلاثة اجيال من اسرة ماجون MAGON قد اعتلت العرش القرطاجى بحيث اعتلاه ماجون نفسه وابناه هسدروبال HASDROBAL وهملكار HAMILCAR, وكذلك أبناء هسدروبال الثلاثة وهم هنيبال وهسدروبال وسافو SAPHO ، كما تولاه أبناء هملكار الثلاثة وهم هملكون HAMILCON وحنون HANNOV وجسكون GISCONاسطفان أكسيل ، المرجع السابق ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٢) يقول هيرودوت « ... بقى هملكار فى المعسكر يحاول الحصول على فأل حسن بأضحياته وكان يحرق كل الجثث فى نار عظيمة ... »
HERODOTOS, OP. cit. B. VII 167.

(٣) قال هيرودوت « ... وتبقى حقيقة أن القرطاجيين يقدمون القرابين اليه (هملكار) ، وأنهم اقاموا النصب له فى كل مستعمراتهم بالاضافة الى قرطاج — المدينة الأعظم من الكل — نفسها ... »
HERODOIOS, Ibid, B.VII, 167.

بعد انتحارها واستمرت عبادتها فى قرطاج حتى تدمير المدينة [١] كما قدس الملك هملكار أيضا ، وكان القرطاجيون حريصين على ارضاء روحه بعد موته بواحد وسبعين عاما فقدموا آلافا من الأضاحى البشرية قربانا لروحه فى نفس موقع انتحاره عندما تحقق لهم النصر فى هميرا عام ٤٠٩ ق • م [٢] •

كان الملك يحكم طوال حياته فى بواكير تاريخ المدينة ولكنه كان فى حاجة لتجديد الثقة بقدرته على قيادة المدينة بصفة دورية ، ولعل هذا ما كان يقصده جستينوس عندما ذكر أن هسدروبال أختير دكتاتورا على قرطاج احدى عشرة مرة • ويرى الباحثان الفرنسيان بيكار فى هذا التجديد تأثيرا فرعونيا على قرطاج [٣] • والمعروف أن مصر عرفت عيد الحب سد منذ أسراتها الأولى حيث كانت تقام الاحتفالات من أجل تجديد الثقة فى الملك وقدرته وكان الحفل يقام مرة واحدة كل ثلاثين عاما • ويرى نفس الباحثين فى التجديد تشابها مع كريت فى العصر المينوى حيث كان الملك يذهب الى كهف فى جبل ايدا كل تسع سنين حيث يتلقى وحى الاله هناك [٤] وهو الأمر الذى اعتبره الباحثان نوعا من تجديد الثقة بقدرة

(١) MOSCATI, S., THE WORLD OF THE PHOENICIANS, LONDON, 1965, P 115.

(٢) يذكر بيكار اقتباسا عن ديودورس ان الملك القرطاجى هملكون Hamilcon الذى قاد معركة الثأر فى هيميرا حطم قبر ثيرون Theron فى اجريجنتوم وقبر جيلون قرب سيراكوز ، كما نهب جنوده عددا من المعابد الاغريقية وأسروا اللاجئين اليها ، بل ان هملكون استقر فى معبد زيوس فى سيراكوز وجعل منه مقرا لقيادته وترك جنوده ينهبون معبد ديمتير وكورى فى ضواحى اكرادينى Achradine والواضح من هذه الأعمال سيطرة فكرة الانتقام لروح هملكار ومن ثم وجه هملكون غضبه الى قادة الاعداء فى معركة هيميرا ٤٨٠ حتى ولو كانوا أمونا ، وكذلك أراد أن ينتقم حتى من آلهتهم الذين دعموهم فى تلك المعركة واختتم اعمال الانتقام بالتضحية بعدة آلاف من الأسرى الأغريق •

PICARD, OP. cit. P. 83.

(٣) انظر تفاصيل عن الحب سد ومنشآته الملحقة بمجموعة زوسر الجنزية •

عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، جـ ١ مصر والعراق ، القاهرة ، ١٩٧٦ ص ٩٣ — ٩٤ •

(٤) HOMEROS, ILIAD XIX, 172-180

الملك الكريتى • ولكن الملفت للنظر فى التجربة القرطاجية هو قصر مدة الدورة فقد حدثت احدى عشرة مرة خلال حكم هسدروبال وحده • ولعل هذه الدورة القصيرة كانت تطورا طرأ على سلطة الملك عندما زادت قوة الارستقراطية التجارية فى قرطاج وكان الملك فى حاجة دائمة الى اعترافها بملكه وتأييدها لبقائه •

كان الملك هو أيضا القائد الأعلى للجيش ، وكثيرا مـا قاد الملـوك القرطاجيون جيوش مدينتهم خلال معاركها ، ولكن هذا لم يمنـع من تعيين قادة آخرين فى بعض المعارك • وكانت للملك سلطة دعوة مجلس الشيوخ ورئاسة جلساته وحق عرض الموضوعات المطلوب اتخاذ قرارات فيها عليه • وكان له نفس الحق فيما يتعلق بالجمعية الشعبية ومن المؤكد أن الملك كانت له اختصاصات دينية وأخرى قضائية • ومع ذلك كانت سلطة الملك فى قرطاج سلطة مقيدة على الأقل منذ القرن السادس ق • م والأدلة على ذلك كثيرة فعندما وقع الخلاف بين مالخوس وجنوده من ناحية ومجلس الشيوخ فى قرطاج من ناحية أخرى أدى ذلك الى نفى الملك والجنود •

دليل آخر على عدم تمتع الملك القرطاجى بالسلطة المطلقة نراه فى مقدمة المعاهدة التى عقدت بين قرطاج وروما فى حوالى عام ٥٠٨ ق •م • تنص هذه المعاهدة على : « معاهدة صداقة معقودة بين الرومان وحلفائهم (طرف أول) والقرطاجيون وحلفائهم (طرف ثان) على الشروط التالية[١]

وهكذا نجد المعاهدة تحدد الطرفين المتعاقدين دون الاشـارة الى بالنسبة للدولة الرومانية التى كانت بالقطع فوق الأشخاص فانها اشارة الى أن ذلك كان مقبولا أيضا فى قرطاج وهو ما يمكن أخذه دليلا على أن الدولة فى ذلك الوقت كانت فوق الأشخاص ، وللمقارنة نشير الى مـا
الدولة فى ذلك الوقت كانت فوق الأسخاص ، وللمقارنة نشير الى مـا
ذكره نفس المؤرخ (بوليبيوس) عن اتفاقية هانيبال مع فيليب ملك مقدونيا فى عام ٢١٥ ق • م والتى تنص بعد الديباجة على الآتى :

---

(١) POLYBIUS, op. cit., III 22.

« هذه المعاهد التى أقسمنا عليها : القائد هانبيال وماجو وميكران وكل الشيوخ القرطاجيين الحاضرين معه وكل القرطاجيين العاملين تحت امرته طرف (أول) وبين اكسينوفانيس XENOPHANES الأثينى بن كليوماخوس مبعوث الملك فيليب ابن دمتريوس الينا بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن المقدونيين وحلفائهم طرف (ثان) .. » (١) .

وهكذا نلاحظ ظهور أصحاب القوة فى الاتفاقيتين : القرطاجيون فى المعاهدة الأولى وهانيبال فى المعاهدة الثانية .

دليل ثالث على عدم انفراد الملك بالسلطة نجده فى النص الذى ذكره ديودورس الصقلى عن رحلة حنون ملك القرطاجيين الى سواحل غرب افريقيا يقول النص بعد الديباجة :

« قرر القرطاجيون أن يبحر حنون فيما وراء أعمده هرقل وأن ينشىء مدنا لبيبة بونيقية (ومن ثم) أبحر ومعه ستين (سفينة) خماسية وحوالى ثلاثين ألف رجل وامرأة والمؤن والضروريات الأخرى .. »(٢) .

هذا النص الذى يؤرخ من الربع الأخير من القرن الخامس ق . م يوضح بما لا يقبل جدلا أن الملك كان فى حاجة الى قرار من القرطاجيين لكى يقوم برحلته .

كانت رقابة الشعب على الملوك تتم من خلال عدد من أعضاء مجلس الشيوخ حددهم جستينوس بمائة عضو يطلبون من القادة فور عودتهم الى الوطن أن يقدموا تقريرا عما فعلوه ويرى جستينوس أن ذلك الاجراء أتخذ بسبب كثرة تعاقب القادة فى أسرة واحدة (هى أسرة ماجون) مما أدى الى أخذهم زمام الأمور كلها بأيديهم ويقول جستينوس أن خضوع القادة لهذه الرقابة كان كافيا لأن « يمارسوا قيادتهم فى الحرب واضعين فى اعتبارهم القضاء والقانون فى الوطن » (٣) .

---

(١) POLYBIUS, Ibid, VII, 9.

(٢) النص مترجم الى الانجليزية عند MOSCATI, OP. cit, P. 182,

(٣) Justinus, op. cit. XIX, 2, 56.

بقيت الملكية فى قرطاج ما بقيت الظروف مواتية لذلك وطالما كانت الأرستقراطية غير مستقرة • فالمعروف أن ثروة الأرستقراطية كانت سفن وبضائع تجوب البحار ، ومن ثم كانت أية أسرة أرستقراطية معرضة للافلاس اذا ما غرقت أموالها • هذا الوضع القلق كان يحد من تنامى قوة الأرستقراطية ولعل هذا الوضع هو الذى أدى الى استمرار الملكية فى قرطاج رغم هزيمة هميرا ٤٨٠ ق • م • ولكن الملكية بدأت تفقد قوتها أمام تزايد استقرار رأس المال • وقد تم ذلك على اثر ظهور اهتمام القرطاجيين بتملك الأراضى والضياع فى ظهير مدينتهم كنتيجة مباشرة لهزيمة عام ٤٨٠ ق • م • أمام الاغريق • وبذلك أصبحت رؤوس أموال الأسر الأرستقراطية غير قابلة للغرق وأصبحت هـذه الأسر غير خاضعة لاحتمال الوقوع السريع فى براثن الفقر • وقـد أدى هذا الوضع الى حدوث تغييرات تدريجية فى نظام الحكم فى قرطاج• فنجحت الأرستقراطية فى التخلص نهائيا من أسرة ماجون عام ٣٧٠ وتبع ذلك فترة بقيت قرطاج تدين بالولاء لملوك ولكنهم فى هذه المرة لا ينتمون الى أسرة واحدة (١) بل كان الشـيوخ هم الذين يزكون اختيـار أى ملك (٢) • ولكن منذ عام ٣٠٨ اختفى الملوك تماما من قرطاج وسيطرت الأرستقراطية القرطاجية تماما على الحكم (٣) •

منذ ذلك الوقت أسندت رئاسة الدولة القرطاجية الى اثنـين من الموظفين الساميين كانا ينتخبان لمدة عام واحد أمام مجلس الشعب ولا

---

(١) قال أرسطو بأن النظام القرطاجى كان يفضل النظام الاسبرطى بعدم ضرورة انتماء ملوكه الى اسرة واحدة ، ولكنه كان يشترط فيه شرف المحتد والثروة

أرسطو ، المصدر السابق ، الفصل الثامن ، ص ١٠٢ .

(٢) كانت قرطاج ما تزال تدين بالولاء للملوك على عهد أرسطو وقد ذكر فى كتابه (السياسات) ذلك . نفس المصدر ، نفس الترجمة الفصل الثامن ٢ و ٥ ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٣) تولى بوميلكار الحكم فى عام ٣٠٩ ق.م وكان فى مواجهة اجاثوكليس عند هجومه ، ولكنه قام فيما بعد بمحاولة تمرد على السيطرة الأرستقراطية وأدى ذلك الى القضاء على الملكية بصفة نهائية . اكسيل ، المرجع السابق ص ٢٥٠ — ٢٥٢ .

يجوز تجديد انتخابهما • وعرف هذان الموظفان بالقاضيين (الشوفيت) وكتبتها المصادر اللاتينية Sufes وجمعها Sufetes وقد ذكر ليفوس أن هذا المنصب كان أعلى منصب تنفيذى فى قرطاج كما ذكر أن سلطة القاضيين تشبه الى حد كبير سلطة قنصلى روما (١) ومن الواضح أن هذا التشابه ظاهر فى ثنائية المنصب ومدة ممارسة السلطة ، ولكن سلطة قناصل روما كانت أوسع وتمتعوا بمركـز أعلى ، فقد قاد القناصـل جيوش روما ولم يحدث أن كلف الشوفيت بمثل هذه المهمة فى قرطاج• ويبدو أن سلطة القاضيين كانت محدودة فى داخل المدينة فكانا يشرفان على الأمور اليومية ويفصلان فى بعض القضايا ، كما كانا يدعوان مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية للاجتماع ويرأسان الاجتماعات ويعرضـان عليهما جدول أعمال كل منهما (٢) • وتجدر الاشارة الى أن هناك بعض السلطات فى داخل المدينة كانت خارج اشراف ورقابة القضاة (الشوفيت) وقد عانى من ذلك هانيبال عندما تولى وظيفة الشوفيت فى عام ١٩٦ ق • م (٣) •

ثانيا : قيادة الجيوش :

احتفظ الملوك بقيادة الجيش لأنفسهم فى بداية حياة قرطاج وان لم يمنع هذا تعيين قواد آخرين لقيادة بعض الحملات وبقى الأمر على هذا الحال الى أن سيطرت الأرستقراطية تماما على مقاليد الحكم فى المدينة ووجدت فى اجتماع سلطة رئاسة الدولة وقيادة الجيش فى يد واحدة خطر كبير على سلطاتها ومن ثم حرصت الأرستقراطية على فصل قيادة الجيش عن رئاسة الدولة يمكننا أن نلاحظ أن المنصبين لم يجتمعا لرجل واحد منذ القرن الرابع حتى نهاية الحرب البونيقية الثانية • وقد أشار أرسطو الى أن الشروط التى يجب توافرها فيمن يتولى الملك وهى نبل

---

(١) LIVY, op. cit. XXVIII, 37, XXX, 5, 7.

(٢) يشير ليفيوس الى مبادرة القاضيين Sufetes الى دعوة مجلس الشيوخ فى قرطاج للاجتماع لمناقشة الوضع بعد ورود أنباء عـن هزيمته عام ٢٠٣ أمام سـكيبيو LIVY, Ibid, XXX 5,7.

(٣) PICARD, op. cit. P. 273.

المولد والثراء العريض كانت تراعى أيضا عند اختيار القواد [1] • كان القواد مسئولين عن أعمالهم أمام لجنة المائة التى أشـــار جستينوس لوجودها خلال منتصف القرن الخامس وأمام مجلس المائة والأربعـــة الذى ذكره أرسطو فى القـــرن الرابع • ويلاحظ خـــلال فترة سيطرة البركيين التى امتدت من النصف الثانى للقرن الثالث الى نهاية الحرب البونيقية الثانية أن مسئوية هؤلاء القواد أصبحت أمام مجلس الشيوخ مباشرة • ومع ذلك فان استخدام قرطاج للجنود المرتزقة وولاء هؤلاء الجنود لقائدهم لا للدولة والانتصارات الباهرة التى حققهـا القادة البركيين هملكار وهسدروبال فى أسبانيا وهانيبال فى ايطاليا جعل لهؤلاء القادة سلطة قوية • والملاحظ أن هذه السلطة كانت خارج أسوار المدينة بل يلاحظ أيضا أن هانيبال وهو أكثر القادة البركيين شهرة كان يحرص على أن يحصل على موافقة مجلس الشيوخ على أعماله ويعلمه بـــكل تصرفاته [2] • واذا كان لهؤلاء القادة من نفوذ داخل المدينة فان ذلك النفوذ كان يمارس من خـــلال الشرعية الدستورية حيث كان الحزب المؤيد للبركيين قويا فى داخل مجلس الشيوخ [3] •

ثالثا : مجلس الشيوخ :

لا نسمع فى الأيام الأولى لقرطاج عن مجالس منظمة ولكن هناك اشارة الى وجود اجتماعات ومناقشة ووصول الى رأى فى قضية رغبة الملك الوطنى الزواج من اليسا أو اعلان الحرب على المدينة • تطورت هذه الاجتماعات البدائية الى ما عرف باسم مجلس الشيوخ الذى ذكر فى المصادر الأدبية لأول مرة فى القرن السادس عندما تأكد وجـــوده بالقرار الذى اتخذه بنفى مالخوس وجنوده عن المدينة • وقد مارس هذا المجلس سلطة رقابية هامة فنعلم مما ذكره جستينوس أنه انبثق

---

(١) أرسطو ، المصدر السابق (نفس للترجمة) الفصل الثامن ص ١٠٣

(٢) راجع ما ذكرة ليفيوس عن ذلك فى :
LIVY, OP. cit. XXIII, 11 & XXX,9

(٣) LIVY, Ibid, XXI & XXX

عن مجلس الشيوخ مجلس الحكام أو القضاة المائة الذى كان مكلفا بمراجعة تقارير القادة فور عودتهم من مهماتهم وكانت للقضاة المائة كل السلطة فى تقدير أو اتهام القادة (١) •

مجلس الشيوخ هذا كان يدعوه الملك للاجتماع ويرأس اجتماعاته ويعرض عليه جدول الأعمال فما اتفق عليه الملك والشيوخ صار أمـــرا نافذا ، أما ما اختلفوا عليه يحول الى الشعب • وقد أدى تأييد الشعب لمجلس الشيوخ الى تنفيذ قرار النفى فى حق مالخوس وجنوده •

وقد شهد مجلس الشيوخ هذا زيادة فى أهميته مع تزايد نفـــوذ الأرستقراطية فنجد أرسطو فى حديثه عن الدستور القرطاجى يخص هذا المجلس بالكثير من عنايته • فالأعضاء لا يشترط فيهم الوصول الى سن الستين (٢) ــ كما كان الحال فى اسبرطـــة ــ ولكن كان ينظـــر فى اختيارهم الى الفضل لا الى العمر اذ أن الشيوخ كانوا يقومون بمهام خطيرة فان كانـــوا أغبياء أضروا بالدولة كمـــا أضر شيوخ اســـبرطة بدولتهم » (٣) •

كان مجلس الشيوخ صاحب سلطة واسعة على أيام أرسطو ومـــا تلاه من عصور وحتى سقوط المدينة ويقول أرسطو فى ذلك أن الملك لا يمكن له أن ينفذ أمرا بدون الاتفاق مع الجيروسيا فهم يشاركونه الرأى فيما يعرض على الشعب وما يحجب عنه (٤) ، كما كان المجلس هو الذى يعين القادة فهو الذى عين هانيبال لقيادة الجيش فى أسبانيا بعد موت

---

(١) Justinus, XIX, 2, 5-6.

(٢) رغم أن أرسطو استخدم كلمة جيروسيا علما على هذا المجلس والتى تشير الى الـــ Gerontes اى كبار السن : ــ

(٣) أرسطو ، المصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثامن ٣ ص ١٠٢ •

(٤) يقول أرسطو بالنص : « ... ففى صلاحيات الملوك بالاتفاق مع الشيوخ أن يعرضوا على الشعب بعض الأمور وان يحجبوا عنه بعضها هذا ان أجمع على الأمر رأيهم والا فالشعب يفرض ارادته » .

أرسطو ، المصدر السابق ، (نفس الترجمة) الفصل الثامن ، ٣ ص ١٠٢

هسدروبال رغم المعارضة الشديدة التى أبداها حنون والأستقراطية(١) كما كان صاحب الأمر لهسدروبال ــ شقيق هانيبال ــ بالسير الى ايطاليا تدعيما للجيش القرطاجى هناك(٢) •

وكان مجلس الشيوخ يتابع تطور الحرب معركة بعد معركة ويتلقى التقارير من القواد ويناقشها (٣) كما كان يستقبل المبعوثين الأجانب ويستمع اليهم ويبلغهم برأى المدينة مثلما استقبل مبعوثى روما الذين اشتكوا اليه استيلاء هانيبال على ساجنتوم وقد انتهت هذه المناقشة باعلان الحرب من جانب روما وقبول الشيوخ القرطاجيين للتحدى (٤) •

وقد استقبل المجلس أيضا وفودا متعددة من روما وغيرها أثناء الحرب •

كان المجلس يتولى أيضا المفاوضة فى شأن اقرار السلم فأرسل ثلاثين من أعضائه لمفاوضة سكيبيو فى شروط الصلح ٢٠٢ ق • م (٥)• كما أرسل ثلاثة من أعضائه الى روما لنفس الغرض فى عام ٢٠١ ق • م وفوض أعضاء منه لتوقيع معاهدة عام ٢٠١ ق • م •

ولابد أن المجلس مارس هذه السلطة الواسعة فيما يخص أمور المدينة الداخلية أيضا وأن كانت مصادرنا غامضة أو نادرة فيما يخص هذا الشأن فالسبب معروف وهو عدم اهتمام المصادر اللاتينية والاغريقية بتاريخ قرطاج الا فيما يتصل بصراع بلادهم معها • عرف مجلس الشيوخ وجود المعارضة المنظمة وتجلى ذلك فى وجود حزب يؤيد البركيين ويدافع عن قيادتهم للبلاد ويمكن أن نسميه الحزب

---

(١) LIVY, OP. cit., XXI, 34.

(٢) LIVY, Ibid, XXIII, 28,29

(٣) نرى دليلا على ذلك فى التقرير الذى قدمه ماجو نيابة عن قائده هانيبال متضمنا نتائج معركة كاناى LIVY, Ibid, XXIII, 11-13

(٤) LIVY, Ibid, XXI, 18.

(٥) LIVY, Ibid, XXX, 15.

الشعبى (١) فى مقابل معارضة حزب الارستقراطيين الذى حـذر من قيادة البركيين وعارض الحرب ضد روما الى آخر دقيقة وتحفظ لنـا المصادر اسم زعيم المعارضة حنون (٢) •

لا نعرف على وجه الدقة طريقة انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ أو مدة عضويتهم • والمعتقد فى ضوء ظروف قرطاج السياسية وتركيبها الاجتماعى أن الأعضاء كانوا من ثراة قرطاج الذكور وأنهم كانوا يمكثون فى عضويتهم مدة من الزمن بسبب زعامتهم لمواطنيهم وارتباط مصالح قطاعات مهمة من الشعب القرطاجى بهم (٣) • وليس لدينا أى تحديد دقيق لعدد أعضاء مجلس الشيوخ ، وافتراض كونهم ٣٠٠ أو أكثر أو أقل مجرد تخمين وما يمكن أن نؤكده هو أن عددهم فاق المائة عضـو الذين اختيروا من بين أعضاء مجلس الشيوخ لمراقبة الحكام والقواد فى أواسط القرن الخامس (٤) •

تعرض أرسطو للحديث عن الحكام المائة والأربعة والتى تقـابل سلطتهم الرقباء فى اسبرطة والذين يشهد بتميزهم على الأخرين حيث لا يؤخذون من عامة الشعب وانما ينتخبون من بين الأرستقراطين (٥) • ولما كنا نعلم أن الرقباء فى اسبرطة Ephores كانوا الحكام الفعليين فى المدينة اذ كانوا يمارسون سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية واسعة وكانوا يشرفون على الأخلاق والسلوك العام للمواطنين وكانوا مسئولين أيضا عن حفظ النظام ، وكان الرقبـاء يشرفون على تجهيز الجيـوش

(١) سماه ليفيوس الحزب البركى LIVT, op.cit, XXI, 4

(٢) LIVY, Ibid, XXI, 3,10-11, XXIII, 11-13, XXX, 20,42

(٣) يذكر ليفيوس (نفس المرجع والمكان السابق) أن جنون كان زعيما للمعارضـة لمدة طالت لحوالى عشرين عاما .

(٤) قدر بعض الباحثين عدد الأعضاء بثلاثمائة عضو وقد استنـدوا فى ذلك الى قول بوليبيوس بأن الرومان فـرضوا فى عـام ١٤٩ ق.م على القرطاجيين أن يسلموهم ثلاثمائة رهينة يكونون ابناء لأعضاء مجلس الشيوخ . ولكن هذا النص لا يعنى بأن كل عضو كان عنده ولد ذكر فى سن مناسبة لكى يكون رهينة ، بل على العكس يوحي هذا النص بأن أعضاء المجلس كانوا أكثر من عدد الرهائن المطلوبين . اكسيل ، المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(٥) أرسطو ، المصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثامن ، ص ١٠١

ويراقبون تصرفات القادة أثناء المعارك ولهم سلطات غير محدودة [1] •

لما كنا نعلم ذلك عن الرقباء الاسبراطيين فاننا نرجح أن يكون لحكام المائة والأربعة عند أرسطو هم أنفسهم مجلس القضاة المائة المنبثق من مجلس الشيوخ فى القرن الخامس والذى أشار اليه جستينوس •

أشار أرسطو أيضا الى وجود لجان خماسية تنتخب أعضاءها وتتمتع بصلاحيات واسعة وخطيرة فهى التى تختار الحكام المائة والأربعة وتبقى فى الحكم أطول من غيرها ويمارسون السلطة أثناء وجودهم أو غيابهم عن المدينة • وتقوم هذه اللجان بوظائفها بدون أجر [3] والمعتقد أن هذه اللجان الخماسية ما هى الا لجان دائمة متخصصة فى مجلس الشيوخ تتولى متابعة الأمور اليومية فى أثناء غياب المجلس ولعل هذه اللجان هى التى تطورت خلال القرن الثالث الى ما أسماه ليفيوس مجلس الشورى Privy Council [4] والذى كان يضم ٣٠ شخصا من أعضاء مجلس الشيوخ كانوا قائمين على المتابعة اليومية لأمور المدينة •

رابعا : الجمعية الشعبية :

أول خبر تورده النصوص عن وجود تجمع شعبى للقرطاجيين من غير مجلس الشيوخ ورد عند جستينوس عن نفى مالخوس • زادت أهمية المجلس الشعبى بالوقت حتى أصبح له من السلطة ما ذكر أرسطو خلال القرن الرابع • فقد كان الشعب يدعى للاجتماع ويرأسه الملوك

---

(١) فوزى مكاوى ، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠ ص ٨٨ — ٨٩ •

(٣) ارسطو ، المصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثامن ، ص ١٠٢ — ١٠٣

(٤) يذكر ليفيوس أن القرطاجيين بعد أن سمعوا خبر القبض على سيفاكس ارسلوا الاعضاء الرئيسيين الثلاثين فى حكومتهم « ... هؤلاء الرجال يكونون مجلس الشورى القرطاجى وكان لهم أعظم نفوذ فى توجيه سياسة مجلس الشيوخ » . LIVY, op. cit., XXX, 15-17.

والشوفيت من بعد ، ثم تعرض عليه المسائل التى يرى الملوك بالاتفاق مع الشيوخ أن تعرض على الشعب ذلك فى حالة اتفاق الملوك والشيوخ. ولكن اذا اختلف الطرفان « فاشعب يفرض عليهم ارادته » • وعند عرض أى قضايا على الشعب فان دوره يتعدى دور الجمعية الشعبية الاسبرطية التى كان دورها محدودا بالموافقة أو رفض القوانين المعروضة عليها بينما كان الملوك والشيوخ فى قرطاج « لا يكتفون بأن يحملوها (التدابير والمسائل) الى مسامعه (الشعب) فحسب بل من صلاحيته أن يبدى حكمه فيها ، كما أنه يتاح لمن شاء ممن وقفوا عليها بأن يعارضها » (1) • وهكذا يلاحظ بأن الجمعية الشعبية القرطاجية كانت ذات سلطات عظيمة ولكنها محكومة فى ممارستها اما برغبة الملك والشيوخ أو باختلافهم • ويلاحظ أن اللجوء الى الشعب لم يحدث كثيرا أو لم تذكره المصادر كثيرا • ويمكننا حصر ثلاث حالات ذكرت المصادر عرض الأمر فيها على الشعب واحدة من القرن السادس وهى الخاصة بمالخوس والثانية من بداية القرن الرابع عندما وصلت الى قرطاج رسالة تهديد من ديونيسيوس الكبير فقرئت أمام مجلس الشعب مما يفهم منه أن مجلس الشيوخ لم يتخذ القرار فيها وأن الجمعية الشعبية هى التى قامت بذلك • المرة الثالثة أثناء الحرب البونيقية الثانية عندما تعرض ركب رومانى للنهب أثناء هدنة ، فتقدم الرسل الرومان بشكواهم أمام مجلس الشيوخ أولا ثم أمام الجمعية الشعبية التى رأت أن يعودوا دون جواب •

لا نعرف ماذا كانت شروط عضوية الجمعية الشعبية ولا كم كان عدد الأعضاء وكم تبقى مدة العضوية ولكن المؤكد أن أحدا من الأغراب أو العبيد لم يشارك فى أعمالها لما لها من خصوصية وطنية • ومن المرجح أن الأحزاب التى مثلت فى مجلس الشيوخ كانت لها امتداداتها فى الجمعية الشعبية • فمن المعروف أن الارستقراطية الغنية الممثلة فى مجلس

---

(1) ارسطو ، المصدر السابق ، نفس الترجمة ، الفصل الثامن ٣ ، ١٠٢ — ١٠٣ •

الشيوخ كانت تضم بلا شك كبار أصحاب الأعمال والمسيطرين على الاقتصاد القرطاجى ومن ثم كان كل صاحب أعمال يسيطر سياسيا على مجموعات من العاملين معه ولعلهم كانوا يجتمعون على موائد الطعام من وقت لآخر وربما هذه الموائد هى التى أشار اليها أرسطو فى معرض حديثه عن أوجه التشابه بين دستور قرطاج ودستورى كريت واسبرطة من ناحية أخرى (١) واذا صح ما ذهبت اليه يكون التشابه الذى رآه أرسطو لا يعدو أن يكون تشابها سطحيا (٢) • فهذه الجماعات تكون أقرب الى الأحزاب السياسية منها الى رفقاء السلاح عماد موائد الطعام الجماعية فى البلاد الأخرى •

وتجدر الاشارة الى أن حكومة قرطاج ضمت مئات من الموظفين فى كل ميدان ولكن المصادر تقف صامتة ولا نجد الا ذكر للجنة من ثلاثين رجلا مختصة بتقدير الضرائب يذكرها نص مرسيليا (٣) واشارة عند ليفوس الى المتصرفين الماليين Quaestors فى معرض حديثه عن الآثار المترتبة على عقد معاهدة ٢٠١ ق • م (٤) •

يلاحظ على النظام السياسى القرطاجى انه كان متأثرا الى حد كبير بالنظام الفينيقى حيث قام هذا النظام على سيطرة التجار الأغنياء وهم الذين مارسوا السلطة من خلال مجلس الشيوخ وكذلك من خلال مجلس المائة • وفى نفس الوقت كان لا يختلف كثيرا عن النظام الاغريقى الذى كان مطبقا فى أثينا وكذلك النظام الرومانى • وهكذا يمكن أن نقول أن نظام قرطاج السياسى كان متوافقا مع أصلها كمدينة فينيقية ومع

---

(١) أرسطو ، المصدر السابق (نفس الترجمة) الفصل الثامن من ٢ ص ١٠١

(٢) فوزى مكاوى ، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته ، الدار البيضاء ١٩٨٠ ، ص ٨٦ •

(٣) اقرأ ترجمة النص فى :

فوزى مكاوى ، المعبودات والعبادات فى قرطاج ، تحت الطبع مجلة البحث العلمى ، جامعة محمد الخامس ، الرباط •

(٤) LIVY, OP.cit, XXX, 38

تأثيرات اكتسبها ذلك النظام من اتصاله بالنظم الأخرى فى الغرب •

وقد تأثر نظام الدولة فى قرطاج بالطبيعة التجارية والسكانية للمدينة فقد كانت حروبها فى الغالب ذات أسـباب اقتصادية ، كمـا اتجهت للاعتماد على المرتزقة فى الجيش نظرا لقلة عدد السكان وكان للتوسع فى استخدام الجنود المرتزقة مميزات منها عدم تعريض السكان لمخاطر الحرب ، كما أن احتراف العسكرية جعل الجنود ذوى كفاءة عسكرية قتالية عالية حتى أن الاغريق سرعان ما اتبعوا الأسلوب القرطاجى • وقد أدى استبعاد تجنيد الطبقات الشعبية الى تحقيق استقرار حكم الطبقات الثرية • ولكن وجود هذه الجيوش من المرتزقة حاملة للسلاح مستعدة للقتال دائما دون وجود ولاء للوطن فى نفوس أفرادها أصبح خطرا على كيان الدولة عند الخلاف مع قادتها • وقد زاد من خطر هذه القوات فى حالة تمردها ـ تحالفها مع الرعايا الوطنيين مما أوقع قرطاج فى مآزق خطيرة • ويعتبر اعتماد الجيش القرطاجى على المرتزقة أحد الأسباب الهامة التى سببت سقوط قرطاج •

نأتى بعد ذلك للتعرف على شكل السلطة التى مارستها قرطـاج خارج حدود المدينة ، فقد سيطرت قرطاج على المستوطنات الفينيقية التى كانت قائمة بالفعل كمـا أنشأت وسيطرت على عـدد جـديد من المستوطنات ولكنها لم تلجأ أبدا الى سياسة ضم الأراضى أو فرض حكمها المباشر على تلك المستوطنات •

مارست الحكومات المحلية فى المستوطنات سلطاتها فى داخل مدنها كما سكت عملتها الخاصة وتميزت كل مدينة بجنسيتها المحلية • وربما كان هناك اختلاف فى مكانة المستوطنات المختلفة ، اذ نظرت قرطاج الى كل من أوتيكا وقادس كحلفاء رسميين لها ، ولم يتمتع غيرهما بهذا المركز المتميز • ومن ناحية أخرى يبدو مؤكدا أن قرطاج فرضت بعض القيود

---

(١) CHARLES-PICARD, G & C., LAVIE QUOTIDIENNE A CARTHAGE AV TEMPS D'HANNIBAL. HACHETTE, 1958. pp. 202-204.

على حكومات المدن ، فحرمت عليها عقد تحالفات مع المستوطنات الأخرى كما سيطرت قرطاج على سياستها الخارجية • ومنعت قرطاج المستوطنات من تكوين جيوش محلية الا فى ظروف خاصة ، وكانت قرطاج تتــولى بنفسها انشاء الحاميات وتنظيم الدفاع عن المستوطنات • ومن المحتمل أن قرطاج مارست سلطة رقابة على دخل تلك المستوطنات وسيطرت على كل تجارتها • ولم تتعد سيطرة قرطاج هذه الحدود الا فى ظروف خاصة عندما لجأت مثلا الى توطين رعايا أفريقيين فى سردينيا للمساعدة فى الاستغلال الزراعى والتعدين • كما فعل أيضا آل بركا عندما حولوا أسبانيا الى مستودع لامدادهم بالجنود والمال •

أما سياسة قرطاج فى مناطق الوطنيين فى شمال أفريقيا فقد اتسمت بأسلوب الحكم المباشر فى المناطق المحيطة بقرطاج وأخضعت أهلهــا لأساليب القهر وان اكتفت من القبائل المقيمة فى مناطق تحت نفوذهــا باعلان ولائها وتحالفها معها • ومــع ذلك فقد كانت قرطاج تلجــأ الى عمليات التجنيد منها بالقوة أثناء الحروب • وكذلك فرض ضرائب عليها ، وقد أدى ذلك الى ثورة القبائل الوطنية كلما وجدوا فرصة ســانحة لذلك • ورغم تلك القلاقل فمن المؤكد أن الموطنين فى شمال افريقيــا والمدن الفينيقية هناك دعموا قرطاج فى تكوين امبراطوريتها البحرية [1] •

---

(١) MOSCATI, S., op. cit., 135.

قائمـــة ببليوجرافيـــة

١ ــ أرسطو ، **السياسيات** ، ترجمة الأب اوغسطينس بربارة البوليسى بيـــــــــروت ١٩٥٧

٢ ــ اسطفان الكسيل ، **تاريخ شمال أفريقيا القديم** ترجمة محمد التازى سعود ، ترجمة غير منشورة وقد استخدمتها باذن شخصى من المترجم .

٣ ــ عبد العزيز صالح ، **الشرق الأدنى القديم** جـ ١ مصر والعـــــراق القاهـــــــرة ١٩٧٦

٤ ــ فـــــوزى مكاوى ، **تاريخ العالم الاغريقى وحضارته** ، الدار البيضاء ١٩٨٠.

٥ ــ فـوزى مكاوى ، المعبودات والعبادات فى قرطاج **مجـلة البحث العلمى** ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٨٠.

6. Diodorus Siculus, **The History of —**, loeb classical Liberary, 1964-63.
7. Herodotus, **The Histories**, Penguin classics, 1954,
8. Homeros, **Iliad, ed.** T. W. Atten, 1931.
9. Justinus, M.J., **Historiae Philippiae**, ed Ruhl, 1888.
10. LIVY, **The war with Hannibal**, Penguin classics, 1965.
11. MOSCATI, Sabatino, **The World of the Phoenicians**, London, 1965.
12. Ogilvie, R.M , **Early Rome and the Etruscans**, Glasgow, 1979.
13. Picard, G. & C., **La vie Quotidienne a Carthage au temps d' Hannibal** Hachette, 1958
14. Picard, G. & **Vie et Mort de Carthage, Hachette,** 1970.
15. Polybius, **The Histories**, Loeb classical Liberary 1977.

المقاومة الوطنية ضد التوسع الفرنسى
فى اعالى النيجر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر

للدكتور تمــام همام تمــام

National Resistance
Against French Expansion In The Upper Niger
at the Last Quarter of the 19th Century

On writing about the modern history of Africa, foreign historians are accustomed to glorifying Imperialism and imperialists, ignoring the history of the Africans themselves. Such neglect is done intentionally on part of these historians so as to submit their writings to their own viewpoints. But there are few historians who try to seek the historical fact and data and they write honestly, nevertheless we can find mere hints about Africans.

The great burden lies on the African themselves and this needs a through research in the history of their forefathers so as to fill the gap in their history. This national duty has incited the researcher to set out collecting as much as he could about the African history and the resistance of the Africans against invaders and imperialists. After he had set his hands upon some unpublished documents from the French Colonial Office about the Upper Niger region, he tried to remould the facts about the National African resistance and how they sacrificed their lives for their countries. There are numerous concrete examples about heroes who are proud of their nationality. This stands in sharp contrast with the viewes of some goreign historians who claim that the region was no man's land and it was depopulated.

By doing so, the researcher throws some lights on this national resistance in order to correct some of the illusions in the African history. He hopes that the research may be a prelude to a series of reasearches that can record honestly the national African history.

Dr. T. H. Tammam.

مقــدمة

دأب المؤرخون الأجانب فى كتاباتهم عن تاريخ القارة الافريقية فى العصر الحديث ، على تمجيد الاستعمار والاستعماريين ، وأهملوا معالجة الشق الآخر ، وهو تاريخ الأفارقة أنفسهم ، ولعل هذا الاهمال متعمد من قبل هؤلاء المؤرخين ، بسبب وجهات نظرهم الخاصة •

ولكن هناك بعض الكتاب والمؤرخين —وهم قلة — يجرون وراء الحقيقة التاريخية ، ويكتبون بما يمليه الضمير عليهم ، ومع ذلك ، لا نجد الا اشارات متفرقة عن تاريخ الأفارقة ، كتبت للضرورة ولانسجام الحدث التاريخى •

لذلك يجب على أبناء الأفارقة أنفسهم ، أن يفتشوا عن تاريــخ الآباء والأجداد ، ويسجلوا الشق الاخر عن تاريخ قارتهم •

ومن منطلق هذا الواجب القومى ، رأى الباحث أن يخوض هــذا الميدان وأن يجمع — بقدر استطاعته — من بطون الكتب ، ما هــــو متعلق بتاريخ الأفارقة ، ومواقفهم بالنسبة للغزاة والمستعمرين •

وقد تيسر للباحث الحصول على بعض وثائــق وزارة المستعمرات الفرنسية غير المنشورة ، متعلقة بمنطقة أعالى النيجر وبمنطقة غــرب أفريقيا — ككل — فاستخدم البعض منها ، مع ما تيسر جمعــه مــن معلومات تاريخية ، وأعد ذلك البحث الذى يرى أنه كشف وأبرز الكثير عن مقاومة الأفارقة الوطنيين وصمود البعض منهم ضد الفرنسيين فى منطقة أعالى النيجر ، حتى الموت ، الأمر الذى يدل على أن الفرنسيين لم يجدوا أمامهم فراغا فى المنطقة ، كما يدعى بعض المؤرخين الأجانب بل وجدوا شعوبا وأبطالا يعتزون بقوميتهم وبتاريخهم وحضاراتهم ، لذلك يرجو الباحث أن يكون ما جاء فى هذا البحث رد أو تصحيح لما ورد من مغالطات فى حق الأفارقة ، كما يرجو أن تكون هذه الدراسة بداية على الطريق له ولغيره لكتابة تاريخ أفريقيا القومى ، والله الموفق •

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقات بين الأفارقة والفرنسيين فى غرب أفريقيا قبل عام ١٨٧٥ :

قبل التسلط الفرنسى على منطقة غرب أفريقيا فىالعصر الحديث ، كانت هناك ممالك وسلطنات اسلامية ذات حضارة عريقة (١) ، ضمت بين أجنحتها شعوبا وقبائل عديدة ، وبالنسبة للمنطقة التى نتحدث عنها وهى منطقة أعالى نهر النيجر (٢) ، من الصعب تحديد هذه الشـــعوب والقبائل ، التى كانت تسكنها ، تحديدا يكون جازما ، لأن هذه الشعوب وتلك القبائل ، كان يغلب عليها فى بعض الأحيان ، طابع التنقل والحركة من مكان الى آخر ، اما لأسباب اقتصادية أو لأسباب حربية ، ولكن بصفة عامة ، نستطيع القول أن سكان تلك المنطقة ، كانوا من الشعوب الزنجية ، وأهمها الولوف والسرر Serer والتكولور ، والى الشرق منها ، شعب الماندنجو أو الماندى ويضم عــدة قبائل ، مثـــل الديولا الكاسنكى والجالنكى والبمبارا والسوننكس والمالنكى وغيرها • ويسكن منطقة ماسينا شعب الفولانى ومعهم بعض الطوارق الذين يتركزون بصفة خاصة فى تمبكتو ، وهم خليط من البربر والعرب (٣) •

وسرعان ما انتاب هذه المملكات الضعف والتفكك ، وتولى زمـــام الأمور فيها ، حكام لا حول لهم ولا قوة ، وبعد فترة من التدهور ، ظهر

(١) مثل مملكة مالى وسلطنة السنغى وغيرها ، انظر :
د . حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه حـ ١ ص ٢٣٦ ـــ ٢٥٢ .

(٢) يمتد نهر النيجر فى غرب قارة افريقيا على شكل قوس ، ينبـــع من هضبة فوتاجالون ويسير من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى ، ثم يتجه النهر من جديد نحو الجنوب الشرقى ، حتى ينتهى بدلتا كثيرة الفروع عند المصب ، وعيب هذا النهر انه لا يؤدى الى الداخل بما تحمله هذه الكلمة من معنى ، ولعل ذلك يعود الى أن الجزء الأعلى من النيجر ، كان يمثل نهرا قائما بذاته يسير من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى ، وينتهى فى بحيرة كبيرة بالقرب من تمبكتو ، كأنه كان نهرا قائما بذاته ، لولا ان اتصل به نهر النيجر الأدنى فجذبه اليه ليدخل خليج ببافرا ، وعلى مسافة ٢٥٠ ميلا من مصبه يلتقى برافده الكبير « بينوى » قادما من منطقة اداماوا الجبلية .
د. محمد صفى الدين : افريقيا بين الدول الأوربية . ص ٢٢

(٣) يسكن معظم شعب الماندنجو الآن فى جمهورية مالى الحاليه
د . محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية . ص ٥٣ ـــ ٥٥

على المسرح السياسى فى السنغال مصلح من شعب التكولور هو « الحاج عمر طال » تمكن من أن ينهض بالأسلام ويكون امراطورية اســـلامية شاسعة تمتد من السنغال حتى تمبكتو على النيجر (٤) •

ويبدو أن الحاج عمر تأثر بالدعوة الوهابية (٥) • أثناء أدائه فريضة الحج فى عام ١٨٢٧ ، فوجدت مبادىء الوهابية هوى فى نفسه ، ومن ثم عزم على تطبيقها فى غرب أفريقيا ، بجانب الجهاد فى نشر الاسلام بين القبائل الوثنية (٦) •

فى ذلك الوقت ، كان هناك وجود فرنسى فى غرب أفريقيا ، ممثلا فى بعض المحطات التجارية مثل سانت لويس التى تأسست على الساحل منذ عام ١٦٥٩ والتى تطورت تطورا كبيرا فى أواخر القرن السابع عشر،

---

(٤) ولد الحاج عمر فى الوار بالقرب من بيدور فى السنغال عام ١٧٩٧ ، وكان والده من المرابطين المشهورين بالتقوى والورع ، وبعد أن أدى الحاج عمر فريضة الحج انجذب الى الطريقة التجانية وحصل على العهد ومن ثم صار الخليفة الرسمى لها فى غرب افريقيا ، وفى طريق عودته ، عرج عـــلى فوتاجالون ، ثم رحل منها فى عام ١٨٣٨ الى دنجويرى ، وشيد بها حصنا وجند جيشا من الفوتا ، ثم بدأ الجهاد المقدس ضد البمبارا الوثنيين فى اعالى النيجر والسنغال من ناحية ، وضد المسلمين من الفولانى فى مملكة ماسينا لتعاونهم مع البمبارا من ناحية أخرى وانتهى أمره ــ بعد أن كون امبراطورية كبيرة ــ أن شدد عليه أعداؤه الخناق ، فلجأ الى مغارة فى جبل ديجنبيريه ، حيث أطلق عليه أعداؤه من الغـــولانى الدخان الذى ادى الى اختناقه فى المغاره عام ١٨٦٤ م أنظر :

محمد الحافظ التجانى : الحاج عمر الفوتى ، سلطان الدولة التجانية بغرب افريقيا ، شيء من جهاده وتاريخ حياته ص ٣ وما بعدها

(٥) تنسب هذه الدعوة الى الامام (محمد بن عبد الوهاب) الذى ظهر فى نجد فى أوائل القرن ١٨ م وقام يدعو الى التوحيد وينادى بابطال الدعاء لغير الله ، والعودة بالاسلام الى بساطته الأولى ، وكتب رسالته المشهورة (التوحيد الذى هو حق الله على العبيد) وكان لهذه الدعوة صدى كبيرا فى نجـــد ، فأراد البعض أن يفتك به فسافر الى الدرعية ، حيث رحب بـــه الأمير محمد بن سعود ، واعتنق فكرته ، وتعهد بنشر الدعوة الجديدة بين المسلمين مستعينا بقوته وجاهه ، وظلت الدعوة كحركة اصلاحية يتدارسها علماء المسلمين وغيرهم ، وقامت على أسسها الدولة السعودية الثانيـــة بل والثـــالثة .

(٦) Fage, J.D. : A History of west Africa, p. 55.

وأصبحت أهم قواعد فرنسا البحرية على ساحل غرب أفريقيا (٧) • وكذلك أرجوين Arguin وجوريه فى السنغال ، وكان الرقيق الافريقى من أهم ما كانت تتجر به هذه المحطات(٨) •

ويلاحظ أن الفرنسيين لم يستطيعوا ، التوغل الى الداخل ، واقتصر وجودهم على التجارة مع الأفارقة من قبائل الهوسا والديولا والماندنجو، ومحاولتهم فى بعض الأحيان ، الارتباط مع الزعماء الوطنيين بمعاهدات تكفل لهم الحماية من تسلط بعض القوى الأوربية الأخرى (٩) •

ولكن رغم تلك المعاهدات ، فقد تعرض الفرنسيون لمضايقات كثيرة من قبل الزعماء الوطنيين ، لذلك كانت العمليات التجارية تتوقف الى حد كبير على اقتناعهم بها ورضاهم عنها (١٠) •

وبجانب مضايقة الزعماء لهؤلاء الفرنسيين ، كان هناك عامل آخر ، يتمثل فى الحصار البحرى الذى كانت بريطانيا تفرضه على سواحل أفريقيا ، تنفيذا لحملة مقاومة تجارة الرقيق التى تزعمتها (١١) • فشعرت

---

(٧) د. محمد صفى الدين : مرجع سابق ص ٨٠ — ٨٦

(٨) د . شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها . ص ٤٩٠

(٩) كانت فرنسا من اكثر الدول نشاطا فى غرب افريقيا ، ويبدو أن الفرنسيين وصلوا الى مصب السنغال منذ عام ١٦٣٨ ، واقاموا على الساحل بعض المحطات التجارية ، وانشأوا بعض الشركات للتجارة مع الافارقة ، مثل الشركة النورمانديه وشركة السنغال الملكية وغيرها ، وقد مهدت هذه الشركات الطريق للاستعمار الفرنسى . انظر : —

د . **شوقى الجمل** : مرجع سابق ص ٤٩٥ وما بعدها

(١٠) كان الفرنسيون وغيرهم من الأوربيين ، يحضرون الى الساحل الغربى من افريقيا ، البنادق والبارود والأقمشة والمشروبات الكحولية والأدوات الحديدية ، ويحصلون فى مقابلها على الرقيق والذهب انظر : —

رونالد اوليفر وجون فيج : موجز تاريخ افريقية ، ترجمة د . دولت صادق ص ١٣٢

(١١) بعد ان ازدهرت الصناعة فى أوربا ، اشتد التطلع الى الحصول على المواد الخام وفتح أسواق جديدة لتصريف المنتجات الصناعية ، واستثمار رؤوس الأموال الفائضة فى مشاريع استعمارية ، خاصة فى أفريقيا ، وقد ترتب على ذلك أن قل الاقبال على التجارة فى الرقيق ونقله الى خارج افريقيا ، وبعد أن أخذ انصار الانسانية فى أوربا يندون بتلك التجارة غير =

المراكز التجارية الفرنسبة بوطأة هذا الحصار ، واستمر الحال على ذلك، حتى تقرر الغاء تجارة الرقيق فى عام ١٨٤٨ ، ومن ثم اشتد الحصار البريطانى على السواحل الافريقية كلها ، مما أضعف النشاط التجارى بصفة عامة ، لذلك طلبت فرنسا من انجلترا أن تعقد معها معاهدة تجارية فى عام ١٨٦٠ ، تضمنت حرية التجارة ورفع الجمارك التى كانت تفرض على المواد الأولية الافريقية التى تصدر الى الدول الأوربية (١٢) •

والواقع أنه منذ أن احتلت فرنسا الجزائر فى عام ١٨٣٠ ، وتمكنت من السيطرة على تلك البلاد ، رغم المقاومة العنيفة من جانب الجزائريين ، أرادت أن توسع من دائرة نفوذها فى غرب أفريقيا ، مع الأخذ فى الاعتبار، وجود القوة الاسلامية الممثلة فى تلك الفتــرة ــ بصفة خاصــة ــ فى امبراطورية الحاج عمر التكلورى ، لذلك نهجت سياسة المسالمة والمهادنة مع سكان المنطقة ، وعقد معاهدات مع زعمائها ــ خاصة مع هــؤلاء الذين كانوا لا يرتاحون لثورة الحاج عمر الاصلاحية ، وبناء المراكز التجارية الفرنسية لتنشيط الحركة التجارية ، كما حدث مثلا فى أسينى Assini على ساحل العاج ، وجران بسام (١٣) •

وظلت السياسة الفرنسية على هذا المنوال ، دون التطلع الى عمليات الاحتلال حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ولكن مع بداية الخمسينات من ذلك القرن ، رأت فرنسا أنه من الممكن ، أن تكون من مراكزها التجارية المبعثرة على الساحل الغربى للقارة الافريقية :

= المشروعة ، تمكنت انجلترا بدبلوماسيتها واستنادا على تفوق اســطولها البحرى ان تنتزع من الدول الأوربية حق التفتيش، على السفن فى مياه البحار والمحيطات ، لمنع تجارة الرقيق ، وفتح المجال امام التجارة الشريفة ، ويلاحظ أن بريطانيا بعد أن كانت اكبر مورد للرقيق فى العالم الجديد ، صارت اكبر مستفيد فيما بعد ، عن طريق نقل الرقيق الى افريقيا بواسطة سفنها ثم سرعان ما استخدمت عملية محاربة الرق ، اداة لفرض نفوذها فى البــلاد الافريقية ، كما نشاهده فى تدخلها فى شئون سلطان زنجبار .

(١٢) Hargreaves, J. D. : Prelude to the partition of west Africa. P. 92.

(١٣) Fage. : op. cit. P. 62.

نواة لامبراطورية ، تمتد منها الى الشرق والى الشمال ، وعينت لتحقيق هذا الهدف الجنرال « فيديرب حاكما «Louis Faidherbe على السنغال فى عام ١٨٥٤ ، فأخذ يغير من سياسة المسالمة الى سياسة التوسع والاحتلال ولو بطريق القوة (١٤) •

ولكن يلاحظ أن المسألة لم تكن يسيرة أمام الحاكم الفرنسى ، فهناك الحاج عمر الفوتى ، يستند على قوة اسلامية متجددة ، لذلك كان عليه أن يعمل لكل خطوة حسابها ، فأسس مدينة داكار فى عام ١٨٥٧ ، وشيد بعض الحصون العسكرية فى السنغال وفوتاتورو ، وكون جيشا من السنغاليين يعاونه فى حملاته العسكرية ، وشرع فى ربط السنغال بالنيجر بخط سكة حديد (١٥) •

ويبدو أن سلطان التكولور ، كان يريد أن يوطد العلاقة مع الفرنسيين بهدف تنشيط التجارة وحصوله على أسلحة منهم ، لمحاربة العصاة من الوثنيين الذين لا يرغبون فى اعتناق الاسلام ، ولكنه كان يرفض السماح لهم ببناء حصون عسكرية فى خاسو Khasso وميدين Medine (١٦) •

ولكن الفرنسيين كانوا ينظرون الى المسألة بوجهة نظر أخرى ، حتى لا يتكرر ما كان يحدث فى الجزائر ضدهم ، لذلك شرع (فيديرب) فى تحطيم قوة التكولور ، عن طريق حرمانها من الأسلحة ليضعفوا من قوة الامبراطورية الاسلامية ، فاضطر الحاج عمر الى أن يضايق التجار الفرنسيين فى أملاكه ، ويمنع مرور السفن فى النهر (١٧) •

---

(١٤) حكم فيديرب السنغال فى الفترة من ١٨٥٤ الى ١٨٦١ ، ثم عمل فى الجزائر ، فاكتسب خبرة حربية وفهما واسعا للمسلمين فى الجزائر ثم عاد الى حكم السنغال من عام ١٨٦٣ الى ١٨٦٥ .

(١٥) Adloff, R. : West Africa. P. 160.

(١٦) Anderson, J. D. : West Africa in the nineteenth and twentieth Centuries. P. 142.

(١٧) Forstner, Kanya : The Conquest of Western Sudan. p. 33.

لكن سرعان ما حدثت ظروف ضغطت على كلا الطرفين ، لاحلال السلام ، حتى ولو كان سلاما مؤقتا ، فقد ترتب على زيادة نشاط التجار البريطانيين فى غرب أفريقيا أن طالب التجار الفرنسيون بمهادنة التكولور لانعاش تجارتهم وتنميتها اسوة بتجارة البريطانيين • ومن ناحية التكولور ، كانوا يرون فى مهادنتهم للفرنسيين ، فرصة طيبة لمواصلة الجهاد فى سيجو وماسينا الذين لم يمنع اسلام شعوبها من مساعدة البمبارا الوثنيين [١٨] •

وعلى ذلك أرسل فيديرب بعثة دبلوماسية من الملازم أوجين ماج Eugéne Mage والطبيب كونتان Quintin لمقابلة الحاج عمر فى ٢٨ فبراير ١٨٦٣ فى سيجو ، واستمرت المفاوضات بين الطرفين حتى عام ١٨٦٦ ، وكانت البعثة تقوم فى الوقت نفسه باستكشاف المناطق الشرقية الى النيجر ، وبينما كانت المفاوضات جارية ، توفى الحاج عمر فى عام ١٨٦٤ ، فخلفه ابنه (أحمدو شيخو) فى حكم امبراطورية التكولور والذى أصبح فى مكانة لا يحسد عليها [١٩] •

على أية حال وافق أحمدو شيخو على استمرار المفاوضات مع الفرنسيين ، التى أسفرت عنها معاهدة ماج عام ١٨٦٦ ، وقد تضمنت هذه المعاهدة ، اعتراف الفرنسيين بسلطة أحمدو شيخو على الأراضى التى تحت نفوذه والتى يستولى عليها فى المستقبل ، وتأمين وحرية

---

(١٨) دارت مراسلات بين الحاج عمر وأمير ماسينا الشيخ أحمد بن محمد لب وكان من العلماء الصالحين ومن كبار رجال الصوفية الداعين الى الحق ، فلما استنجد سلطان سغ الوثنى (على بن منز) بأمير ماسينا ضد التكولور ، طلب أمير ماسينا منهم أن يوقفوا الحرب مع هؤلاء القوم ، ولكن التكولور كانوا يريدون من أمير ماسينا ما حكم الله به ، وهو اما أن يعتنقوا الاسلام ويتركوا عبادة الأوثان ، او مواصلة الجهاد ضدهم ، وطلبوا منه أن يتعاون مع جيوش المسلمين ، او يرفع يديه عنهم ، والرسائل منشوره فى :

محمد الحافظ التجانى : الحاج عمر الفوتى ـ سلطان الدولة التجانية بغرب أفريقيا ، شىء من جهاده وتاريخ حياته ص ٤ وما بعدها .

(١٩) كان الحاج عمر عهد الى ابنه أحمد وشيخو بادارة مملكة البمبارا فى سيجو منذ عام ١٨٦٢ وخلع عليه لقب خليفة التجانية فى السودان ، وقد اتخذ أحمد ومن سيجو عاصمة له على النيجر

التجارة والانتقال فى سانت لويس ، وأن يدفع التجار الفرنسيون ١٠٪ من قيمة تجارتهم فى البلاد الخاضعة لسطان التكولور ، وعدم السماح للفرنسيين ببناء حصون عسكرية فى المنطقة الممتدة من بافولابى Bafoulabe فى السنغال وباماكو على النيجر ، وطلب أحمدو شيخو من الفرنسيين أن يزودوا جيشه باثنى عشر مدفعا ، وقد وعد ماج بارسال المدافع اليه (٢٠) .

وقد حرص الطرفان على اتباع سياسة الهدوء — وان كان مشوبا بالحذر — كل منهما نحو الآخر ، لذلك سرعان ما فترت العلاقات ثم تدهورت ووصلت الى مرحلة من التوتر ، عندما اكتشف أحمدو شيخو أن المدافع الفرنسية المرسلة اليه ، لا تصلح للاستعمال ، فاضطر الى اعادتها اليهم ، ومن ثم أخذ يتطلع الى مصادر أخرى يستمد منها السلاح للمحافظة على أملاكه ولمحاربة أعدائه ، وقد كانت هذه المصادر فى ذلك الوقت تتمثل فى بيوتات التجارة البريطانية فى سيراليون (٢١) .

والواقع أنه بعد عام ١٨٦٥ ومغادرة فيديرب أرض السنغال ، لم يتمكن الفرنسيون من تحقيق الكثير من التوسع والاحتلال ، فقد كانت حكومة نابليون الثالث التى كانت أفكاره تشبه أفكار عمه الامبراطور الأكبر الاستعمارية ، تزداد افلاسا يوما بعد يوم ، حتى عام ١٨٧٠ حين ركعت فرنسا أمام ألمانيا ، وفقدت الالزاس واللورين .

آثار الحرب السبعينية على غرب افريقيا :

فقدت فرنسا بهزيمتها أمام ألمانيا فى عام ١٨٧٠ ، الدور المتفوق الذى كانت قد لعبته فى أوربا خلال الجزء الأكبر من عصر الامبراطورية الثانية، ولكن الحرب لم تكن قد أثرت بعمق على القوى المادية والروحية فى هذه البلاد وكان استعادة النشاط الاقتصادى سريعا فيما بين عامى ١٨٧١ ، ١٨٧٥ اذ أن معدات الصناعة قد بقيت سليمة ، ما عدا فقد مصانع

(٢٠) Hargreaves, J. : op. cit. P. 224.

(٢١) Ibid. P.P. 225-229.

الالزاس واللورين ، وتضاعف استخرا ج المعادن — أوكاد — فى ثلاث سنوات ، وتمت اعادة تنظيم القوات العسكرية فى ظروف حسنة ، فقد سمح منذ سنة ١٨٧٥ بتطبيق قوانين ١٨٧٢ ، ١٨٧٣ للجيش العامل ، بأن تكون له قوات مساوية تقريبا للجيش الألمانى ، وكان فى وسع التعبئة أن تستدعى للخدمة العاملة ، الاحتياطى من المؤهلين ، وظهرت تغييرات واضحة فى الروح الاجتماعية ، فقد تسببت مرارة الهزيمة فى نقد ذاتى ، وفى تجديد الشعور الوطنى فى فرنسا (٢٢) •

لذلك عندما جرت الانتخابات العامة فى فرنسا فى فبراير عام ١٨٧١، كان الرأى العام راضيا ، ويشعر بالكرامة ، حينما يسمع الهتافات ، ويشاهد الاشارات التى تدعو الى الانتقام ، ولكن بعض رجال الدولة الفرنسيين ، كانوا مقتنعين بأن حالة القوات المسلحة لا تسمح بالالتجاء الى المغامرة فى أوربا فى ذلك الوقت ، ويفضلون السير للوصول الى تسوية سلمية مع ألمانيا ، وكان من أنصار هـــذا الاتجـــاه كل من أدولف تيير Adolphe Thiers وغامبيتا Gampetta (٢٣) •

أما جول فيرى Jules Ferry فقد أتى بوجهة نظر جديدة فى توجيه السياسة الخارجية ، فكان يرى أن سياسة (التقوقع) والمحصورة داخل نطاق القارة الأوربية هى (طريق الانهيار) ولم يكن فى وسع فرنسا أن تشغل كل وقتها بالتفكير فى (جرح سيدمى دائما) وعليها أن توجه أنظارها الى الخارج ، وأن تتجنب توتر العلاقات مع المانيا وأى مقاومة لبريطانيا فى خارج أوربا (٢٤) •

وعندما تنبه جمهور الرأى العام فى فرنسا لسياســـة جـــول فيرى الاستعمارية خارج أوربا ، خشى أن يتحول التفكير صوب أهداف ثانوية ،

---

(٢٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥ — ١٩١٤) تعريب د . جلال يحيى . ص ٤٩٢ — ٤٩٣

(٢٣) شغل منصب وزير الخارجية الفرنسية فى الفترة من ١٨٧١ الى ١٨٩٠ ثلاثة عشر شخصا منهم تيير وغامبيتا وجول فيرى .

(٢٤) بيير رنوفان : مرجع سابق . ص ٥٠٥ — ٥٠٧ .

فى الوقت الذى تتطلب فيه المصلحة الوطنية وضع كل المجهودات من أجل تخليص الالزاس واللورين ، وغسل عار الهزيمه التى لطخت سمعة فرنسا فى أوربا وفى الخارج ، فقد قال أحد الفرنسيين وهو دير وليد Déorulede (لقد فقدت اثنين من أولادى وتعرض على عشرين خادما) •

ومن ناحية أخرى ، كان الفلاحون والعمال يخشون من زيادة الأعباء الضريبية ، واكثر من ذلك ، الخوف من مشاركة المجندين الشبان فى حملات عسكرية بعيدة ، فرأى معارضوا الحكومة فى دوافع التوسع الاستعمارى ، ارتباطات مالية لا داعى لها ، لذلك لم يجد العمل الاستعمارى نقطة ارتكاز الا فى داخل ذلك التكتل الذى اشتمل على العسكريين ورجال البحر والمبشرين ورجال الصناعة والتجارة (٢٥) •

والواقع أن منذ عام ١٨٧٨ ، بدأت حركة كبيرة فى الدول الأوربية العظمى للتوسع الاستعمارى ، وقد بدأت هذه الحركة فى أول الأمر فى بريطانيا ، حينما عارض دزرائيلى رئيس الوزارة البريطانية فى عام ١٨٧٤ ، الاتجاهات المعادية للاستعمار ، فكان هذا الاتجاه مشجعا لأراء جول فيرى الذى أعطى لفرنسا دفعة قوية ، وتمكن من اقتحام البرلمان الفرنسى ووضع الأسس الاستعمارية فى غرب افريقيا ، لتكوين امبراطورية استعمارية تمتد منها الى الشمال والشرق •

فقد كان خلفاء الجنرال فيديرب — فاليير وبريردى لبيل — يحرصان على المكاسب السابقة وعدم التقهقر الى الخلف ، ومواجهة المقاومة الوطنية والحيلولة دون اتصالها مع البريطانيين للحصول على الأسلحة من التجار فى سيراليون (٢٦) •

ويلاحظ أن انجلترا كانت تحاول منذ عام ١٨٧٦ من توسيع دائرة اهتمامها بداخل منطقة النيجر ، وذلك بالاتجاه نحو دول السافانا فى السودان الغربى وزاد الاهتمام عندما اشتدت دعوة رجال الأعمال والكتاب الانجليز

---

(٢٥) بيير رنوفان : مرجع سابق . ص ٥١٨ .

(٢٦) Hargreaves, J. D. : op. cit P. 229.

الى ضرودة التوسع البريطانى فى غرب افريقيا ، ليتمكنوا من زيادة تنمية مواردهم وانتشار الارساليات التبشرية فى تلك المنطقة ، فقامت الحكومة البريطانية بمساعدة رجال التجارة والصـــناعة من الانجليز ، ووقفت بجانبهم ، رغم أنها كانت حتى ذلك الوقت تتظاهر بعـــدم القيـــام بأية محاولات توسعية فى غرب افريقيا (٢٧) •

فانتهز كوبر Cooper الحاكم البريطانى فى غمبيا ، توتر العلاقات بين التكولور والفرنسيين ، وقام بزيارة الى سيجو عام ١٨٧٦ ، عـــن طريق سنغمبيا وبوندو Bondou وخاسو Khasso بهدف تدعيم المصالح التجارية البريطانية مع المراكز التجارية التابعة للتكولور ، بجانب أنه كتب الى أحمدو شيخو فى العام نفسه (١٨٧٦) يفيده بأن الحكومة الانجليزية ، تسعى الى فتح طريق تجارى يربط بين غمبيا وسيجو لتنشيط التجارة بين الطرفين (٢٨) •

وعندما اشتدت الحروب الداخلية بين التكولور وأعدائهم من المبمبارا الذين كانوا يتلقون المساعدات العسكرية من جانب الفرنسيين ، وترتب على تلك الحروب أن تعطلت التجارة بين مراكز التكولور التجارية وبين المراكز التجارية البريطانية خاصة ، البيوتات التجارية فى فريتاون ، رأى « روى Rawe » الحاكم البريطانى فى سيراليون ضرورة الاعتماد على قوى وطنية قوية ، يعتمد عليها ، وتكون بصورة أو بأخرى ، لها ميول مع سياسة الحكومة الانجليزية ، لتنشيط التجارة وتوسيع مجالاتها ، فأرسلت حكومة سيراليون فى أبريل ١٨٧٩ ، رسائل ودية وهدايا الى كل من أحمدو شيخو قائـــد التكولور وعجيبو « شقيق أحمدو » وحـــاكم دينجويرى وساموري وامام فوتاجالون(٢٩) •

---

(٢٧) د • عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى افريقيا • ص ١٣٢ وما بعدها •

(٢٨) Oloruntimehin, B. O. : The segu Tukulor Empire. P.P. 235-238.

(٢٩) Hargreaves, J. : op. cit. P. 244.

واقترحت الحكومة الانجليزية بالاضافة الى رغبتها فى اسناد حماية الطرق وتأمين التجارة الى هؤلاء الزعماء الوطنيين ، فتح طريق تجارى أخر بين دينجويرى فى أعالى النيجـر الى سيجو ، لتسهيل العمليـات التجارية ، وقد ترتب على ذلك النشاط الدبلوماسى من جانب الحـكومة البريطانية ، أن ازدهرت التجارة ، وغمرت المصنوعات الانجليـزية ، الأسواق فى أعالى النيجر والسنغال ، وتدفق ما يقرب من ألف من رجال التجارة التكولوريين الى أسواق سيراليون فى ذلك العام أى ١٨٧٩ (٣٠) •

ويبدو أن الصراع الذى كان دائرا فى فرنسا بين الملكيين والجمهوريين فى ذلك الوقت ، أثر على حركة التوسع الفرنسى ، مما أغضب أنصار هذه الحركة ، ورجال التجارة والصناعة الفرنسيين ، من الحكومة ، لتغاضيها عن توسع الوجود الانجليزى المستتر وراء العمليات التجارية ، وتطلعه الى أعالى النيجر •

وكان حاكم السنغال « بريز دى ليل » الذى يعتبر من أنصار مدرسة جول فيرى التى تدعو الى التوسع الفرنسى ، فى غرب افريقيا ، قد فطن الى تزايد النشاط الانجليزى ، فعهـد الى الضـابط البحـرى جالليني Galliene حاكم سانت لويس ، مراقبة الأراضى المحيطه بالنيجر ، ومراقبة النشاط البريطانى ومحاولة منع الاتصال بين الانجليز وبـين التكولور ، وقد اقترح جالليني فى نوفمبر ١٨٧٩ انشاء مراكز جديدة فى بافولابى وفنجالا Fangalla وكيتا Kita (٣١) وفى الوقت نفسه طلب حاكم السنغال من الضابط جالليني العمل على كسـب أحمدو شيخو ، بصفته زعيما وقائدا لأكبر دولة اسلامية فى تلك المنطقة فى ذلك الوقت ، وضمه الى صف الفرنسيين (٣٢) •

وتنفيذا لأوامر بريز ليل حاكم السنغال ، حاول الضابط جالليني فى طريقه الى باماكو على أعالى النيجر ، أن يربط البمبارا بتحالف معه ،

---

(٣٠) Oloruntimehin, B.O. : op. cit. P.P. 235-238.

(٣١) كانت كيتا فى ذلك الوقت فى حالة حرب مع أحمد وشيخو •

(٣٢) Oloruntimehin, B. O. : op. cit P. 239.

بهدف الاستفادة منهم — عند اللزوم — ضد أحمدوشيخو ، ولكن يبدو أن البمبارا عرفوا أن الفرنسيين يرغبون فى مهادنة التكولور ، وهذا يعنى من وجهة نظرهم — التخلى عنهم ، فهاجموا جاللينى وأوقعوا به الهزيمة فى ديو Dio يوم ١١ ماي و سنة ١٨٨٠ ، لذلك اضطر جاللينى أن ينزل الى النهر ، ووصل الى نانجو Nango التى تبعد حوالى خمسة وثلاثين كيلو مترا عن سيجو عاصمة التكولور ، وكان موقف الضابط الفرنسى فى نانجو أسوأ من هزيمته فى ديو ، فقد ظل مسجونا فى نانجو اكثر من تسعة شهور ، محاصرا من قبل جنود التكولور ، قبل أن يسمح له سلطان سيجو بالمقابلة ، ولن دل هذا على شىء فانما يدل على أن أحمدو شيخو أخذ يغير من سياسته — بصفة عامة — نحو الفرنسيين ، فبعد ان وافق على ايجاد نوع من الارتباط معهم ، يحقق وينشط التجارة وينعشها ، وتعهده بحماية الملاحة فى النهر ، مقابل أن يساعدوه فى الحصول على السلاح — لمواصلة جهاده فى نشر الاسلام بين القبائل الوثنية ، واخضاع المنافسين له فى الحكم ، لمس أى أحمدو شيخو — أنهم ينهجون سياسة عكسية وهى حرمانه من السلاح ، ومساعدة أعدائه والاستمرار فى تشييد الحصون العسكرية فى املاكة ، كما حدث مثلا فى بافولابى(٣٣) .

وقد عزى جاللينى أن سبب غضب التكولور وحصاره فى نانجو طوال تلك المدة ، الى تحريض حاكم سيرالون البريطانى لهم ضد الفرنسيين ، لذلك لم يترك جاللينى الفرصة للانجليز ، فأخذ يستخدم الدبلوماسية الناعمة مع أحمدو شيخو ليعقد معه معاهدة وبالشروط التى يرتضيها زعيم التكولور ، ويبدو أن أحمدو شيخو لم يفطن الى ملاحقة جاللينى له ، واستخدامه أساليب الاغراء ، فوقع معه معاهدة نانجو فى ٣ نوفمبر ١٨٨٠ بالشروط التى أبداها أحمدو شيخو ومنها عدم تشييد حصون عسكرية فى الأراضى التابعة للتكولور(٣٤) .

فقد طبق الفرنسيون أساليب الخداع التى مارستها الدول الأوربية

---

(٣٣) Hanotaux, Gabriel. : Histoire des colonies Francaise et de L'expansion de la France dans le monde. Tome IV. P. 175.

(٣٤) Oloruntimehin, B. O. . op cit., P.P. 240-241.

الاستعمارية مع الزعماء الوطنيين فى القارة الافريقية ، وذلك باستخدام العبارات فى نصوص المعاهدات التى تختلف فى معناها عن الذى تمت عليه الموافقة فى المفاوضات ، فقد خضعت معاهدة نانجو لعملية التزوير (٣٥) فتضمنت أن سلطان سيجو قبل الحماية الفرنسية على النيجر من منابعه حتى تمبكتو ، وكذلك على الاراضى التى يفتتحها على طول النهر ، بينما كتبت باللغة العربية ، أن التجار افرنسيين يستطيعون ممارسة التجارة فى داخل بلاد التكولور وعلى نهر النيجر من منابعه حتى تمبكتو ، وكذلك فى البلاد التى يستولى عليها سلطان التكولور فيما بعد (٣٦) .

وعندما عرف أحمدو شيخو بمضمون النص الفرنسى فى المعاهدة ، طلب من حاكم السنغال تعديل نصوص المعاهدة ، طبقا للمحادثات التى تمت بينه وبين جاللينى ، ولكن الحاكم الفرنسى رفض ادخال اى تعديل عليها ، فتوتر الموقف بين الطرفين ، وأوقف أحمدو شيخو نشاط التجار الفرنسيين فى أملاكه ، وشدد الخناق عليهم وتقرب الى الانجليز ، الأمر الذى ترتب عليه تصميم الفرنسيين على ضرب امبراطورية التكولور (٣٧) وأية مقاومة وطنية أخرى ، كما نراه فى الصفحات التالية .

توسع النفوذ الفرنسى فى أعالى النيجر :

شاءت الظروف أن يتولى رئاسة الوزراء فى فرنسا جول فيرى عام ١٨٨١ ، (٣٨) وهو كما نعرف من المتحمسين لفكرة التوسع الاستعمارى

(٣٥) استغل الأوربيون عدم معرفة الأفارقة باللغات الاوربية ، فكان مضمون معظم المعاهدات التى أبرمت معهم ، يختلف كلية عن الذى جرى فيه الحديث ، ومن ثم كانت تنص على قبول هؤلاء الزعماء الأفارقة الحماية على بلادهم ، ولتكون فى ايدى الدولة الاستعمارية ــ الطرف الآخر ــ تستخدمه ضد الدول الاستعمارية المتنافسة الأخرى .

(٣٦) Meniaud, J. : Les pionniers du Soudan. Tome I. P.P. 339-341.

(٣٧) Hargreaves, J. : op. cit. P.P. 258-264.

(٣٨) كان جول فيرى من اقليم الفوج (١٨٣٢ ــ ١٨٩٣) وقد ترك بصمات واضحة فى سياسة فرنسا الاستعمارية ، فكان فى عهد امبراطورية نابليون الثالث راديكاليا داعيا للسلام ، ثم شق طريقة الى السلطة ايام الجمهورية الثالثه بصفته داعيا للتوسع الاستعمارى السافر ، انظر : ــ فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ص ٣١٠ .

خارج القارة الأوربية حتى لا تصطدم فرنسا مع المانيا التى سلبت منها الالزاس واللورين فى الحرب السبعينية ، وكانت نظـرية جول فيرى الاستعمارية مرتبطة بالمصالح المادية ، فقد أكد أن (الاستهلاك الأوربى قد تشبع) وأنه فى وسع السياسة الاستعمارية وحدها أن تجد (طبقات جديدة من المستهلكين) وهى (صمام الأمن) وتصبح الدول الصـــناعية بدونه مهددة بالازمات الاقتصادية والاجتماعية (٣٩) •

هذا وقد أخذ بعض العسكريين ورجال الصحافة والأعمال ، يشيدون بالمنافع التى يمكن أن تعود على فرنسا من الحصول على ممتلكات جديدة لانعاش التجارة الفرنسية وتصريف الانتاج الصناعى ، فقد كان الانجليز يدعمون تجارتهم مع زعماء أعالى النيجر ، وتمكن حاكم غامبيا البريطانى من عقد معاهدة صداقة مع أئمة فوتاجالون فى عام ١٨٨١ ، وذلك لتنشيط التجارة البريطانية وزيادة حجمها وانتشارها مع سكان المنطقة ، مما جعل جور جيبيرى Jaureguiberry وزير البحرية الفرنسية ، يحـــذر مجلس الشيوخ الفرنسى من عواقب التواجد الانجليزى المســـتتر وراء العمليات التجارية فى غرب افريقيا (٤٠) •

وعلى ذلك أخـــذت الوزارة الفرنسية الجـــديدة فى تنفيذ ســـياستها الاستعمارية فى غرب افريقيا ، وتوسيع النفوذ الفرنسى فى أعالى النيجر ، فقد وجدت أن المصالح الفرنسية فى غرب افريقيا ، تتوقفبالدرجة الاولى على هذه المنطقة ، لذلك من الممكن أن نعتبر أن مجىء جول فيرى على رأس الوزارة الفرنسية فى عام ١٨٨١ يشكل مرحلة جديدة فى السياسة الفرنسية الاستعمارية بالنسبة لأعالى النيجر •

ومما دعم هذه السياسة الاستعمارية ، جوســـتاف بورنى ديبـــورد Gustave Borgnis Desbordes الذى تولى منصب القائــــد

---

(٣٩) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدوليه ، تعريب د . جـــلال يحيى ص ٥١٣ .

(٤٠) Forstner, Kanya. : The Conquest of the Western Sudan. P.P. 99-100.

الأعلى لاعالى النهر فى أول يناير ١٨٨١ ، وبذلك كان الهدف الاستعمارى موحدا سياسيا وعسكريا (٤١) .

وقد بدأ دييورد منذ وصولة الى السنغال ، يعد العدة لتحقيق الأطماع الفرنسية ، وذلك بتكوين امبراطورية تضم أملاكها المبعثرة فى تلك الجهات وربطها مع شمال افريقيا (٤٢) .

وكان دييورد يرى أن سياسة الذين يدعون الى توسيع النفوذ الفرنسى فى اعالى النيجر ، عن طريق العلاقات الودية والتجارية وجذب زعماء الممالك الاسلامية الى صف الفرنسيين ، سياسة لا تأتى بالثمار المرجوة ، فنظر الى الموضوع بوجهة نظر عسكرية بحتة ، ومن ثم عقد العزم على ضرورة فرض الوجود الفرنسى بالقوة وتحطيم أى مقاومة وطنية تعترض أهـدافه (٤٣) .

وقبل أن يبدأ دييورد فى تنفيذ مخططة العسكرى ، وجد أن اكبر قوة تعترض طريقه ، تتمثل فى امبراطورية التكولور الاسلامية ، وأنه ليس من اليسير القضاء عليها بين يوم وليلة ، خاصة وأنها تضم الكثير من فقهاء التجانية الذين يدعون الى مواصلة الجهاد فى نشر الاسلام ، فعمل على أن يضعف من قوتها عن طريق حرمانها من الاتصال بالانجليز الذين كانوا يزودون جيش أحمدو شيخو بالأسلحة ، وفى الوقت نفسه تأليب أعدائه خاصة من البمبارا ضده ، فقام فى ٩ يناير ١٨٨١ بحملة عسكرية ، وصل بها الى قلعة مورجولا — Mourgoula التكولورية على النيجر ، ولكنه أثر التريث ولم يصطدم بالتكولور ، وفضل أن يجرى عمليات الاستكشاف، فاتجه جنوبا صوب بوريه Boure وستكران Sankaran وواسولو Wassulo ، وهى بلاد غنية بالذهب على أعالى

---

(٤١) Johnston, Harry. : A history of Colonization of Africa. P.P. 202-208.

(٤٢) سبق أن احتلت فرنسا فى عام ١٨٣٠ الجزائر ، ثم استولت على تونس فى عام ١٨٨١ ، واخذت تدبر فى تحقيق قفزة ثالثة الى المغرب الأقصى .

(٤٣) Oloruntimehin, B. O. The Segu Tukulor. Empire. P. 250.

النيجر ، وكانت خارجة عن نفوذ أحمدو شيخو ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أراد أن يشعر البريطانيين بالوجود الفرنسى فى تلك المنطقة ويحول دون وصول السلاح الانجليزى الى امبراطورية التكولور(٤٤) •

ورغم تلك الاستفزازات من جانب الفرنسيين ، فان قائد امبراطورية التكولور لم يحاول ان يصطدم بهم ، بسبب الحروب والمنازعات الداخلية فى الامبراطورية ، وتنافس اخوته وأقاربه ونزوعهم فى بعض الأحيان الى الانفصال بمقاطعاتهم عن حكم أحمدو شيحو ، مثال موقف عجيبو Ajibou شقيق أحمدو فى دنجويرى وكذلك موقف مونتاجا Muntaga فى كارته ، وتمرد تيجانى Tijani واعلانه الاستقلال بمقاطعة ماسينا (٤٥) •

هذا فضلا عن نفور دويلات سنغمبيا الاسلامية من امبراطورية التكولور ، وتقاربها مع الفرنسيين ، منذ محاولة الحاج عمر فى تنفيذ حركة الاصلاح فى غرب افريقيا التى كانت تهدف الى دمج هذه الدويلات فى الامبراطورية (٤٦) •

لذلك اتاحت تلك الظروف التى كانت عليها امبراطورية التكولور فى تلك الفترة ، فرصة مناسبة للفرنسيين ، ليحققوا مآربهم فى أعالى النيجر ، وربطة بالسنغال بواسطة سكة حديد تمتد من ميدين الى باماكو(٤٧) •

لكن عندما قام ديبورد على رأس حملة ثانية فى الفترة بين ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، لتحقيق المطامع الفرنسية ، والوصول الى باماكو ، منتهزا فرصة انشغال التكولور بخلافاتهم الداخلية ، كانت هناك قوة اسلامية أخرى ،

---

(٤٤) Hargreaves, J. : Prelude to the partition of West Africa. P. 260.

(٤٥) Encyclopedia de L'Islam. Tome I. P. 306.

(٤٦) Oloruntimehin, B. O. : Anti-French of African State and Groups in the Western Sudan (1889 - 1893). P. 7.

(٤٧) Person, Y. : Samori, La-renaissance de L'empire mandingue, A.B.C. P.P. 52-53.

أخذة فى الصعود ، تتمثل فى ساموري ، الذى كان يتطلع هو الأخر الى باماكو ، نظرا لأهميتها فى أعالى النيجر ، وصـــار من المتوقع الصـــدام بينهما (٤٨) •

فكان ساموري بعد أن ضرب الحصـــار حول كانـــكان ، انتقل الى محاصرة كينيرا Keniera بالقرب من سيجيرى وهى ســـــوق مشهورة بتجارة الذهب والأقمشة والخيول الواردة من الشمال ، مما اضطر حاكمها (باجوبا Bagoba) أن يرسل فى يوليو ١٨٨١ رسولا الى مونسجيه Monsigur قائد حصن كيتا الفرنسى ، يطلب منه الحماية من ساموري (٤٩) •

وخشى القائد الفرنسى الاحتكاك مع ساموري لأنه لا يزال يجهل مدى قوته وتجنب من أن يتورط معه فى حرب لا يعرف مصيرها ، دون علم حكومته ، لذلك نصح لحاكم كنييرا بأن يصمد ويستمر فى مقاومته للحصـــار ، وأرســـل فى الوقت نفسه الضـــابط السنغالى الكامســـا Al kamassa الى ساموري ، بهدف عقد صلح بين الطرفين (٥٠) •

وقد غضب ساموري ورفض التدخل الفرنسى فى تسوية المنازعات بين الأهالى ، لان ذلك فى اعتقاده من الشئون الداخلية الخاصـــة بســـكان المنطقة ، وأمر جنوده بوضع المبعوث الفرنسى فى السجن (٥١) •

لذلك عندما أخذ دييورد على عاتقه تحقيق الأهداف الفرنسية ، وعلمه

---

(٤٨) ولدساموري فى ساتكورو جنوب شرق كانكان فى اعالى حوض نهر ميلو ، احد روافد النيجر ، وكان والده احد المرابطين من سلالة الماندنجو ، واخذ ساموري العهد على الطريقة القادرية ، وكان اماما وزعيما وسياسيا ، وقائدا لدولة عظيمة ، دوخ الفرنسيين وعرقل كثيرا من هجماتهم ، وصمد حتى تم القبض عليه فى عام ١٨٩٨ ونفيه ، كما سنراه فى الصفحات التالية .

(٤٩) كانت كيتا تخضع للحماية الفرنسية فى ذلك الوقت ، انظر :
Person, Y. : op. cit. P.P. 56-57.

(٥٠) الكامسا من الضباط المسلمين الذين عملوا فى خـــدمة الجيش الفـــــــرنسى .

(٥١) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV. P. 201.

بأعمال ساموری ، أسرع بنفسه الى مطاردة قواته وفك حصار كنييرا ، وقد فضل ساموری عدم الدخول معه فى معركة ساخنه ، وترك كينيرا فى ١٦ فبراير ١٨٨٢ (٥٢)

ويبدو أن دیبورد قام بهذا الاجراء السريع ضد ساموری ، ليضعف من قوته قبل أن يستفحل خطرها ، وتشكل عقبة أخرى مثل التكولور فى طريق الغزو الفرنسى الى أعالى النيجر ، فقد وردت الأخبار اليه — أى ديبورد — أن قوة ساموری الوطنية تزداد يوما بعد يوم ، ويعتمد فى تسليحها على التجار الانجليز فى سيراليون (٥٣) ، وقد ترتب على قوته الصاعده ، ومحاولاته فى توحيد جميع فروع سلالة المانجو (٥٤) أن أخذ زعماء البلاد ، يتوددون اليه ويعترفون بزعامته عليهم مثل ما حدث من كبراء المانجو فى كانجابا Kangaba (٥٥) •

وقد ترتب على فك حصار كنييرا أن تولد الحقد فى صدر ساموری ، فأرسل حملة بقيادة أخيه فابو Fabou للاشتباك مع القوات الفرنسية وبينما كانت القوات الوطنية تنزل بها الخسائر ، صدرت الأوامر للحملة الفرنسية بالتوقف عن القتال ، فقد كان ديبورد على خلاف مستمر مع حاكم السنغال ، الذى كان لا يحبذ مغامرات ديبورد ومد النفوذ الفرنسى الى أعالى النيجر بالقوة العسكرية ، فكان من رأيه أن يؤخذ فى الاعتبار العامل الدينى الاسلامى فى تلك البلاد ، بجانب تطلعات أوربية أخرى مثل الانجليز الى هذه المناطق (٥٦) •

والواقع أن التنافس لم يقتصر على فرنسا وبريطانيا فى غرب افريقيا، فقد شاركت فيه ألمانيا — وان كانت جاءت متأخرة — فقد بدأ النشاط

---

(٥٢) Person, Y. : op. cit., P.P. 56-57.

(٥٣) Anderson, J. D. : West Africa in the nineteenth and twenttieth centuries. P. 169.

(٥٤) د. على ابراهيم طرخان : دولة مالى الاسلامية . ص ١٧٤ .

(٥٥) Crawder, M. : West Africa under colonial rule. P. 124.

(٥٦) Fyge, C. : A History of Sirra Leone. P. 448.

الألمانى فى المنطقة بالنشاط التبشيرى منذ عام ١٨٣٠ فى توجو والكاميرون، وبدأ نشاط شركات هامبورج فى عام ١٨٣٣ بأقامةوكالة تجارية على الساحل الغربى من افريقيا ، وأرسلت شركة هيرتز Hertz أول سفينة ألمانية فى عام ١٨٤٤ الى ساحل افريقيا الشرقى للتجارة فى الصدف وتصديره الى غرب افريقيا لاستعماله كعملة ، وتبعتها الشركات الأخرى (٥٧) .

وسرعان ما تغيرت السياسة الألمانية نتيجة تطبيق النظم الصناعية الحديثة فى المانيا ، ومن ثم حاجة المجمعات الصناعية الى المواد الأولية ، وايجاد الأسواق لتصريف الانتاج الصناعى ، واستثمار رؤس الأموال الفائضه فى اقامة المشروعات ، فقد ترتب على كل ذلك أن واجه بسمارك عاهل المانيا ـ نقدا لاذعا من المغامرين لرفضه التوسع فى لفريقيا ، وحرصه الشديد على قوة المانيا فى داخل أوربا (٥٨) .

ومنذ بداية الثمانينات من القرن التاسع عشر ، طفق النشاط التجارى الألمانى فى النمو ، وازدادت أحجام المعاملات التجارية ، فبلغ عدد السفن منذ عام ١٨٨٢ التى كانت تغادر هامبورج ٢٧ سفينة سنويا الى افريقيا (٥٩) .

اذن لم يقتصر الامر على المطامع الفرنسية فى غرب افريقيا ، فهناك أيضا بجانب الانجليز الألمان والبلجيكيون والبرتغاليون وغيرهم ، ومع ذلك تمكن القائد الفرنسى ديبورد فى الاجتماع الذى حضره فى ٣٠ أغسطس ١٨٨٢ فى باريس والذى كان برئاسة وزير الحربية ، من أن يحصل على الموافقة ببناء قلعة عسكرية فى باماكو على النيجر ، وبذلك قامت حملة عسكرية فى ٢٢ نوفمبر من العام نفسه ، ووصلت الى كيتا فى ١٦ ديسمبر ،

---

(٥٧) د. السيد رجب حراز : افريقيا الشرقية والاستعمار الأوربى . ص ١١٢ .

(٥٨) Fetzgerald, W.: Africa, Social, Economic and Political Geography of its major regions. P. 87.

(٥٩) Hargreaves, J. : op. cit., P.P. 316-317.

واشتبكت مع قوات ساموری التی كانت قد عادت اليها بقيادة (فابو) وحطمت الخط التلغرافى الذى كان شيده الفرنسيون بين كيتا وباماكو ، وواصلت الحملة سيرها دون أن تجد مقاومةشديدة حتى وصلت الى باماكو فى أول فبراير ١٨٨٣ ، وباركت الحكومة الفرنسية هذا العمل من جانب ديبورد ، الذى أيقن آن ساموری رجل عنيد ولابد أن تؤخذ قوته فى الحسبان (٦٠) •

فقد طلب من شقيقه (كيمی بريما) الذى كان معسكرا بالقرب من باماكو ، ألا يستسلم للقوات الفرنسية ، وقد تمكن بريما من عقد عدد من التحالفات مع بعض زعماء باماكو وماجاورها ، ومن ثم ضرب الحصار على باماكو فى أول أبريل ١٨٨٣ ، ولم تتمكن القوات الفرنسية من فك هذا الحصار ، بسبب التعاون الذى نتج عن التحالف بين كيمى بريما والزعماء الوطنيين ، فأسرع ديبورد وكون حملة فى ١٢ أبريل لطرد قوات ساموری من الأملاك التى كان الفرنسيون يعتبرونها تحت نفوذهم ، وتأديب الجماعات المتحالفة مع قوات ساموری ، ودارت معركة بين الفرنسيين والوطنيين حول خليج وايانكو ، بذل فيها قوات السوفا جهودا عسكرية فائقة أجبرت الحملة الفرنسية على الفرار ، فاضطر ديبورد أن يدفع بحملة حربية أخرى مزودة بأحدث الأسلحة ، هاجمت القوات الوطنية وأرغمتها على الانسحاب (٦١) مما اضطر زعيم التكولور « تيتى Titi للاستسلام والدخول فى طاعة الفرنسيين ، وقبوله بناء القلعة العسكرية فى باماكو ، خوفا من اقدام ديبورد على ذبح السكان الوطنيين ، كما حدث بالنسبة لسكان قرية جوبانكو Goubanko التى قاومت ورفضت الدخول فى مفاوضات مع الفرنسيين (٦٢) •

وعبر ديبورد عن ارتياحه لهذا العمل العسكرى أثناء وضعه حجر

---

(٦٠) Forstner, Kanya. : op. cit., P.P. 94-95.

(٦١) Gann, L. H. : Colonialism in Africa. Vol. I. P. 204.

(٦٢) Meniaud, J. : Les pionniers du Soudan. Tome I. p. 147.

الأساس للقلعة العسكرية ، وأطلق احدى عشر طلقة من نيران مدفعيته تحية للعلم الذى يرتفع ـ كما قال ـ لأول مرة والى الأبد على ضفتى النيجر (٦٣) ولكن سرعان ما عـاد دييورد الى باريس ليعمل فى وزارة المستعمرات الفرنسية (٦٤) .

ويلاحظ أنه حتى ذلك الوقت الذى غادر فيه دييورد السودان الغربى كانت الاشتباكات التى دارت بين القوات الفرنسية والقوات الوطنية عبارة عن تحرشات ، ولم تصل الى مرحلة الحرب الفعلية السافره ، فقد كان ساموري لايزال يعمل على اخضاع فروع الماندنجو فى امبراطوريته، ويجتهد فى نشر الاسلام بين القبائل الوثنية بواسطة فقهاء القادرية ، ولم يعلن ـ بعد ـ الجهاد المقدس ضد الغزاة من الفرنسين (٦٥) .

ولكن يلاحظ من ناحية أخرى ، أنه ترتب على اقامة قلعة عسكرية فى باماكو أن قطعت المواصلات بينها وبين سيجو عاصمة التكولور ، مما جعل أحمدو شيخو ينقل مركز حكومته منها الى نيورو ، ليتخذ منها مـركزا استراتيجيا لمقاومة الغزو الفرنسى (٦٦) .

وبناء على ما سبق ذكره ، فانه اذا كانت فرنسا وطدت وجودها على المنطقة الواقعة من ميدين فى السنغال الى باماكو على النيجر ، بقـدر قليل من الخسائر ، فان تطلعها الى أجزاء أخرى من أعالى النيجر ، كلفها الكثير من المعدات والأرواح بسبب صمود وضربات المقاومة الوطنية كما نعالجه فى الصفحات التالية .

الموقف بين الفرنسيين والوطنيين بين عامى ١٨٨٤ و ١٨٨٨

أولا : انعكاس مؤتمر برلين على منطقة أعالى النيجر :

(٦٣) Crawder, M. : op. cit, P.P. 78-82:

(٦٤) Forstner, Kanya. : The conquest of the Western Sudan. P. 112.

(٦٥) Collins, Robert. : Problems in the history of colonial Africa. P. 62.

(٦٦) د. ابراهيم على طرخان : مرجع سابق . ص ١٧٤ .

شهدت الفترات الأخيرة فى وزارة جول فيرى التى سقطت فى ٣٠ مارس ١٨٨٥ ، العديد من المشاكل ، فقد انهزمت القوات الفرنسية فى الهند الصينية ، مما جعل المعارضون لسياسة التوسع الاستعمارى الفرنسى ، يوجهون النقد ضد تلك السياسة ، وبالتالى يتشددون فى صرف الأموال المطلوبة لتغطية نفقات الحملات العسكرية فىأعالى النيجر ، فقد ترتب على استيلاء الفرنسيين على باماكو ، وتشييدهم القلعة العسكرية فيها عام ١٨٨٣ ، أن وجدوا أنفسهم فى مواجهة مقاومة عنيفة من قبل الزعماء الوطنيين وهذا يتطلب الاستمرار فىبقاء الوجود العسكرى،زيادة على ذلك ،فان لجوء القوات الفرنسية الى استخدام السخرة والعمل الاجبارى دون أجر ، آثار عليهم مشاكل داخلية عديدة فى فرنسا(٦٧).

لذلك صدرت التعليمات الى القومندان كومب Combes (٦٨) بالمحافظة على الأملاك التى سبق أن استولى عليها ديبورد ، وعدم اثارة المشاكل والدخول فى معارك عسكرية مع زعماء الممالك الاسلامية (٦٩) .

وقد ترتب على فترة توقف التوسع الفرنسى فى أعالى النيجر ، أن استفاد منها ، كل من زعماء المقاومة الوطنية والبريطانيين على حد سواء، فقد تمكن أحمدو شيخو من جمع الأنصار ، وتجهيز القوات ، فهاجم التكولور ، بمبارا بليدوجو ، وهددوا القلعة العسكرية فى باماكو ،ونجحت فرقة منهم فى الاستيلاء على نيامينا Nyamina. على الضفة اليسرى لنهر النيجر(٧٠) .

وواصل سامورى فتوحاته فى بلاد البمبارا والفولانكى Fulanké

---

(٦٧) Hargereaves, J.: op. cit., P. 339.

(٦٨) خلف بواليف Boiléve القائد ديبورد ، وسافر الى باريس فى موسم امطار عام ١٨٨٤ ، وحل محله القومندان كومب بصفة مؤقتـــه .

(٦٩) Meniaud, J. : Les pionniers du Soudan. Tome. I P.P. 233-235:

(٧٠) Growder, Michael. : West Africa under colonial rule. P. 67.

وأخذ يتطلع الى منطقة الأنهار الجنوبية المشهورة بانتـــاج الزيــوت ، وتمكن الحاج محمدو لامين زعيم السراكولى من تفجير الثورة ، حين وجد أن مصالح البلاد تتعارض مع الخطط الفرنسية (٧١) •

وبالنسبة للبريطانيين ، فقد استمروا فى أنشاء المحطات التجارية ابتداء من أنهار الزيت حتى نهر بينوى Benue ، ومغازلة ساموري وتدعيم التجارة معه ، وتطلعهم بصفة عامة الى المنطقة (٧٢) •

لذلك رأت الحكومة الفرنسية أن تجد لها حلا مع الحكومة البريطانية، يغنيها عن المواجهات الساخنة معها ، حفاظا على مصالحها فى مناطق أخرى ، كما هو الحال فى مصر على سبيل المثال ، ولا مانع كما صرح جول فيرى بأن تحتفظ انجلترا بنفـــوذها فى النيجـــر الأدنى ، وأن يبسط الفرنسيون نفوذهم وسيطرتهم على أعالى النيجر(٧٣) •

فى ذلك الوقت كان بسمارك ـ عاهل ألمانيا ـ يرقب الموقف شبه المتوتر بين فرنسا وبريطانيا ، ويحاول أن يستثمر موقف حكومة جول فيرى التى تدعو الى عدم الاشتباك مع ألمانيا ، بسبب قضية الالزاس واللورين ، فتقرب الى الحكومة الفرنسية ولم يعترض على احتلالها لتونس فى عام ١٨٨١ كما ناصرها فى موقفها ضد الحكومة الانجليـــزية لاحتلالها مصر فى عام ١٨٨٢ وأعلن عن استنكاره للمعاهدة التى تمت بين البريطانيين والبرتغاليين فى فبراير عام ١٨٨٤ بشأن حوض الكونغو(٧٤)•

وكان هدف بسمارك من وراء ذلك ، هو ابعاد فرنسا من أن تفكر فى المطالبة بأقاليمها المفقودة فى أوربا (٧٥) ، وبقدر الامكان قطع جسور التفاهم بين فرنسا وبريطانيا ، فقد كانت هناك بوادر تشير الى توتر العلاقات بين ألمانيا وبريطانيا ، بسبب التنافس الصناعى والتجارى

---

(٧١) Oloruntimechin, B.O. : Anti-French Coalition of African States and Groups in the Western Suden P. 12.

(٧٢) Forstner, Kanya. : op. cit. P. 312.

(٧٣) Hargpeanes, J. : op. cit. P. 312.

(٧٤) Ibid, P. 330.

(٧٥) Lucas, Sir Charles : The partition and colonization of Africa,P. 83.

بينهما ، وحرص جول فيرى على تجنب الاحتكاك مع الانجليز ، ومقاومتهم فى الخارج (٧٦) .

وعندما لمس بسمارك احساس فيرى ، ورغبته فى أن تحصل فرنسا على بعض المصالح فى نهر النيجر ، وبسبب مسألة الكونغو والمشاكل المتعلقة بها ، تحرك ووجـه الدعوة الى الدول التى يهمها الأمر ومن ثم تم انعقاد المؤتمر فى برلين فى الفترة من ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ الى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ ، وأسفر عن وضع ميثاق مكون من ٣٨ مادة ، وقع عليه مندوبو الدول المشتركة ، ومن أهم ما تضمنته مواد الميثاق .

١ ــ تقرير حرية التجارة فى حوض الكونغو وحرية الملاحة فى نهر الكونغو .

٢ ــ الالتزام بحرية الملاحة فى نهر النيجر .

٣ ــ عدم اعلان أية دولة ، الحماية على أية منطقة من القارة الافريقية مالم تكن هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلى للمنطقة ، وعلى أن تقوم هذه الدولة بالعمل على تقدم سكان هذه المنطقة وتقيم فيها حكومة عادلة (٧٧) .

ورغم موافقة بريطانيا على قرارات المؤتمر ، فان التنافس بدأ يشتد على امتلاك الأراضى الافريقية ، ليس بين بريطانيا وفرنسا بسبب عدائهمـا التقليدى ، بل بين معظـم الدول الأوربيـة والاسـتعمارية الأخرى (٧٨) .

ومن ثم أزداد توافد البعثات الدبلوماسية والعسكرية الى القارة ، لعقد المعاهدات مع الزعماء الأفارقة ــ بطريقة أو بأخرى ــ وتشييد

(٧٦) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية : تعريب د. جلال يحيى ص ٥٠٧ .

(٧٧) حضر المؤتمر وفود عن اربعة عشر دولة هى ــ المانيا والنمسا وبلجيكا والدنمرك والسويد وأسبانيا والبرتغال وانجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وايطاليا وتركيا ، با لاضافة الى هيئة ودراسة الكونغو الأعلى . أنظر تفاصيل المؤتمر فى : ــ
د . شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستثمارها . ص ٣٠١ ــ ٣٠٧

(٧٨) Davidson, Basil. : Guide to African History. P. 76.

المراكز التجارية والقلاع الحربية، واذا كانت فرنسا وبريطانيا، تورطتا فى تكاليبهما المسعور فى القارة الافريقية بصفة عامة ، فنرى أن تورطهما فى منطقة النيجر كان بصفة خاصة (٧٩) .

وبغض النظر عن الصراع بين تلك الدولتين ، فان ما يهمنا فى هذا البحث ، هو استمرار دور المقاومة الوطنية ضد التوسع الفرنسى المتزايد.

ثانيا : استئناف العمليات العسكرية :

ذكرنا أن الحكومة الفرنسية ، أصدرت التعليمات الى القائد « كومب » بعدم الاحتكاك مع الزعماء الوطنيين فى أعالى النيجر ، والاكتفاء بالمحافظة على الأراضى التى استولى عليها القائد « دييورد » سابقا ، وذلك للتخفيف من الأعباء المالية التى كانت تئن بها الخزينة الفرنسية ، وانتظارا لما يسفر عنه مؤتمر برلين (٨٤ /١٨٨٥) من قرارات .

ولكن القائد الفرنسى (كومب) ، كان يرى المسألة بمنظور آخر ، فرأى بحكم تواجده ومشاهداته على الطبيعة ، أنه اذا استمر فى تنفيذ تعليمات حكومة باريس ، فان القوات الوطنية ستضيق الخناق على الوجود الفرنسى ، لذلك فان الأمر يتطلب — من وجهة نظره — كسر شوكة الممالك الاسلامية ، حتى يصير الفرنسيون سادة السودان والمتحكمون فى تجارته (٨٠) .

وقد وجد (كومب) أن أعتي قوة وطنية فى طريق الفرنسيين تتمثل فى دولة ساموري — فى ذلك الوقت — فانتهز — أى (كومب) اشتباكاتها مع ملك كينيد وجو (٨١) ، وبلاد السنوفو Senoufo والبمبارا، وتغاضى عن تعليمات حكومته ، وسير حملة عسكرية الى بوريه Bouré

(٧٩) Adloff, R. : op. cit. P. 154.

(٨٠) Forstner, Kanya : op. cit. P. II 8.

(٨١) كان يحكمها الملك تيبيا Tieba وهو من الد أعداء ساموري .

المشهورة بالذهب ، وكانت تخضع لنفوذ ساموری فطرد قواته منهـا واستولى عليها (٨٢) ، ثم توجه الى كينجابا الواقعة فى مواجهة باماكو ، وأخضعها للنفوذ الفرنسى ، واستأنف عمليات بناء الحصون العسكرية ، فشيد قلعة فى نياجا سولا Nigassola على الضفة اليسرى للنيجر ، وكلف الضابط لوفيل Louvel بأن يشدد الحراسة على هذه القلعة ، لأهميتها من حيث أنها على مقربة من القوات الوطنية

ولكن سامورى حين علم بتلك الأخبار ، لم تمنعه حروبه الداخلية من أجل توسيع امبراطوريته ، فوجه جزءا من قواته عبرت النهر، واتجهت نحو القلعة الفرنسية فى نياجا سولا ، فاشتبك الفرنسيون مع القـوة الوطنية عند قرية نفادييه Nafadie على الطريق بين نياجاسـولا وسيجيرى وأوقعوا بها الهزيمة فتكتلت قوات السوفا التابعة لساموری فى اليوم التالى ، وشددت الحصار على الضابط الفرنسى (لوفيل) فى نفادييه وقطعت عنه الاتصال من قيادته العليا ، لذلك اضطر القائد كومب أن يقوم بحملة لتخليص (لوفيل) من قوات السوفا ، وفى طريقه الى نفادييه اشتبكت معه القوات الوطنية ، وألحقت به الكثير من الخسائر فى المعدات والأرواح (٨٣) •

لذلك حشد كومب العديد من الأسلحة والمدافع الثقيلة ، وعـزز القوة فى بوريه واستدار الى سيكيه ، ودارت معارك رهيبة بينه وبـين القوات الوطنية ، استشـهد فيها القـائد الوطنى (ماسارا ممادى) وأحرزت القوات الفرنسية النصر فى النهاية (٨٤) •

وكانت تلك الأحداث بمثابة الفتيل الذى أشعل نيران الحرب السافرة بين قوات الماندنجو الوطنية وبين الفرنسيين(٨٥) •• ومما ساعد على اشعال الحرب واتساع نطاقها ، أن وزارة (بريسون Brisson)

(٨٢) Forstner, Kanya : op. cit. P. II 9.

(٨٣) Hanotaux, G. : op. cit. Tome IV. P. 202 :

(٨٤) Person, Y. : Guinea - Samori. P.P. 129-130.

(٨٥) Collins, Robert: : Problems in the history of Colonial Africa. P. 62.

الراديكالية ، التى خلفت وزارة جول فيرى ، خضعت لصوت القـادة العسكريين الذين كانوا يطالبون بتدعيم الغزو الفرنسى فى أعالى النيجر وتحطيم القوة الوطنية المناوئة ، فكلفت الحكومة الفرنسية الكولونيل (فرى Frey) فى سبتمبر ١٨٨٥ باعداد حملة عسكرية الى أعـالى النيجر (٨٦) •

ثالثا : تعامل الفرنسيين فى عدة جبهات :

أتاحت الفترة السابقة على تكليف الكولونيل (فرى) باعداد حملة للتوسع فى أعالى النيجر ، الفرصة للزعماء الوطنيين ، ليس فى تلك المنطقة بل فى دويلات سنغمبيا ، ليعيدوا حسـاباتهم بالنسبة لتزايد النفـوذ الفرنسى فى بلادهم ، فأخذ الحاج محمدو لامين زعيم السراكولى (٨٧) ، فى اشعال نيران الثورة فى سنغمبيا ، ضد الوجود الفرنسى ، وامتدت الثورة وتطاير لهيبها الى كل من كيور Kayor التى تزعمها لات ديور Lat Dior والى بوندو Bondu والى فوتاتور Futa Toro وغـيرها (٨٨) •

وقد أقلقت هذه الثورات الوطنية ، الكولونيل فيرى ، فقد كانت تلك الدويلات الى عهد قريب على علاقات طيبة مع الفرنسيين ، لذلك خشى من أن تتسع رقعتها ، فأرسل القوات لمطاردة الحاج محمدو لامين، الرأس المدبر ، لتلك الثورة ، فشنت القوات الفرنسية الغارات على باقل وديافونو وجويديماكا ، وأحرقت القرى المتعاونة مع الثوار ، وطاردت الحاج محمدو لامين الى جنوب غامبيا •• وسرعان ما أثارت هـذه العمليات الحربية المرارة فى صدر أحمدو شيخو ، فرغم عدائه مع الحاج محمدو لامين ، الا أنه كان يعتبر هذه الأقاليم — الدويلات — مرتبطة على الأقل — مع امبراطورية التكولور بالعامل الدينى ، ومما زاد من

(٨٦) Meniaud, J. : op. cit, Tome. I: P.P. 249-250,

(٨٧) كان الحاج محمدو لامين من اتبـاع الحـاج عمر طال ، ومـن المريدين للطريقة التجانية ، وساهم بدور لا بأس به فى نشر الثقافة الاسلامية ولكنه كان يحافظ على استقلاله ، ومن ثم كان على عداء مع أحمد وشيخو •

(٨٨) Meniaud, J. : op. cit. Tom, I. P.P: 394-395:

غضبه ضد الفرنسيين ، أنهم كانوا يرسلون الأسلحة للمبمبارا بسخاء لضرب التكولور (٨٩) •

ويتعاطفون مع بعض الزعماء المنشقين عليه ، كما هو الحال بالنسبة لكل من مونيرو وأحميدو ، اللذين رفعا راية التمرد ضده ، ولوحا بالاستقلال عن امبراطورية التكولور ، واستقبالهما للكولونيل فرى عند مروره بكيتا يوم ١٠ يناير ١٨٨٦ ، وطلبهما منه عقد معاهدة تكفل لهما الحماية من أحمدو شيخو ،

فكان رد أحمدو شيخو على كل ذلك ، أن أرسل الى كل من الشيخ عبد الله أبو بكر فى الفوتا ولات ديور فى كيور ، وتصافح معهما ، وأبرموا المعاهدات للوقوف سويا ضد الوجود الفرنسى(٩٠) •

وقد فطن الفرنسيون وأدركوا مغزى مثل هذه المعاهدات ، خاصة وأن العامل الدينى يجمع بين زعماء المنطقة ، فحاول الكولونيل فيرى أن يتقرب من أحمدو شيخو ، وطلب منه عقد معاهدة سلام مع الفرنسيين، وأوضح له أن الهدف من وجود الفرنسيين هو لاقامة المراكز التجارية وانعاش التجارة ، وانشاء السكك الحديدية وخطوط التلغراف بين السنغال والنيجر ، مما يعود بالفائدة المشتركة بينهم وبين سلطان التكولور (٩١) •

والواقع أن فيرى كان يهدف من وراء ذلك الى أن يعرقل اللقاءات بين أحمدو شيخو وزعماء سنغمبيا ، ريثما يتخلص من ثورة محمدو لامين التى كانت تزداد انتشارا وتهدد مركز الفرنسيين السياسى فى تلك المنطقة وأن يتصدى لقولت الماندنجو التى ظهرت فى وادى الباخوى (٩٢) ،

---

(٨٩) Oloruntimehin, B, O, : The Segu Tukulor empire. P. 271.

(٩٠) Meniaud, J. : op. cit. Tome. I. P, 343:

(٩١) Oloruntimehin, B. O. : op, cit, P, 271,

(٩٢) Ibid. P. 271.

فقد انتهز ساموري فرصة انشغال الفرنسيين فى محاربتهم لثورة السراكولى ، وأرسل أخيه « مالنكامورى » على رأس حملة كبيرة من قوات السوفا ، عبرت نهـر الباخوى ، وأخضعت الأهـالى وفرضت الضرائب عليهم ، وأقامت التحصينات ، الأمر الذى فتح جبهة أخرى ضد الوجود الفرنسى ، فاضطر فرى أن يهادن أحمدو شيخو ، وأرسل حملة تمكنت من طرد قوات السوفا من وادى الباخوى رغم أنها كبدت الفرنسيين الكثير من المعدات والأرواح[93] .

ويبدو أن سامورى راجع نفسه ، ووجد أن من الأفضل له عـدم الاحتكاك بالفرنسيين فى تلك الفترة ، لأنه ما زال فى مرحلة توسـيع امبراطوريته ، ونشر الثقافة الاسلامية بين القبائل التى لازالت تدين بالوثنية بالاضافة الى أن العلاقات بينه وبين جيرانه من الممالك الوطنية ليست بالمتانة التى يمكن الاعتماد عليها فى مواجهة الغزو الفرنسى ، كما أن قوافل الأسلحة التى كان يشتريها من التجار الانجليز فى سيراليون كانت تمر بالمراكز الفرنسية على نهرى السنغال والنيجر [94] .

لتلك الأسباب ، وجد أن الحكمة تتطلب مزيدا من الوقت ، حتى يتخلص من أعدائه فى الداخل والانتهاء من عدوه اللدود تيبيا Tieba ملك سيكاسو — عاصمة كينيدوجو — ومن ثم يتفرغ لمواجهة الفرنسيين،

وعلى ذلك ، أرسل الى الكولونيل فرى يعرض عليه الصلح فى عاصمته نياجاسولا Niagassola ، ولكـن يبـدو أن الضابط الفـرنسى أراد أن يستفيد من مبادرة سامورى فطلب منه اخلاء الضفة اليسرى من النيجر من قوات السوفا [95] ، رغم أن حكومة باريس كانت تتوق الى عقد معاهدة مع سامورى لاحتوائه ، وقطع صلته بالانجليز وفرض النفوذ الفرنسى على دولته[96] .

---

(٩٣) Hanotaux, G. : op. cit. Tome IV. PP, 204-205,

(٩٤) Meniaud, J. : op. cit. Tome. I: P. 364,

(٩٥) Hanotaux, G. : op. cit. Tome. IV. PP. 204-205.

(٩٦) Oloruntimehin, B, O, : The trety of. Niagassola. P. 604.

ووافق ساموري لتلك الأسباب السابق ذكرها ، على أن تغادر قواته من الضفة اليسرى الى الضفة اليمنى للنيجر ، ومن ثم جرت المفاوضات بين الطرفين فى أوائل فبراير ١٨٨٦ ، مثلها عن الجانب الفرنسى الكابتن تورنييه Tournier والضابط السنغالى محمدو راسين Racine (٩٧) والملازم بيروز Peroz ومعهم المترجم الحسن ضيا Alassane Die ، ومثل ساموري وفد برئاسة عمر ديااللى Dialli .
ثم صيغت المفاوضات الى مشروع اتفاقية ، أرسلت الى ساموري الذى كان فى كينيبا كورا Keniaba Kowra ، وبعد أن أجريت بعض التعديلات فى بنودها ، تم التوقيع على الاتفاقية فى ١٦ أبريل ١٨٨٦ (٩٨).

وتضمنت الاتفاقية اعتراف ساموري بنفوذ فرنسا على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا حتى تنكسو Tinkisso والتخلص من حقوقه فى مناجم الذهب فى بوريه للفرنسيين ، مقابل اعترافهم بنفوذ ساموري على الضفة اليمنى للنيجر حتى حدود سيجو التى كانت تحت حكم (مادانى Madani) بن أحمدو شيخو سلطان التكولور ، وصارت دولة ساموري متاخمة لكل من دينجويرى التى كان يحكمها عجيبو شقيق أحمدو شيخو ، ودولة فوتاجالون (٩٩) .

وكما ذكرنا ، فان الاتفاقية كانت فى نظر الطرفين ، فترة تهدئة ، لا أكثر ، ريثما تسنح الظروف لكل منهما لينقض على الآخر ، فبدأ ساموري يستغل تورط الفرنسيين فى حروبهم مع الحاج محمدو لامين زعيم السراكولى ، وأخذ يطالب الفرنسيين بتسليح جيشه لمحاربة أعدائه المحليين ، وكان الفرنسيون يدركون المغزى من وراء طلبه السلاح ،

---

(٩٧) كان يعمل فى خدمة الحكومة الفرنسيه .

(٩٨) Oloruntimehin, B, O, : The Treaty of Nigassola P.P. 600. -607.

(٩٩) تعرف هذه الاتفاقية فى بعض المراجع باتفاقية كينيبا كورا نظرا لأن التوقيع النهائى تم عليها فى تلك المدينة . انظر :

Collins, Robert. : Problems in the history of colonial Africa. P. 63:

وهو محاربة الملك تيبيا ملك سيكاسو صديقهم فى المنطقة ، لذلك حينما رفضوا تسليح قواته ، اتهمهم بخرق الاتفاقية بينهما (١٠٠) .

كذلك كانت الحكومة الفرنسية ، تنظر الى الاتفاقية على أنها مرحلة مؤقتة ، ريثما تنتهى من حروبها مع القوات الوطنية فى سنغمبيا ، فلما أدركت أن قواتها مستمرة فى احراز النصر على قوات المقاومة ، وأن الملك تيبيا ، لا يزال فى حروبه مع ساموري ، تذرعت الحكومة الفرنسية، بأن الاتفاقية لم تحدد مناطق النفـوذ الفرنسى بصـورة كافية ، وأن المسألة تحتاج الى عقد اتفاقية أخرى مع ساموري (١٠١) .

فى ذلك الوقت عين الكولونيل « جاللينى » أول قائد أعلى للسودان الفرنسى (١٠٢) ، ووصـل الى تلك البلاد فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٦ ، وكان بصحبته الكابتن « بيروز » محملا بالنصائح التى أمره بها « دى لابورت De la Port » وكيل وزارة المستعمرات الفرنسية ، ومنها ضرورة تدعيم وتقوية الوجود الفرنسى ، السياسى والعسكرى ، فى أعالى النيجر، وزيادة المراكز التجارية وانعاشها (١٠٣) .

لذلك كان على « جاللينى » أن يعمل فى عدة جبهات ، اما بالوسائل العسكرية ، أو بالوسائل الدبلوماسية ، فبالنسبة لثورة الحاج محمدو لامين زعيم السراكولى ، رأى أنه من الأفضل أن يبدأ العمل بحمايـة التجار خاصة تجار باقل ، وتأمين طرق التجارة من بامبوك Bambouk الى غامبيا (١٠٤) كذلك رأى أن يكسب أحمدو شيخو الى صفه ، خشية أن

---

(١٠٠) Oloruntimehim, B, O, : op, cit, P,P, 608-611,

(١٠١) Hanotaux, G. : op. cit. Tome. IV ; P. 202.

(١٠٢) عندما أخذ القادة العسكريون ينشطون فى احتلال الأراضى فى منطقة غرب أفريقيا ظهر اصطلاح « السودان الفرنسى » ولقب القائـد الذى يتولى مهام تلك البلاد بالقائد الأعلى للسودان الفرنسى .
«Commandant superieur du Soudan Francaise»

(١٠٣) Forstner, Kanya. : The Conquest of Western - Sudan. P: 147.

(١٠٤) Ibid. P. 145.

تسول له نفسه ــ أى أحمدو شيخو ــ ويستجيب للعواطف الدينية بينه وبين محمدو لامين ، ويتعاهد معه ضد الفرنسيين ، ويفتح جبهة أخرى للقتال ، فاستمع القائد الفرنسى الى أراء وزارة المستعمرات لاحتواء أحمدو شيخو واجراء مفاوضات معه ، مع الاحتفاظ على ابقاء الحاميات الفرنسية فى القلاع العسكرية التى شيدت فى أملاك التكولور ، وقــد استخدم جاللينى أساليب الاغراء مع أحمدو شيخو ، حتى تمكن من عقد اتفاقية نانجو Nango معه فى ١٢ مايو ١٨٨٧ ، التى تقضى بوضع ممتلكاته تحت الحماية الفرنسية ، وفتح الطريق أمام الفرنسيين للملاحة والابحار فى النيجر (١٠٥) •

والواقع أن اتفاقية (نانجو) تعتبر ضربة قاضية لثورة السراكولى، فقبل ابرامها كان الفرنسيون يحتاطون من قوات التكولور ، ويوزعون حامياتهم على أكثر من موقع ، كما أن اتفاقيات الصلح التى سبق أن تمت بين أحمدو شيخو والشيخ عبد اللــه أبو بكر فى الفوتا ، ولات ديور فى كيور فى بداية عام ١٨٨٦ ، للوقوف سويا فى مجابهة الغزو الفرنسى ، كان لها تأثير كبير فى رفع الروح المعنوية للسكان ، وتمهيدا طيبا لازالة العداء بين أحمدو شيخو والحاج محمدو لامين،ولكن ابرام هذه الاتفاقية، وثورة السراكولى مشتعلة وتهدد من مركز الفرنسيين السياسى والعسكرى والتجارى ، خدم الغزاة وأضر بالثورة الوطنية وعجل بالقضاء عليها • فبعد أن اطمأن جاللينى على الموقف من ناحية التكولور ، وقبل أن يكثف من هجومه على ثورة السراكولى ، رأى أن الأمر يحتاج الى احتــواء ساموري ، واستجاب أيضا لتعليمات دى لابورت وكيل المستعمرات الفرنسية ، بأن يستأنف المفاوضات معه لاعادة النظر فى اتفاقية كنيباكورا، وابرام اتفاقية جديدة معه ، يتخلى فيها عن حقوقه فى بوريه وكانجابا ، وأن تفرض على امبراطوريته « الحماية الاسمية «Anominal Protectorate» أو على الأقل فى تلك الظروف اقناعه بعدم الارتباط مع بريطانيا (١٠٦) •

---

(١٠٥) Frostoner, Kanya. : op. cit. P. 148.

(١٠٦) Ibid. P. 147.

فى ذلك الوقت كان ساموري يتطلع الى ارسال حملة عسكرية لمحاصرة سيكاسو وأن الأسلحة البريطانية التى كانت تصل اليه ــ بأية طريقة ــ لاتكفى لتسليح قواته ، فعاوده الأمل فى أن تسلح فرنسا قولته اذا تقرب اليها ، ليتخلص من أعدائه فى الداخل(١٠٧) • ومن ثم يكون من السهل عليه التفرغ لمواجهة هؤلاء الفرنسيين الذين كانوا متورطين فى حروبهم مع ثورة السراكولى (١٠٨) •

لذلك استقبل ساموري البعثة الفرنسية ، أحسن استقبال فى فبراير ١٨٨٧ فى عاصمته بيساندوجو • Bissandugu ، ولكنه رفض فى بداية المفاوضات مع بيروز ، التنازل عن حقوقه فى بوريه وكانجابا فهدده بيروز بقطع المفاوضات اذا لم تقبل الشروط الفرنسية (١٠٩) ، فاضطر ساموري الى مسايرة الموقف ووقع على اتفاقية بيساندوجو فى ٢٥ مارس ١٨٨٧ ، التى قضت بوضع دولته هو الآخر ، تحت الحماية الفرنسية ، واعتبار نهر النيجر حدا بين أملاكه وبين أملاك الفرنسيين(١١٠)•

وبعد أن تمكن جاللينى من احتواء أحمدو شيخو وساموري ، خفف الى حد كبير من ارسال الحملات العسكرية عبر النيجر لمراقبة أحمدو شيخو ، ومن ثم استدار نحو الحاج محمدو لامين ، وأخذت القوات الفرنسية تشدد الحصار عليه ، وتنكل بالمتعاونين معه ، فاضطر أنصاره الى التخلى عنه ، خشية من أن يتعرضوا لانتقام الفرنسيين ، وانتهى الأمر الى التخلص منه بقتله يوم ٩ ديسمبر ١٨٨٧ (١١١) •

وقد ترتب على اعلان الحماية الفرنسية على أعالى النيجر والقضاء على ثورة السراكوى أن اتسع النفوذ الفرنسى الى جنوب غامبيا ، وامتد الخط الحديدى من بافولابى الى باماكو ، وانتعشت التجارة مع بو بكر

---

(١٠٧) Meniaud, J. : op. ict. Tome I. P. 364.

(١٠٨) Oloruntimehin, B. O. : Franco - Samori relations. P. 80.

(١٠٩) Forstner, Kanya. : op. cit., P.P. 147-148.

(١١٠) Gann, L. H. : Colonialism in Africa. Vol. I: P. 209.

(١١١) Forstner, Kanya. : op. cit: P. 146.

سعده بن عثمان جاسى Gassi حاكم بوندو ، وأعيد بناء القرى التى سبق أن أحرقها فرى فى عام ١٨٨٦ ، وصارت ميدين Medine كما قال جاللينى مركزا تجاريا هاما ويقطنها حوالى سبعة آلاف نسمة يزداد تعدادهم يوما بعد يوم(١١٢) •

ومن ناحية أخرى وافقت وزارة البحرية الفرنسية ، على انـــزال الزوارق المسلحة فى نهر النيجر حتى تمبكتو ، وغادر الليفتنانت كارون Caron باماكو فى أول يوليو ١٨٨٧ ، ووضع حجر الأساس لمرسى السفن فى الميناء النهرى لمدينة تمبكتو فى ١٨ أغسطس ، وحاول كارون أن يعقد معاهدات مع تيجانى ملك ماسينا ومع زعماء تمبكتو •• وقـــد رفض تيجانى التفاوض مع الضابط الفرنسى ، مالم يدفع التجار الفرنسيون الرسوم على تجارتهم ، أو عدم مرور الزوارق المسلحة فى النهر ، حتى يتم توقيع المعاهدة ، وحذر تيجانى فى الوقت نفسه زعماء تمبكتو مـــن مفاوضة المبعوث الفرنسى ، مما ترتب على ذلك أن رفض السكان على طول النهر أن يبيعوا أى شىء للفرنسيين الامر الذى جعلهم يتجهون صوب الجنوب لمواجهة التطلع البريطانى من سيراليون (١١٣) •

والواقع أن الفرنسيين كانوا منذ عام ١٨٨٦ يدافعون عن حقوقهم فى فوتا جالون ، كما أن رجال الحملات العسكرية التى كانت تحـــارب ضد ثورة الحاج محمد ولامين ، أشارت على جاللينى بوجود موارد اقتصادية عديدة غير مستغلة فى المنطقة الواقعة بين السنغال والنيجر ومنطقة الأنهار الجنوبية ، وطالب القادة العسكريون بنشر النفوذ الفرنسى فيها ، فأرسل جاللينى بعثة لتوقيع معاهدات الحماية مع زعماء دويلات تلك المنطقة ، فتمكنت البعثه من توقيع معاهدة مع عجيبو حاكم دينجويرى وشقيق أحمدو شيخو فى عام ١٨٨٧(١١٤) • وتمكن الليفتنانت بـــلات Plat من توقيع المعاهدة مع امام فوتا جالون فى نهاية مارس

---

(١١٢) Forstner, Kanya.: Op. cit. pp. 146-147.

(١١٣) Frostner, Kanya. : op. cit. P. 151.

(١١٤) Oloruntimehin, B. O. : Franco - Samori relations. P. 83.

١٨٨٨ ، ومسح الكابتن أوديو Audioud الأراضى من سيجيرى الى بنتى Benty االأمر الذى ترتب عليه فتح الطريق من النيجر الى المحيط الاطلنطى(١١٥) •

وحتى ذلك الوقت ، كانت وزارة الخارجية الفرنسية ، توافق على مضض بالنسبة لاعلان الحماية الفرنسية على أعالى النيجر ، خوفا من اثارة بريطانيا ، وتجنبها الاحتكاك معها ، ولكنها عندما علمت بوصول احدى الشخصيات الانجليزية الى تمبكتو عن طريق سوكوتو ، أفزعها ذلك الأمر ، وأخذ أنصار حركة التوسع الاستعمارى ، يوجهون اليها النقد والتحذير من تزايد النفوذ الانجليزى ، فأسرعت وأمرت المستكشفين بأن يثبتوا الحقوق الفرنسية فى ثنيه النيجر ، وعهدت الى الكولونيل بنجر Colonel Binger بتوقيع معاهدات تؤكد الوجود السياسى والاقتصادى لفرنسا على كل المناطق التى يمر عليها ، وعلى هذا الأساس تحرك بنجر من ميدين فى مايو ١٨٨٨ وعرج على دويلة كونج Kong ولم يوفق فى عقد معاهدة مع واجادوجو Wagadugu ثم عرج على جورنس Gurunsi وممبروس Mampruse وسالاجا Salaga وكنتابو Kintapo وبوندوكو Bonduku ثم عاد الى كونج ، حيث قابل التاجر تريش لابلين Treich Laplane الذى كان قد وقع معاهدة مع ملك كونج ومع ملك بوندوكو ، ثم عاد الاثنان الى جران بسام ، وفى طريقهما أعلنا الحماية على جمينى وأنو (١١٦) •

ويلاحظ أن التقارب بين هؤلاء الزعماء الوطنيين وبين الفرنسيين ، يعود لأسباب عديده ، منها تجنب هؤلاء الزعماء من بطش الفرنسيين والتنكيل بهم ، كما حدث مع الجماعات التى كانت تتعاون مع الحاج محمدو لامين ورفضت الدخول معهم — أى الفرنسيين — فى مفاوضات ، ومنها نفور بعض الزعماء من ساموری ، واعتقادهم أن مثل تلك المعاهدات

(١١٥) Frostner, Kanya. : op. cit. P.P. 152-153.

(١١٦) Ibid. P.P. 154-155.

تكفل لهم الحماية منه ، ومنها فراغ المنطقة من أشخاص ، يعملون على ازالة الحساسية بين هؤلاء الزعماء ، وترشيدهم وايقافهم على المخاطر الناجمة من الوجود الفرنسى ، ومصيرهم المشترك ، مما سهل الأمـر للفرنسيين الى حد كبير بأنينشطوا فى تدعيم نفوذهم وتشديد الخناق على زعماء المقاومة الوطنية(١١٧) لكن سرعان ما حدث عكس ذلك ، كما نراه بعد قليل •

التحالف الوطنى :

عاد جاللينى الى فرنسا فى سبتمبر عام ١٨٨٨ ، وحضر الكولونيل لويس (١١٨) • رشينار Louis Archinard كقائد أعلى لقوات السودان ، مـزودا بتعليمات مـن دى لابورث وكـيل وزارة المستعمرات ، منها أن يعمل على تثبيت وتدعيم نفوذ فرنسا وانعاش تجارتها فى المناطق التى تسيطر عليها ، وحذره حاكم السنغال مـن استخدام القـوة المسـلحة ضـد المـالك الاسـلامية ، بـل عليـه أن يكسب صفهم ويوطد العلاقة معهم (١١٩) •

ولكن حين وصوله الى السودان الغربى ، وجد الموقف فى غير صالح الفرنسيين وان العلاقات بينهم وبين أحمدو شيخو سلطان التكولور تكاد تكون متوقفة ، وان هناك مؤشرات الى حدوث مالا يحمد عقباه ، فكان التكولور يحنقون على جاللينى لطردهم من حصن كونديان«أبريل١٨٨٨»، الذى كان فى نظرهم من الأماكن العزيزة على نفوسهم لأهميته الدينية ، لذلك كان هذا العمل من جانب الفرنسيين بداية القطيعة بين التكولور وبينهم ، بل وبداية الطريق نحو جمع الصفوف وتوحيد المقاومة الوطنية ضد التوسع الفرنسى (١٢٠) •

---

(١١٧) Meniaud, J. : op. cit., Tome. I. P.P, 394-395.

(١١٨) مكث أرشينار — فى السودان حتى عام ١٨٩١ ، ثم عاد الى السودان الغربى مرة أخرى بعد أن حصل على لقب جنرال ، واستمر به من ١٨٩٢ الى ١٨٩٣ •

(١١٩) Forstner, Kanya. : op. cit. P. 176.

(١٢٠) Oloruntimehin, B. O. : Anti - French Coalition of African States and Groups in the Western Sudan (1889-1893). P.P. 5-6.

فأخذ أحمد وشيخو يعد العدة ويجهز الجنود ، وفى الوقت نفسه كان علماء وفقهاء التجانية يشحذون الهمم ويدعون للجهاد المقدس ضد الغزاة وطردهم من حصن كونديان (١٢١) • الذى كان بجانب أهميته كمركـــز دينى ، يعتبر مركزا للعمليات العسكرية وطريقا هاما يربط بين كارته Kaarta ودينجويرى فى أعالى النيجر (١٢٢) •

وسرعان ما تعارضت نظرية أرشينار العسكرية التى تدعو الى ضرورة القضاء على الامبراطوريات والممالك الوطنية ، لتنفيذ المخطط الفرنسى فى تلك المنطقة ، مع أراء الحكومة الفرنسية ، التى ترى عدم استخدام القوة المسلحة (١٢٣) •

وقد ترتب على تعارض وجهتى النظر ، أن دخل أرشينار فى حـــوار ونضال مع الحكومة ، تمكن من اقناعها بوجهة نظره ، واطلاق يده فى اتخاذ ما يراه من اجراءات لصالح الوجود الفرنسى ، ومن ثم بدأ العمل على جميع الجهات ، فوجد أن الموقف يتطلب اعادة حصن كونديان ، وتحطيمه ، حتى يضعف من قوة التكولور العسكرية ، ويقطـــع خـــط المواصلات بين كارته ودينجويرى ، وفى الوقت نفسه يشيع الخوف بين زعماء المقاومة الوطنية الأخرين ، فوجه حملة تمكنت من الاستيلاء عليه فى ١٥ فبراير ١٨٨٩ بعد مقاومة عنيفه من جانب التكولور (١٢٤) •

فى ذلك الوقت حدث تقارب بين ساموري وعجيبو حاكم دينجويرى وكانت قواتهما المشتركة تهاجم الفرنسيين فى غرب النيجر (١٢٥) • فأخذ أرشينار يضرب ذلك التقارب ، ويزيد من مساعداته العسكرية للمـــلك

---

(١٢١) Oloruntimehin, B. O. : The Segu Tukulor empire P. 280.

(١٢٢) Forstner, Kanya. : op .cit., P. 176.

(١٢٣) Oloruntimehin, B. O. : op. cit. P.P. 281-283.

(١٢٤) Crowder, Michale: : West Africa under Colonial rule, P. 69.

(١٢٥) يعتبر هذا التقارب بادرة طيبة بين ساموري مـــن سلالـــة الماندنجو وبين عجيبو من سلالة التكولور •

تيبيا حاكم سيكاسو وعدو ساموری اللدود(١٢٦) ، حتى يضعف من قوة الأخير ، ويجبره على التفاهم والتقارب مع الفرنسيين ، وفعلا أرسل اليه فى نياكو Niako الكابتن بـــوناردو bonardo ليتفاوض معه ، ونظرا لظروف ساموری الحربية وحاجته الى السلاح ، وافق على توقيع اتفاقية (نياكو) فى ٢١ فبراير ١٨٨٩ ، التى تضمنت أن يكون نهر النيجر ، حدا من جديد بين ممتلكات ساموری ونفوذ الفرنسيين ، ولضمان واحترام الاتفاقيه ، شيد الفرنسيون قلعة فى كوروسا لمراقبة قوات ساموری والحيلولة دون اشتراكها مع قوات عجيبو واغارتها على الاملاك الفرنسيه (١٢٧) •

والواقع أن أرشينار استغل اتفاقية (نياكو) كورقة رابحة ، فأرسل الى الملك تيبيا يؤكد له تأييد فرنسا له ، وأن الهدف من وراء الاتفاقية ، هو منع ساموری من محاربته ، وأرســـل الى عجيبو ، موضحـــا له أن ساموری تنازل عن حقوقه على الضفه اليسرى للنيجر ، وذكر له بأن فرنسا ما زالت على عهدها — طبقا للاتفاقية السابقة معه — تكفل لـــه الحماية ، حتى من أخيه أحمد وشيخو ، وأرسل الى الأخير ، يفيده بأنه وقع اتفاقيات مع ساموری وعجيبو ، وهدده بشن الحرب عليه ، اذا فكر فى تنفيذ أى عمل يتعارض مع السياسة الفرنسيه (١٢٨) •

وفى الوقت نفسه ، أخذ أرشينار ، يكثر من مساعداته العسكرية ، للبمبارا فى بليدوجو ، وأرسل حمله عسكرية استولت على نيامينا وشيد بها قلعة عسكرية ، وذلك لقطع خط الرجعة على أحمد وشيخو اذا فكـــر فى التوجه الى ابنه (ما دانى) فى سيجو ، أو اتاحة الفرصة للقـــوات الفرنسية للقبض عليه ، ومن ثم ارغامه على الدخول مع الفرنسيين فى مفاوضات لصالحهم (١٢٩) •

---

(١٢٦) سبب العداء بينهما طموحهما الاقليمى المتعارض ، وكان خوف الملك تيبيا من بطش ساموری به ، دفعه الى صداقة الفرنسيين •

(١٢٧) Hanotaux, G.: Op. Cit. Tome. IV. P. 206.

(١٢٨) Oloruntimehin, B. O.: Franco - Sa[redacted] relations P.P. 89-90.

(١٢٩) Meniaud, J. . op Cit. Tome. I. P.P. 404-406.

أما ساموري ، فرغم تودد أرشينار له ، ريثما يتخلص من امبراطورية التكولور ، فانه ـــ أي ساموري ـــ أراد أن يستفيد من اتفاقية (نياكو) أو يعرف على الأقل ، مدى احترام الفرنسيين لها ، ونيتهم نحوه ، فطلب من أرشينار أن يعيد اليه رعاياه الثائرين الذين هربوا الى الأراضي التابعة للنفوذ الفرنسي ، وتزويد جيشه بالأسلحة لمحاربة أعـــدائه في الداخــــــــــل (١٣٠) •

وسرعان ما ظهرت نية الفرنسيين نحوه واضحة ، فقد رفضوا اعادة المعارضين له من رعاياه ، ولم يوافقوا على امداده بالسلاح ، كما وضح له أنهم ، مستمرون في تحريض الوطنيين ضده ، وارسال الأسلحه الى عدوه ملك سيكاسو ، فطلب ساموري من قوات السوفا ، أن تستأنف اغارتها على الأملاك الفرنسيه ، وضرب باتفاقية نياكو عرض الحائط ، وأرسلها لهم يوم ٢٣ مايو ١٨٨٩ ، وأعلن عن عدم اعترافه بها (١٣١) •

وعلى كل ذلك ، يمكن القول ، أن موقف زعماء المقاومة وصل الى درجة كبيرة من التشبع بالكراهية ضد الفرنسيين ، منذ عام ١٨٨٩ ، ومن ثم كان للضغط الفرنسي المتزايد عليهم جميعا ، أن شعروا أن الأمـــر يحتاج الى وقفه ، يترتب عليها ، عمل شيء جماعي ، ضد التوسع الفرنسي ، فقد كان لسقوط حصن كونديان التكولوري ، أثر ورد فعل لدى دويلات سنغمبيا ، فبجانب أنه قلعة عسكريه ، كان له أهمية دينيه في نظر أتباع الطريقة التجانيه في تلك الدويلات ، خاصة (علي بوري) زعيم الولوف الذي كان مشهورا بانتمائه الشديد للطريقة التجانية ، وبدفاعه القوي عن الاسلام ، فقد تمكن هو وأحمدو شيخو من ابراز فكرة وحدة المسلمين في غرب أفريقيا (١٣٢) •

---

(١٣٠) Oloruntimehin, B. O. op. cit. P. 91.

(١٣١) Forstner, Kanya. : op. cit. P. 183.

(١٣٢) Oloruntimehin, B. O.: Anti - French - Coalition of African State and Groups in the Western Sudan. P. 6.

فقد ربط بينهما ، بجانب انتمائهما للطريقة التجانية ، الاحساس بالمصير المشترك ، ووضح له — على بورى — أن وجود الفرنسيين فى بلاده ليس بهدف انعاش التجارة ، بل بهدف السيطرة والتحكم ، فقد حولوا معاهدة السلام معه الى معاهدة حماية بالقوة ، لذلك لم يرفض أن يستجيب لنداءات أحمدو شيخو ، ويكون معه تحالفا يضم الزعماء للوقوف ضد التسلط الفرنسى ، وقد لعب فقهاء الطريقة التجانية دورا كبيرا فى تكوين ذلك التحالف ، فانضم اليه سائير ماتى Mati خليفة مابا Maba وحاكم ريب Rip والشيخ عبد الله ابو بكر فوتاتورو وائمة فوتاجالون ولات ديور Lat Dior زعيم كيور Cayor وغيرهم ، ومن ثم انطلقت نيران الثورة ضد الفرنسيين وامتدت لكل دويلات سنغمبيا • الأمر الذى أفزع القائد أرشينار ، وانتابه القلق والخوف من أن ينضم سامورى الى ذلك التحالف ، الذى رفع شعار الجهاد المقدس ضد الغزاه ، وعلى حد تعبيره أى أرشينار — (اذا قدر لأحمدو شيخو أن يتحد مع سامورى ، فتكون كارثه كبرى للوجود الفرنسى فى غرب أفريقيا) (١٣٣) •

فكتب الى حكومته يخبرها بالموقف ، وأنه يرى أن يتعامل مع دول التحالف بالقوة العسكرية (١٣٤) •

وفى الوقت الذى كانت فيه حكومة باريس تدرس الموضوع من جميع زواياه والآثار التى تترتب عليه ، كان أرشينار ، يعد قواته لضرب التحالف والقضاء عليه بالتدريج ، فبدأ يتعامل مع دويلات سنغمبيا ، وشدد الضغط على زعيم الولوف (على بورى) لتعصبه الدينى ، بينما كانت قوات فرنسية أخرى ، تشتبك مع بقية الدويلات المتحالفه ، وسرعان ما وصلت الى أرشينار موافقة الحكومة على احتلال (سيجو) التى كانت تحت حكم التكولور •

---

(١٣٣) Oloruntimehin, B. O. : The Segu Tukulor empire P.P. 293-294.

(١٣٤) Frostner, Kanya. : op. cit., P. 182.

وكان هدف أرشينار من استيلائه على سيجو ، أن يقطع خط الرجعة على أحمد وشيخو الذى كان فى تلك الفترة فى كارتا ، ويعانى من اعاقة البمبارا له ، ويقطع خطوط المواصلات على الضفة اليسرى والضفة اليمنى للنيجر ، وتكون قواته على مقربة من قوات ساموري(١٣٥) •

وقد استخدم أرشينار ، أسلوب التضليل والخداع ، فى طريقه الى سيجو ، مع التكولور المقيمين فى المقاطعات التى تجاورها ، خوفا من اشتباكهم مع الحملة العسكرية ، فأطلق رجاله الاشاعات بأن هدف الحملة هو لبناء محطة تجارية فى سانسندنج ، ومن ثم تمكنت الحملة من تشديد الحصار حول سيجو وضربها بنيران المدافع ، فانهارت قوة المقاومة الوطنية بداخلها ، ودخلها الفرنسيون (١٣٦) •

وعلى الفور عقد أرشينار وبعض ضباطه مجلسا فى سيجو ، حضره زعماء الاقاليم الكبرى المحيطة بالعاصمة المهزومة ، وتحدث اليهم أن الهدف من مجىء الفرنسيين ، هو اعادة سيجو الى حكامها السابقين ، ولذلك فهو يعين عليها ماريا ديارا Maria Diara ملك البمبارا(١٣٧)• على أن يكون مواليا ومنفذا لكل أوامر السلطة الفرنسيه ، والا خلعه وعن غيره (١٣٨) •

وقد ترتب على سقوط سيجو واعادتها للبمبارا الوثنيين ، أن ازداد غضب الامام أحمد وشيخو ، وازداد معه تعاون الدويلات المتحالفة ، فى سنغمبيا ، فاشتبكت القوات الفرنسية معها فى أكثر من موقع ، واقتحمت حصن التكولور (كونيا كارى) فى ١٥ يونيو ١٨٩٠ ، ولم يتمكن أحمدو شخيو من استعادته بسبب أسلحة الفرنسيين الحديثة(١٣٩) •

---

(١٣٥) Collins, Robert. : op, cit, P. 63.

(١٣٦) Crowder, Michael. : op. cit. P. 70:

(١٣٧) كان الحاج عمر طال ، قد طرد البمبارا من سيجو عام ١٨٦١ لعدم اعتناقهم الاسلام ، وظلوا على وثنيتهم يحقدون على التكولور ، وناصروا الفرنسيين بهدف اعادة أملاكهم اليهم •

(١٣٨) **Meniaud, : op. cit. Tome I: P: 520,**

(١٣٩) Forstner, Kanya. op. cit. P. 183.

والواقع أن التحالف الوطنى خسر فى أغسطس عدة معارك فى سنغمبيا وصار من الصعب الاستمرار فى المقاومة هناك ، فقد كان الفرنسيون يشددون من حصارهم للولوف وفوتاتورو ، وينزلون العقاب بالسكان لمساندتهم أحمد وشيخو قائد التكولور (١٤٠) •

لذلك تطلب الوضع تحويل قوات التحالف الى قطاع كارتا ، حتى يمكن منها استئناف الحرب ضد الفرنسيين ، فقد كانت قوات (على بورى) عبرت جويديماكا Guidimaka. الى كارتا فى أول سبتمبر ، والتحقت بقوات التكولور فى ديافونو Diafounou فى منتصف ذلك الشهر ، وسرعان ما انضمت اليها قوات من مختلف الجماعات ، من فوتاتورو وتورو وايرلابز Irlabes وبوندو وغيرها أمثال قوات المغاربه ، حيث بلغ عدد القوات المتحالفة عشرة آلاف من الجنود (١٤١) •

وبينما كانت قوات التحالف تؤدى واجبها ضد الغزاه ، ومن ورائها دعاة الاسلام من التجانية ومدارس السنية والشيعة والمدارس الاخرى الشرعية ، يحثون السكان لمعاونة القوات المتحالفة (١٤٢) ، كان الفرنسيون بدورهم يزيدون من مساعداتهم لأصدقائهم من الأفارقة أمثال البمبارا والملك تيبيا ملك سيكاسو ، الأمر الذى جعل مهمة التحالف صعبة فى تعاملها مع الحملات الفرنسية • لذلك حاول أحمد وشيخو أن يفصل هؤلاء الأفارقة عن الفرنسيين ، فأرسل بعثة الى ساموري ، يطلب منه الصلح مع الملك تيبيا ، وتكوين جبهه موحدة ضد الغزو الفرنسى ، وقد استقبل ساموري تلك البعثة ، ورد على قائد التكولور بأنه فى غاية السرور ، أن يتم الصلح مع الملك تيبيا ، وأن يتكون التحالف من ثلاثتهم ضد الفرنسيين (١٤٣) •

---

(١٤٠) Oloruntimehin, B. O. : The Segu Tukulor empire. P. 30 I.

(١٤١) Oloruntimehin, B. O. : Anti - French P. 15.

(١٤٢) Ibid PP. 6-7.

(١٤٣) Meniaud, J. : op. cit. Tome. II. P. 277.

وكان أحمد وشيخو قد أرسل فى الوقت نفسه ، بعثه أخرى الى تيبيا للغرض ذاته ، وفى أثناء المفاوضات ، كانت بعثات أخرى تحاول التوفيق بين الجماعات المختلفة فى كانكان ، الأمر الذى ترتب عليه انضمام أتباع جدد للتحالف (١٤٤) ، مما يعتبر بمثابة تكفل اسلامى ضد الغزو الفرنسى •

ولكن الفرنسيين لم يتركوا مفاتيح الموقف لقادة التحالف ، فحاصروا الملك تيبيا بدبلوماسيتهم ، وأغروه بتأييدهم له وامداده بالسلاح ، حتى لاينضم الى التحالف ، وأغرقوا الوعود للبمبارا فى استعادة أملاكهم السابقة ، وركزوا حملاتهم العسكرية ضد التكولور فى نيورو وكارتا ، وكان تعاملهم فى منتهى القسوة ، فلم يتورعوا فى اعدام أى شخص مسلم تحوم حوله الشبهات حتى ولو كان من المخلصين لهم ، كما هو الحال فى اعدام مترجمهم (أمادى Amady)، فقد ترتب على تكتل التحالف ، ورفعه راية الجهاد المقدس ، أن صار الفرنسيون لا يعرفون من هو عدوهم الحقيقى ، وأخذوا يشكون فى كل السكان المسلمين ، فكان الأمر — فى نظرهم — يتطلب ارغام الجميع على الاعتراف بسيادتهم ونفوذهم (١٤٥) •

لذلك رفعوا من حالة الطوارىء الى أقصى درجاتها ، وصمموا على الاستيلاء على نيورو ، للتخلص من أحمدو شيخو ، أو منعه من الاتصال باى قوة عسكرية من قوى التحالف فى كارتا ، بجانب وضع قوات مسلحة على ضفاف النيجر لمراقبة تحركات ساموري ودحرها(١٤٦) •

ورغم ارتفاع الروح المعنوية التى كانت عليها قوات التحالف ، وصمودها ، فان الفرنسيين تمكنوا من احتلال نيورو عاصمة التكولور ، وهزموا قوات التحالف فى كارتا عام ١٨٩١ ، مما جعل قائد التكولور يتجه شرقا نحو ماسينا التى كان يحكمها (منيرو) وأخذ يستعد منهـا لمواصلة النضال من ذلك الموقع الجديد ، وأن يكون على مقربة من قوات

(١٤٤) Oloruntimehin, B. O.: op. cot. P. 15.

(١٤٥) Ibid, P. 16.

(١٤٦) Meniaud, J.: op. cit. Tome. II. P.P. 8-12.

ساموری الأمر الذی کان یخشاه أرشینار ، فجهز حملة لمقابلة قوات ساموری والاستیلاء علی کانکان وبساندوجو ، رغم معارضة ایتیان ، ودی لاموت De Lamathe حاکم السنغال علی سیاسة أرشینار التوسعیه (١٤٧) •

فقد کانت الحکومة الفرنسیة فی تلك الفترة ، تحبذ کسب الممالك الاسلامیة وادخالها تحت النفوذ الفرنسی بالطرق السلمیه ، وحرمانها فی الوقت نفسه من حصولها علی الاسلحة الانجلیزیة فی فریتاون ، فمثلا حصل ساموری علی عدد من البنادق سریعة الطلقات ، تقدر ما بین أربعة آلاف الی خمسة آلاف بندقیة وملیون طلقة فی عام ١٨٩١(١٤٨) •

ولکن أرشینار لم یأبه بتحذیرات الحکومة ، وزحف فی ١٠ مارس ١٨٩١ بقواته الی کانکان ، وتبادل الضربات مع قوات السوفا المزودة بالأسلحة الانجلیزیة ، مما جعل أرشینار یدفع بأسراب من القوات الفرنسیة لدحر قوات السوفا ، والفتك بساموری ، وحتی یقضی علی أی اتصال یتم بینه وبین أحمد وشیخو فی ماسینا ، وفی الوقت نفسه زاد من استخدامه وسائل التفرقه بین الوطنیین ، وتحریض أعداء ساموری ضده ، وتنکیله بالمتعاونین معه ، الأمر الذی انتهی بدخوله کانکان فی السادس من أبریك عام ١٨٩١ ، وخرج ساموری الی بساندوجو التی سرعان ما سقطت هی الاخری فی أیدی القوات الفرنسیه (١٤٩) رغم مقاومة جنود السوفا وتصدیها لها فی أکثر من موقع طوال شهر أبریل عام ١٨٩١ (١٥٠) •

---

(١٤٧) Frostner, Kanya. : op. cit. P.P. 184-186.

(١٤٨) Consulat de France à Sierre Leone àu Ministere des Affaires Etrangeres, 15 Octobre 1891, Soudan VI, 3, M - des Colonies.

(١٤٩) أنظر تفاصیل هذه المعارك فی :

Meniaud, J. :op. cit. Tome. II. P.P. 150-161.

(١٥٠) Hargreaves, J. : The European Partition of West Africa. P. 416.

تكامل التحالف الوطنى فى عام ١٨٩٢ :

رأت الحكومة الفرنسية أن تنظم وتستثمر الاراضى التى ضمها أرشينار فى أعالى النيجر ، الى النفوذ الفرنسى ، فعينت حاكما مدنيا هو المسيو (جروديه Grodet) وصل الى كايس فى ٢٢ نوفمبر ١٨٩١ ، وكان قد عينت الكولونيل (هو مبير Humber) لقيادة القوات الفرنسية وليكون تحت اشراف الحاكم المدنى ، بهدف انهاء الصراع مع الممالك الاسلامية فى السودان الغربى والتركيز على تدعيم التجارة وانعاشها (١٥١) .

لكن سرعان ما عاد أرشينار مرة أخرى الى السودان الغربى فى عام ١٨٩٢ بعد أن حصل على لقب جنرال ، حاملا معه مخططه العسكرى الهادف الى توسيع النفوذ الفرنسى ، ليمتد الى بحيرة تشاد شرقا (١٥٢) ، ولكنه فوجىء بأن الموقف فى أعالى النيجر تغير وأصبح فى صالح قوات التحالف الوطنى ، بحيث صار كالآتى : —

١ — تمكن بعض أتباع أحمد وشيخو بزعامه الحاج (بوجونى Bougouni) (١٥٣) .

فى أواخر عام ١٨٩١ من محاصرة دولة سانسندنج على الضفة اليسرى للنيجر ، وهروب ملكها الوثنى (مادمبا) منها (١٥٤) .

٢ — اكتشف البمبارا أن الفرنسيين يستخدمونهم لتحقيق أطماعهم التوسعيه ، فكانوا ينتظرون اعادة أملاكهم اليهم ، بعد سقوط نيورو وكارتا ، ولكن خاب ظنهم ، ومن ثم أدركوا فجأة أن الفرنسيين فى الحقيقة أسوأ من أعدائهم التكولور المسلمين ، فانضمت قواتهم مع قوات التحالف فى محاربة الفرنسيين ، طوال الفترة ما بين عامى ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ (١٥٥) .

---

(١٥١) Meniaud, J. : op. cit. Tome II. P.P. 312-313.

(١٥٢) د. شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها . ص ٥٠٠ وما بعدها .

(١٥٣) من جنود المغاربه ، الذين ساهموا بدور كبير مع الوطنيين ضد القوات الفرنسيه .

(١٥٤) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV. P. 190.

(١٥٥) Oloruntimehin, B. O .: op. cit., P. 17.

٣ — رأى الملك تيبيا ملك سيكاسو ، أن الفرنسيين يستخدمونه فقط، أداة لتوسيع سيطرتهم على السودان الغربى ، وقد رأى تجربة البمبارا معهم ، ومن ثم أدرك أنه سوف ينتهى برفضه دخول التحالف ، وبعد ذلك سيبتلع داخل الادارة الاستعمارية الفرنسيه ، لذلك وجد أن أفضل شئ أمامه ، أن يسوى علاقته ويحسن أموره مع ساموری ، ولهذا استجاب للجهود الدبلوماسية الرائعة التى لا يزال أحمد وشيخو يقوم بها منذ عام ١٨٩٠ ، وكانت نتيجة التصالح بينه وبين ساموری ، أن أوقف الأخير حملاته العسكرية ضده ، وعزم القائد ان المسلمان على توحيد صفوفهما وتجميع مواردهما والدخول مع قوات التحالف فى حروبهم ضد الفرنسيين (١٥٦) •

٤ — ترتب على ضغط الفرنسيين على امبراطورية الديولا ، ونشاطهم فى الجزء الشمالى من غينيا الحديثة، وانشائهم المراكز والحصون العسكرية فيها ، أن أعطى فوتاجالون احساسا بعدم الأمان ، خاصة بعد تجربة دويلات سنغمبيا مع هؤلاء الفرنسيين ، فرأى أئمة فوتاجالون أن المصلحة تقضى بتحسين علاقاتهم مع ساموری وزيادة تعاونهم فى التحالف (١٥٧) •

فالواقع أن المصلحة قد جمعت بين زعماء المنطقة ، فبعد أن كان التحالف يضم ممالك ودويلات اسلامية ، انضم اليه جماعات وثنيه ، كما الحال بالنسبة ابمبارا بليدوجو •

ولكن لسوء حظ هذا التحالف الوطنى ، أنه جاء فى وقت كانت فيه حركة أنصار التوسع الاستعمارى ، تطل برأسها من جديد فى فرنسا ، وانبثق منها « حزب استعمارى » كان يستند على (لجنة افريقيا) «Comite d'Affrique Francaise» التى تكونت منذ نوفمبر عام ١٨٩٠ ، من بعض رجال السياسة والمثقفين وبعض ضباط جيش

---

(١٥٦) Oloruntimehin, B. O. op. cit., P. 18.

(١٥٧) Ibid. P.P. 12-13.

المستعمرات ، وكان هذا الحزب يجد مساندة قوية من الأوساط العسكرية والبحرية ولدى البعثات الدينية (١٥٨) •

ولذلك كان رجال هذا الحزب يضغطون على الحكومة الفرنسية لزيادة التوسع الاستعمارى الفرنسى فى الخارج ، للحصول على المواد الأولية، ولتصريف فائض الانتاج الصناعى ، وكما يقول جول فرى ،
«La politique Coloniale est fille de la politique industrielle»

لذلك حين عاد أرشينا الى السودان الغربى ، وهو مشبع بالآراء الاستعمارية ، فضلا عن طموحاته العسكرية ، انزعج من ذلك التحالف، وأدرك على الفور أن ساموري هو العمود الفقرى له ، ويتحتم الأمر ضرورة كسره ، ورأى أنه اذا تمكن من ابعاد الملك تيبيا عنه ، فيكون من اليسير القضاء على أعضاء التحالف الواحد بعد الآخر ، ومن ثم استخدم أرشينار أسلوب السياسة الهادئة وأسلوب السياسة الساخنة ، لتحقيق هدفه ، فأرسل بعثة الى الملك تيبيا ، عرضت عليه كثيرا من الاغراءات لابعاده عن التاحلف ، الى حد أن طلب من القائد كيكندون Quiquandon فى ٣ ديسمبر ١٨٩٢ أن يعمل على جذب تيبيا الى الديانة المسيحية ، فقد كان أرشينار يظن أن تيبيا غير متمسك بالديانة الاسلامية ، وغير حريص عليها مثل الامام أحمدو شيخو أو الامام سامورى (١٦٠) •

وقد رفض الملك تيبيا الابتعاد عن التحالف ، وجند كل امكانيات دولته لمحاربة الفرنسيين من داخل المجموعة الوطنية بشكل فعال ،

أما بالنسبة للامام ساموري ، فقد كان التعامل معه لا يفيد الا عن طريق الحرب الساخنة ، فأرسلت حملة عسكرية بقيادة « كومب » للوصول بأقصى سرعة الى نهر ميلو ، للحيلولة دون أن يتم الاتصال بين قواته

---

(١٥٨) بيير رنوفان : مرجع سابق . ص ٦٦٥ .
(١٥٩) د. سمعان بطرس فرج الله : العلاقات السياسيه الدولية فى القرن العشرين ، الجزء الأول (١٨٩٠ — ١٩١٨) ص ١٣ .
(١٦٠) Meniaud, J. . op. cit. Tome. II P.P. 310-315.
وكان الضابط الفرنسى مارشان يحضر مجالس رجال الدين فى المساجد والحفلات الدينيه ، كما كان يفعل نابليون بونابرت فى القاهرة ، اثناء تواجد الحمله الفرنسية ، وهذه سياسة لها مغزاها الكبير .

وقوات تيبيا ، والاشتباك مع القوتين كل على حدة ، مما أرهق القوات الفرنسية ، فاضطر أرشينار الى ان يدفع بأسراب من الاحتياطى ليعزز بها القوات الفرنسية المحاربة ، وبأسراب أخرى لتنظيف سنغمبيا وكارتا من بقايا الثورة •

والواقع أن التعاون بين ساموري وتيبيا كان فعالا ، فقد عرقل كثيرا من هجمات الفرنسيين ، ولكن وفاة تيبيا فى عام ١٨٩٣ (١٦١) أثر بشكل كبير على التحالف ، رغم استمرار خليفته الملك (بابمبا B-a Bemba) فى التعاون ، فقد تمكنت القوات الفرنسية من اضعاف ساموري ، مما جعله ينتقل الى الشرق بعد أن دمر وأحرق القرى ، حتى لا يستفيد منها الفرنسيون ، واستصرخ بريطانيا وطلب منها الحماية وامداده بالسلاح الى درجة أنه كان مستعدا أن يذهب بنفسه الى لندن ، ليرجو الملكة فى هذا الشأن (١٦٢) •

ولكن الحكومة الانجليزية كانت ترفض من الناحية الرسمية ، استجابة طلبه ، حتى لا تثير المشاكل مع فرنسا ، لذلك لم يوفق مبعوث ساموري فى فريتاون فى تحقيق رغبته (١٦٣) •

ولا شك أن موقف الحكومة الانجليزية من ساموري ، ساعد القوات الفرنسية على انزال الهزائم فى قواته ، وقطع طريق امداده بالسلاح الذى كان يحصل عليه من البيوت التجارية فى سيراليون (١٦٤) •

ومن ناحية أخرى ، واصلت القوات الفرنسية ، تضييق الخناق على الملك بابمبا ملك سيكاسو ، ومراقبة أحمدو شيخو فى ماسينا ، وشل حركته ،

---

(١٦١) Oloruntimehin, B. O. : op. cit. P. 18:

(١٦٢) Consulat de France à Sierra - Leone àu Ministere des Affaires Etrangeres,, 29 Octoobre 1892, Soudan VI, 3, M - des Colonies.
ملحق رقم (١)

(١٦٣) M. des Affaires Etrangerres à Saus Secretaire d'Etat des Colonies ; 7 Novembre 1892. Souden VI, 3, M. des Colonies.

(١٦٤) Forstner, Kanya. : op. cit., P.P. 215-216.

وطرد التكولور من كوالا Koila على النيجر ، وانزال العقاب بالبمبارا الذين تعاونوا فى التحالف ، وطرد جماعات الحاج بوجونى من سانسندنج على الضفة اليسرى للنيجر ، واعادتها تحت السيادة الفرنسية (١٦٥) .

الأمر الذى يبدو منه أن التحالف الوطنى قد أصيب بشروخ . ولم يعد بالقوة التى كان عليها ، ومن ثم واصلت القوات الفرنسية هجومها على امبراطورية الديولا ، ووصلت الى حدود سيراليون والى أطراف الغابة الكبرى (١٦٦) .

انهيار التحالف الوطنى :

لعل المرء يتساءل لماذا لم يتمكن التحالف من الصمود والتصـــدى للغزو الفرنسى ، بعد أن اكتمل وجمع القوى الاسلامية فى غرب أفريقيا بالاضافة الى بمبارا بليدوجو ، وأخذ طابع الوحدة الجماعية الافريقية لماذا تفكك ولم يمض عليه بعض ســـنوات منذ تكوينـــه وبتلك السرعة المفاجئة .

فى الواقع كان هناك عوامل قديمة كانت سببا فى انهيار التحالف . وان لم تكن السبب الرئيسى الذى ضرب وفكك وحدته ، كما سنشير اليه بعد قليل ، ونقول ، أن الحقيقة منذ سقوط امبراطورية التكولور وموت الملك تيبيا ، أخذ التحالف فى التصدع ، ثم فى الانهيار وتفككت الوحدة التى جمعت أولا بين دولة التكولور ودويلات سنغمبيا ، ثم بينهم وبين كل من ساموری وتيبيا وبمبارا بليدوجو ، الأمر الذى ساعد الفرنسيين الى حد كبير على القضاء على المقاومة الوطنية ، حيث تمكنوا من محاربة كل دولة أو جماعة على حدة ، وتضييق الخناق عليها ، حتى انتهى الأمر بسقوط كل ممالك ودويلات وجماعات المنطقة تحت الاستعمار الفرنسى،

ولكن ليس معنى ذلك أن الفرنسيين لم يواجهو مقاومة بعد تفكك التحالف فى عام ١٨٩٣ ، فالواقع أن المقاومة الوطنية لم يقض عليها نهائيا،

---

(١٦٥) Hanotaux. G. : op. cit., Tome. IV. P. 190.

(١٦٦) Person, Y. : Guinea - Samori. P. 137.

واستمرت تتصارع مع الوجود الفرنسى المتزايد حتى عام ١٨٩٨ ، كما سنشير اليه بعد قليل •

ونتعرف الآن على الأسباب التى أدت الى انهيار التحالف بتلك السرعة ، فنقول أن التحالف منذ تكوينه فى عام ١٨٨٩ ، كان يحمل بين جوانحه الكثير من المشاكل ، منها تلك الحقيقة التى تكمن فى عدم الانسجام السياسى والاجتماعى بين سكان السودان الغربى — بصفة عامة — ، ومنها كذلك اختلاف الأهداف التى تسعى اليها الجماعات المختلفة •

فالمعروف أن التحالف تكون نتيجة رغبة مشتركة ، نحو الاحتفاظ بالاستقلال والمحافظة على الطرق التجارية ، الى جانب الوحدة الدينية والجنسية ، وبطبيعة الحال لم يكن من السهل خلق انسجام بين هذه القوى المختلفة فى التحالف ، •

فاذا نظرنا مثلا الى دويلات سنغمبيا ، نجدها كانت فى البداية ترتبط مع الفرنسيين — بصورة أو بأخرى — للحفاظ على استقلالها من امبراطورية التكولور ، رغم اشتراكها معها فى الديانة الاسلامية ، وانتمائها سويا للطريقة التجانية ، لذلك دعم الفرنسيون موقفهم فى تلك الدويلات بمساعدتهم الحكام الوطنيين أمثال زعماء الولوف وكايور ضد التكولور(١٦٧) •

وعندما ضغط الفرنسيون عليهم ، وأخذوا يقيمون مشروعاتهم الاستعمارية ، التى كانت فى نظرهم — أى الزعماء الوطنيين — تتعارض مع مصالحهم ، وتغيير معاهدات السلام الى معاهدات حماية بالقوة ، تغير الموقف بين الطرفين ، ومن ثم كانت الحرب لابد واقعة •

كذلك كانت امبراطورية التكولور ، على علاقات طيبة — الى حد ما — مع الفرنسيين ، وكان أحمدو شيخو لا يعير انتباها للحاج محمدو لامين زعيم السراكولى ، الذى كان يناضل ضد التوسع الفرنسى ، ولم يناصره ويتحد معه ، وفضل عليه الفرنسيين ، وفعل الشىء نفسه مع ساموری ،

---

(١٦٧) Oloruntimehin, B. O. : op .cit., P. 12.

ولكن حين اشتد الضغط الفرنسى ضده ، خاصة بعد سقوط حصن كونديان شرع فى جمع الصف وتوطيد الموقف ، ومن ثم تكون التحالف (١٦٨) •

أما البمبارا فكانوا منذ البداية يحقدون على التكولور ، الذين طردوهم من ملكهم السابق ، وكان هدفهم من صداقتهم للفرنسيين ، تحطيم دولة التكولور ، وعندما خذلهم الفرنسيون ، اشتركوا فى التحالف ، وان كان اشتراكهم مجرد وسيلة وتغيير فى التكتيك فى جهودهم ، لعلهم يصلون الى هدفهم الأساسى (١٦٩) •

وبالنسبة لتيبيا ملك كينيدوجو ، فكان يطمع فى توسيع مملكته على حساب الأقاليم المجاورة ، وهذا يتعارض — على طول الخط — مع أطماع ساموري ، ولذا كانت العلاقات سيئة بينهما ، ترتب عليها حروب طاحنة ، وحين أيقن تيبيا أهداف الفرنسيين ، دخل التحالف بهدف الحفاظ على استقلال دولته •

من الواضح اذا ، هناك اختلافات قديمة بين أعضاء التحالف قبل تكوينه ، لكن سرعان ما تولد عن الضغط الفرنسى وجود روح جديدة، من التعاون ، تربط بين كل المجموعات ، وكانت المعارضة العامة هى القاعدة الوحيدة التى وحدت ونظمت هذه المجموعات ، وقد أثر هذا فى مبادىء المشاركين ، بصرف النظر عن طبيعة ومجال التحالف ، وبالتالى درجة مشاركتهم ونشاطهم •

ومع كل ذلك ، لا يرجع انهيار التحالف ونجاح الفرنسيين جزئيا الى استغلالهم الماهر للمشاكل القديمة ، لكن التفسير الصحيح لنجاحهم يرجع الى تفوق أسلحتهم الحديثة على أسلحة قوى التحالف ، واشتداد المنافسة الأوربية على استعمار القارة الافريقية التى نظمتها قرارات مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ •

---

(١٦٨) Hargreaves, J. : Prelude to the partition of West Africa. P. 265.

(١٦٩) Oloruntimehin, B. O. : op. cit. P. 4.

استمرار المقاومة الوطنية على شكل وحدات منفردة : ـ

ظل بعض أبطال التحالف الوطنى ، رغم انهيـــاره فى عام ١٨٩٣ ، يصارعون التوسع الفرنسى ، حتى أخر رمق فى حياتهم ، وقد حاول البعض منهم جمع الشمل ، ولكن هذه المحاولات ، بل التحالف نفســه جاء متأخرا ، فكل يوم ينتهى كان فى صالح الفرنسيين •

فبعد أن تمكنوا من تمزيق وحدة التحالف ، تعاملت القوات الفرنسية مع كل قوة من قوات هذا التحالف منفردة ، والحيلولة دون وصـــول السلاح الانجليزى لها •

فمثلا ، ترتب على زهوة النصر الذى حققه الفرنسيون فى بعض المواقع ، أن تحمس الملازم بحرى (بواتييه Boiteux) وسير حملة استولت على مدينة جنى بالقوة ، وواصلت سيرها على نهر النيجر حتى وصلت الى مدينة تمبكتو فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٣(١٧٠) ، وحين علم سكانها من الطوارق بوصول الحملة الفرنسية ، تصدوا لها وتمكنوا من استعادة المدينة ، وهاجموا الميناء البحرى الذى أسسه الفرنسيون فى كابارا على النيجر ، وقتلوا البحارة الفرنسيين ، فاتجه بواتييه الى كابارا للانتقام من الطوارق وطردهم منها (١٧١) ، ولكنهم تمكنوا من محاصرته وقطع أى اتصال بينه وبين القيادة الفرنسية ، الأمر الذى أفزع القائد (بونييه Bonneir)(١٧٢) ، الذى كانت قواته تشتبك مع قـــاوت ساموري ، فكان يخشى اذا تحرك نحو تمبكتو ، أن تهاجمـــه قـــوات

---

(١٧٠) تمبكتو من المدن الاسلامية العريقة بتجارتها وثقافتها فى شمال النيجر ، وقد خضعت للمنصور السعدى المغربى ، وظلت خاضعة للمغرب حتى عام ١٧٥٠ ، ثم خضعت للطوارق منذ عام ١٧٩٢ ، واستمروا بها مع الفولا حتى مجيء الفرنسيين ، انظر : ـ

د. شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ص ١٨٥ ـ ١٨٨ •

(١٧١) Johnston, Harry. : A History of the Colonization of Africa. P. 207.

(١٧٢) صدر قرار بتعيينه قائدا أعلى للقوات الفرنسيه فى السودان الغربى فى اغسطس ١٨٩٣ •

ساموری من الخلف ، فاضطر الى التريث ، فبعد أن ناصر أهالى تينيتو Tenetou ضد ساموری ، وأحرز الانتصار عليه ، وجه حملة لتخليص بواتييه من الطوارق ، ولكنهم أوقعوا بها الهزيمة ، وقتلوا قائدها المدعو « أوب Aube » عند « أورومیرا Ouroumaira » (١٧٣)

وقد ترتب على ذلك ، أن أرسل بونييه حملة مزودة بكل معدات الأسلحة ، أخذت تضرب تمبكتو بطلقات المدافع ، حتى انهارت مقاومة السكان ، وتمكن الفرنسيون من دخولها فى ١٠ يناير ١٨٩٤ (١٧٤) .

ولكن الطوارق لم يستسلموا للأمر الواقع ، فشنوا هجوما ضد الفرنسيين ليلة ١٧ يناير ١٨٩٤ فى جوادان ...udan ، وأشاعوا الفوضى بين الجنود ، وقتلوا كل من وقع فى أيديهم ، فكانت كارثة تأثر بها الرأى العام فى فرنسا كثيرا (١٧٥) .

فأسرع القائد « جوفر Joffre » ووصل فى ٢٤ يناير ليجمع جثث القتلى ، وليضع حدا لهجمات الطوارق ، وتمكن بواسطة السلاح أن يسكت المدينة ويقيم فيها القلاع والمراكز ويخضعها للسيادة الفرنسية (١٧٦) .

وفى الوقت نفسه كانت حملات فرنسية أخرى تتصارع مع الملك بابمبا حاكم سيكاسو ، وتحول دون أى لقاء يتم بينه وبين قوات ساموری التى كانت تضرب بعنف فى المنطقة الواقعة بين سيكاسو وبين باؤولى من ناحية وتحاصر دولة كونج من ناحية أخرى بهدف جذبها اليه — أى لساموری — والغاء المعاهدة المرتبطة بها مع الفرنسيين منذ يناير ١٨٨٩ (١٧٧) .

---

(١٧٣) Hanotaux, G.: op. cit. Tome IV. P. 234.

(١٧٤) Forstner, Kanya. : op. cit. P.P. 217-221.

(١٧٥) Ibid, pp. 221-222.

(١٧٦) Fage, J.: A History of West Africa. P.P. 154-155.

(١٧٧) كانت دولة كونج من الدويلات الاسلامية ، وبرز منها كثير من العلماء والفقهاء ورجال الدين ، وكانت على خلاف مع ساموری بسبب مفاهيم دينيه .

فقد نجحت بعثات ساموري في فريتاون من أن تحصل على صفقة من الأسلحة الانجليزية عن طريق التجار البريطانيين ، ومن ثم تمكنت قوات ساموري من صد الحملة الفرنسية التي حاولت ابعاد قوات السوفا من كونج ، وأوقعت بها الهزيمة ، وأسرت كثيرا من جنودها ، مما جعل وزارة الخارجية الفرنسية ، ترسل الى السفير الفرنسي في لندن ، بأن يثير مسألة بيع الأسلحة فى سيراليون لساموري ، مع وزير الدولة للشئون الخارجية البريطاني ، وأن يتخذ كافة الخطوات لوقف التعامل معه ، والا تعترض حكومته علي ارسال الحملات العسكرية الفرنسية ضده ، وقد نفذ الوزير الفرنسي تلك التعليمات(١٧٨) .

كما أرسل وزير الخارجية الفرنسي الى وزير المستعمرات ، يلفت نظره الى صفقة السلاح والذخيرة التي وصلت مؤخرا الى ساموري ، كذلك لفت نظره الى المصالح العاجلة المترتبة على ضرورة وضع نهاية لهذه التجاوزات من قبل حكومة سيراليون الانجليزية(١٧٩) .

وقد ترتب علي صمود ساموري واستمراره في المقاومة ، أن ضاعفت الحكومة الفرنسية من حملاتها العسكرية لتأديبه واخضاعه ، ومحاولة ابرام معاهدة سلام معه ، فسيرت اليه حملة في ١٥ مارس ١٨٩٥ ، ولكنه انتقل هو وجيشه وشعبه بعيدا عنها ، مما جعل الحملة الفرنسية ترتد وتتخلى عن سيرها الى كونج ، وفي أثناء عودتها هاجمتها قوات السوفا وألحقت بها الكثير من الخسائر ، واستمر ساموري في تحركاته حتى وصل الى بلاد الموصي Mossi (١٨٠) . التي كانت مطمعا للانجليز الذين كان لهم وجود في كوماسي عاصمة مملكة الاشانتي(١٨١) .

---

(١٧٨) Ministre de France à Londres àu Ministre des Affaires Etrangeres, 31 Octobre 1894, Afrique VI, 115, M. - des Colonies.
ملحق رقم (٢)

(١٧٩) Ministre des Affairs Etrangéres àu M - des Colonies, 8 Novembre 1894, Afrique VI 115, M - des Colonies.
ملحق رقم ٣

(١٨٠) Person, Y. : Samori and resistance to the French. P.P. 105-108.

(١٨١) انظر مقاومة الاشانتي للانجليز في : —
د. شوقي الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها . ص ٥٥٢ — ٥٦٠ .

ولكن سرعان ما ترتب على تطلع الانجليز وأطماعهم فى بلاد الموصى، قلق لدى الفرنسيين ، بجانب خوفهم من حدوث تقارب بين ساموری وبين الانجليز ، وأخذ أعضاء الاتحاد الاستعمارى L'union coloniale الذى تكون فى عام ١٨٩٥ ، يضغط بشدة على الحكومة الفرنسية لتبسط سيادتها على هذه الأماكن ، قبل وصول البريطانيين اليها [١٨٢] .

لذلك ضاعف الفرنسيون من هجماتهم ضد ساموری من ناحية وضد بابمبا من ناحية ثانية ، ومحاصرة أحمدو شيخو فى ماسينا من ناحية ثالثة ، فتمكنوا من احتلال كونج فى ٢٧ فبراير ١٨٩٨ ، وسقطت سيكاسو فى أيديهم فى مايو من العام نفسه ، ودخولهم المدينة وذبحهم بابمبا ، واضطر أحمدو شيخو ، بعد أن وهن به الضعف أن يلجأ الى سوكوتو فى ذلك العام ، حيث توفى فى السنة نفسها ، ومن ثم أتيحت لهم الفرصة لأن ينفردوا بساموری ويشددوا عليه الحصار[١٨٣] .

والواقع أن ساموری أخذ يشعر بالارهاق ، فأراد أن يقضى بقية حياته فى سلام ، مع الغزاة الفرنسيين ، فطلب من لارتيج De Lartigue أن يتركه يعود الى سانانكورو Sanankoro ، ولكن يبدو أن لارتيج أراد أن يمعن فى اذلال قائد الديولا ، فاشترط عليه أن يسلم سلاحه وذخيرته ولديه (سرانكى مورى ومختار) ، وفى أثناء المحادثات كان الكابتن جادن Gaden والملازم وولفل Woolffel اعترضا قوات السوفا من الذهاب نحو ليبيريا ، وعسكر وولفل فى نزو Nzo انتظار لأوامر القائد لارتيج [١٨٤] .

ولما رفض ساموری الشروط الفرنسية ، فقد اعتبرها اهانة لشرفه وكبريائه كزعيم وقائد وسياسى وامام ، قرر الفرنسيون ضرورة القبض عليه ، فأحاطوا بقواته ومعسكره ، وبدأ الهجوم عليه والامساك به وهو يرتل آيات من المصحف الشريف فى ركن من الغابة التى كان قد أوى اليها هو

(١٨٢) د. سمعان بطرس فرج الله : مرجع سابق . ص ٥٥

(١٨٣) Hanotaux, G.: op. cit. Tome IV. P.P. 224-225.

(١٨٤) Ibid, P.P. 226-227.

وزوجاته وحرسه الخاص يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٨٩٨ (١٨٥) ، واستمـر في منفاه فى الجابون يسبح اللــه ويتذاكر القرآن الى أن توفى ــ بسبب أو بأخر ــ فى يونيو ١٩٠٠ ، تاركا وراءه كل الحقد والبغضاء ضد الفرنسيين لحفيــده أحمدو سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا الحالية (١٨٦) .

وهكذا انتهت ملحمة الصراع بين المقاومة الوطنية فى أعالى النيجر وبين الفرنسيين ، ولكن كان عليهم ، حتى يستقر وجودهم فى تلك المنطقة أن يسوو حساباتهم مع الانجليز ، وفعلا تمكنوا باتفاقية ١٤ يونيو ١٨٨٩، التى حددت الممتلكات البريطانية والممتلكات الفرنسية ، وصار أعالى النيجر خاضعا للسيادة الفرنسية (١٨٧) .

---

(١٨٥) Person, Y : op. cit: P.P. 109-111.

(١٨٦) د. ابراهيم على طرخان : مرجع سابق . ص ١٧٥ .

(١٨٧) Hertslet, Edward. : The Map of Africa by Treaty. Vol. II. P.P. 786-790.

الملاحق

تخير الباحث نماذج لبعض الوثائق الرسمية غير المنشورة ، التى أفاد منها فى هذا البحث ، ورأى أن ينشرها كاملة لاتمام الفائدة .

ملحق رقم (١) . —

هذه الوثيقة محفوظة بأرشيف وزارة المستعمرات الفرنسية بباريس.
تحت رقم Soudan, VI, 3 ومؤرخة فى ٢٩ أكتوبر ١٨٩٢ .

نص الوثيقة بالعربية :

من نائب قنصل فرنسا فى سيراليون الى وزير الخارجية .

سيراليون فى ٢٩ أكتوبر ١٨٩٢

تبين من الاعلان عن أحد وكلاء ساموری الذی وصل هنا أن سيده « ساموری » قد اعتدى عليه الفرنسيون ولاحقوه ، وعلم كذلك أنه يطلب من جديد الحماية البريطانية وقوات مسلحة،وأنه اذا دعت الضرورة فانه مستعد أن يذهب الى انجلترا ليرجو الملكة فى هذا الشأن .

وبعد فترة تردد دامت يومين ، أجاب الحاكم بأنه لا يستطيع التدخل، ولكن البيوت التجارية الانجليزية التى طالما ساعدته — أى ساموری — أبدت رغبتها فى استمرار مساعدتها له .

نص الوثيقة بالفرنسية:ـ

ملحق رقم (٢) : —

هذه الوثيقة محفوظة بأرشيف وزارة المستعمرات الفرنسية بباريس تحت رقم Afrque, VI, 115. ومؤرخة فى ٣١ أكتوبر ١٨٩٤ •

نص الوثيقة بالعربية : —

من وزير فرنسا فى لندن الى وزير الشئون الخارجية •

لندن فى ٣١ أكتوبر ١٨٩٤ •

بناء على التعليمات الواردة فى كتابكم المؤرخ فى ٢٩ من الشهر الحالى برقم ٤٠٣ ، فقد أبلغت اللورد كمبرلى مرة أخرى ، بموضوع بيع السلاح والذخيرة ، الذى تم بمعرفة بعض الانجليز من سيراليون والمتجهة الى ساموری •• فقد رجوته أن يستخدم نفوذه — المزدوج — كوزير للخارجية وكوزير سابق للمستعمرات ، بأن يتخذ كافة الخطوات فى هذا الصدد ؛ وألا يعترضوا على الخطوات التى نتخذها حاليا بارسال حملة عسكرية ضد ساموری •• وقد رجانى اللورد كمبرلى ، أن أحرر له مذكرة ، وقد اتخذت ذلك بالفعل •

نص الوثيقة الأصلية الفرنسية : ـ

que nous organisons contre
Samory une expédition.
Lord Kimberley m'a
prié de lui laisser une note,
ce que j'ai fait séance tenante
et m'a promis de nous donner
pour l'état satisfaction.

ملحق رقم (٣) : —

هذه الوثيقة محفوظة بأرشيف وزارة المستعمرات الفرنسية بباريس تحت رقم Afréque, VI, 115. ومؤرخة فى ٨ نوفمبر ١٨٩٤ •

نص الوثيقة بالعربية : —

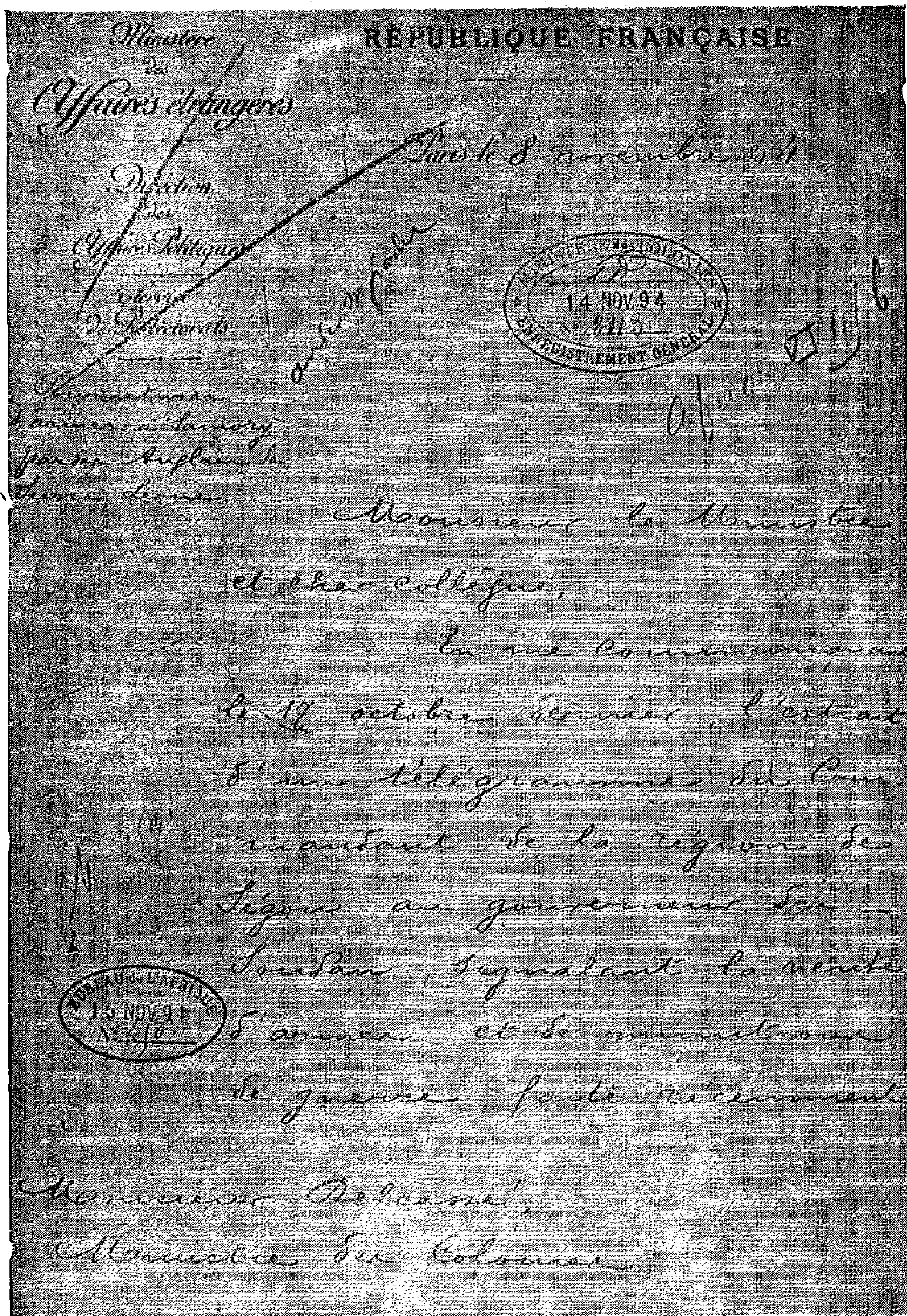
من وزير الخارجية الى وزير المستعمرات •

باريس فى ٨ نوفمبر ١٨٩٤

لقد لفتم نظرى فى كتابكم المؤرخ فى ١٧ أكتوبر الماضى والذى يتضمن مقتطفات من البرقية المرسلة من قائد منطقة « سيجو » الى حاكم السودان ، والتى أشار فيها الى موضوع بيع السلاح والذخيرة الذى تم مؤخرا بمعرفة اثنين من البريطانيين القادمين من سيراليون الى « بلالى » مساعد ساموري ، والى المصالح العاجلة المترتبة على ضرورة وضع نهاية لهذه التجاوزات •

ان القائم بأعمالنا فى لندن ، طلبت منه أن يصر لدى وزير الدولة للشئون الخارجية ابريطانى ، على أن تتخذ السلطات فى سيراليون الاجراءات الضرورية لوقف عملية بيع السلاح والذخيرة •

نص الوثيقة الأصلية باللغة الفرنسية : ـــ



Ministère des Affaires étrangères

Direction des Affaires Politiques

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Paris le 8 novembre 94

MINISTÈRE des COLONIES
14 NOV 94
ENREGISTREMENT GÉNÉRAL

BUREAU de L'AFRIQUE
15 NOV 94

Monsieur le Ministre et cher collègue,

En me communiquant le 17 octobre dernier, l'extrait d'un télégramme du Commandant de la région de Ségou au gouverneur du Soudan, signalant la vente d'armes et de munitions de guerre faite récemment

Monsieur Delcassé,
Ministre des Colonies

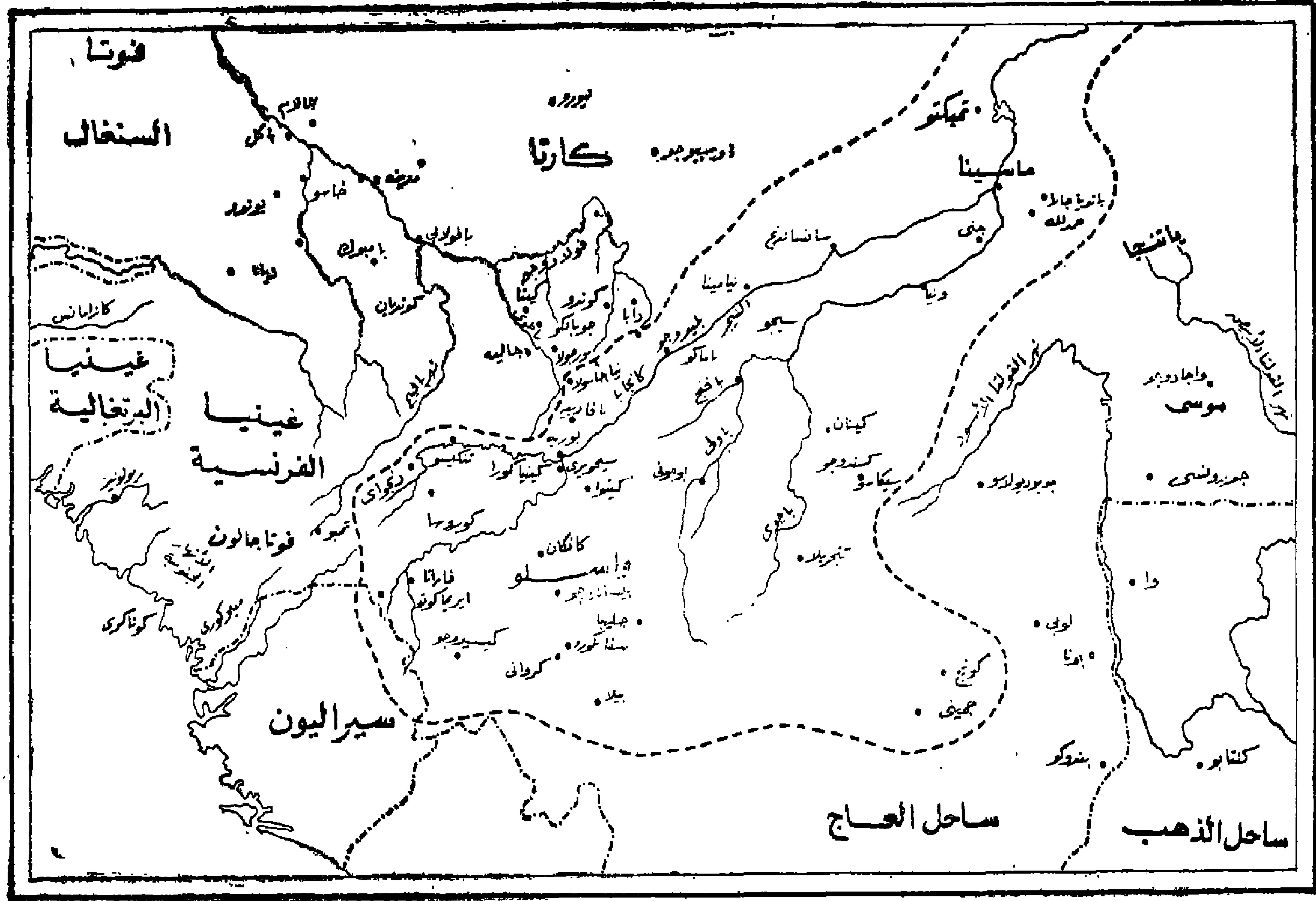
par Sèze anglais venus de
Sierra Leone, à Bilali
lieutenant de Samory vous
avez appelé mon attention
sur l'intérêt urgent qu'il
y aurait à mettre fin à
ces agissements.

Votre chargé
d'affaires à Londres, que
j'avais invité, en conséquence,
à insister auprès du Secrétaire
d'Etat des Affaires Étrangères
de S. M. Britannique pour
que les autorités de Sierra
Leone fussent invitées à
prendre les mesures néces-
saires en vue d'empêcher
la contrebande dont il
s'agit, vient de me faire

pouvant vous suggérer.

Agréez, Monsieur le Ministre et cher Collègue, les assurances de ma haute considération.

G. Hanotaux



منطقة أعالي النيجر والسنغال والفولتا

الصحراء
امبراطورية التكولور
الإمارات المغربية
نيورو
كارتا
سان لوى
فوتا تورو
كاى
مدينة
دنجراى
تمبكتو
ماسينا
نهر النيجر
كندوجو
(دولة تيبا)
واسولو
(دولة ساموري)
فوتاجالون

الدويلات الداخلة في التحالف

اولا : وثائق وزارة المستعمرات الفرنسية غير منشورة .

مصـــادر البـــحث

— Ministére des Collonies, Section d'outre Mer. (II3rue Oudinot, pares 7 eme).

Soudan VI, 3.

— Ambassadeur de France à Londrés au M. des Affaires Etrangeres, Londrés; 6 Novembre 1891.

— M. des Affaires Etrangéres à Sous - Secretaire d'Etat des Colonies; 9 Novembre 1891.

— Consulat de France à Sierra - Leone, àu M. des Affaires Etrangeres; 29 Octobre 1892.

— M. des Affairs Etrangéres à Sous - Secretaire d'Etat des Colonies ; 7 Novembre 1892.

— M. des Affaires Etrangéres a Sous -Secretaire d'Etat des Colonies; I 7 Janvier 1893.

— Le Commandant Superieur du Sodan Français, à Sous - Secretaire d'Etat des Colonies ; Kayes. II Novembre 1893.

Afrique VI, 115

— M. des Colonies àu M .des Affaires Etrangeres, 17 Octobre 1894.

— M. des Affaires Etrangeres àu M. des Colonies, 8 Novembre 1894.

ثانيا : مراجع عربية ومعربة

١ ــ بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥ ــ ١٩٤) تعريب د. جلال يحيى القاهرة ١٩٧١

٢ ــ د. جلال يحيى : الاستعمار والاستغلال والتخلف القاهرة ١٩٦٥

٣ ــ د. حسن أحمد محمود : الاســلام والثقافه العربية فى أفريقيا جـ ١ القاهرة ١٩٥٨

٤ ــ د. زاهر رياض : استعمار أفريقيا القاهرة ١٩٦٥

٥ ــ د. سمعان بطرس فرج الله : العلاقات السياسيه الدولية فى القرن العشرين حـ ١ (١٨٩٠ ــ ١٩١٨) القاهرة ١٩٦٥

٦ ــ د . شوقى الجمـل : تاريخ كشف القارة الأفريقية واستعمارها القاهرة ١٩٧١

٧ ــ د. شوقى الجمل : المغرب العـربى الكبير فى العصر الحـــديث القاهرة ١٩٧٧

٨ ــ د. عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى أفريقيا القاهرة ١٩٥٩

٩ ــ د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الاسلاميه بأفريقيا الغربـــــيه القاهرة ١٩٦١

١٠ ــ محمد الحافظ التجانى : الحاج عمر الفوتى ، سلطان الدولة التجانيه بغرب أفريقيا القاهرة

١١ ــ د. محمد صفى الدين : افريقيا بين الدول الأوربيـــة القاهرة ١٩٥٩

١٢ ــ د. محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقيه القاهرة ١٩٦٥

ثالثا : مراجـــع اجنبية :

1. Adloff, Richard. : West Africa. New York 1964.

2. Anderson, J. D. West Africa in the nineteenth and twentieth Centuries. London 1972.

3. Crowder, Michael. : West Africa under Colonial rule. London 1968.

4. Crowder, Michael. : West Africa resistance. 1971.

5. Cooke, James. : new French imperialism (1880-1910). London 1975.

6. Collins, Robert. : Problems in the history of Coloniol Africa. U.S.A. 1960.

7. Davidson, Basil. : Guide to African history. London 1963.

8. Fage, J. D. : A history of West Africa. Comb. 1969.

9. Fetzgerald, W. : Africa, Social, Economic and political Geography o fits major regions. London 1961.

10. Forstner, A. S. Kanya. : The Conquest of Western Sudan. Camb. 1969.

11. Fyfe, C. : A history of Sierra Leone. London 1962.

12. Gann, L. H. : Colonization in Africa. Vol. I. London 1969.

13. Hanotaux, Gabriel. . Histoire des des Colonies Francaises et de L'expansion de La France dans Le monde. Tome IV. Paris 1931.

14 Hargreaves, J. D. : Prelude to the partition of West Africa London 1963.

15. Hargreaves, J. D. : France and West Africa. London 1969.

16. Hargreaves, J. D. : The European partition of West Africa. II. Vols. London 1970.

17. Hertslet, Edward. : The Map of Africa by Treaty. Vol. II. London 1909.

18. Johnston, H. : A history of Colonization of Africa. Camb. 1913.

19. Lucas, Sir Charles. : The partition and Colonization of Africa Oxford. 1922.

20. Meniaud, Jacques. : Les pionniers du Soudan. II Tomes. Paris 1931.

21. Oloruntimehin, B. O. : The Segu Tukulor empire. London 1972.

22. Person, Y. : Samori and resistance to the French. London 1970.

23. Person, Y. : Guinea - Samori. Translated by John White. New York. 1971.

24. Person, Y. : Samori, La renaissance de L'empire Mandingue, ABC. Paris 1976.

رابعا : دوريـــــات

Oloruntimehin, B. Olatunji :

a. The Treaty of Nigassola, 1886. Journal of Historical Society of Nigeria, Vol. IV. No. 4. June 1969.

b. Anti-French Coalition of African states and Groups in the Western Sudan (1889-1898) ODU, a Journal of west African studies University of Ife. Nigeria, New Series No. 3, April 1970.

c. Franco - Samori relations (1886-1889) Deplomacy as War, Journal of Historical Society of Nigeria, Vol. VI. No. 1, December 1971.

d. Muhammad L'amine in Franco - Tukulor relations, Journal of the Historical Society of Nigeria, December 1968.

مجتمعات الصيــد والقنص الافريقية

للدكتورة ســعاد على حسن شعبان
قســم الانثروبولوجيا
معهد البحوث والدراسـات الأفريقية ــ جامعة القاهرة

HUNTING AFRICAN SOCIETIES

By

Soad Ali Hassan Shaaban (Ph. D.)

Department of Anthropology

Institute of Research and African Studies,

Cairo University

"Summary and Conclusions"

Increasing interest in Africa is a noticeable phenomenon in various countries of the world. Such interest has extended even to countries that are not naturally or regionally related to the continent. This may be due to obvious variability of its natural, social, and cultural environments. The continent is crossed by rivers, mountains, deserts, forests, as well as savanna. It is also characterized by numerous types of agricultural production, as well as different human races and strains.

Existence of numerous and highly complicated languages is still another feature of the African continent.

Africa, on the contrary to what is believed by some scientists, is not isolated from the world. The continent to be quite close to Europe and Asia in three locations, namely Gibraltar, Bab El-Mandab, and the Seuz-Canal. Caucazian and Negro races are almost equaly distributed in the continent, with the first being concentrated in the north and north-eastern parts, and the later dominating the southern and western parts.

Two other races, different from the negro one, are found in the far western south, namely Bushmen and Hottentots. They can not be considered as strains from the negro race. Another race, i.e.

Pygmies, are found in Africa, with its individuals living scattered in the forests of Congo as well as that of Itory.

Africa has been classified according to various basis, such as language and dominant economic activity. The later classification is being adopted in this study. The following classification is the most important, since it deals with economic activities of the society :

Activity of collection and picking, Activity of hunting and fishing Activity of grazing, Activity of both intensive and extensive agriculture, mining and industrial activity.

The classification, in spite of generality, lacks accuracy. A given society may combine more than one economic activity. Therfore, it is difficult to clearly distinguish between these economic activities.

However this classification could hold true to a great extent if the most dominant economic activity of a given society is considered.

This article is the first one in a series of studies relevant to African societies, depending in classifying its societies on the most dominant economic activity. The study includes :

1. Savanna Hunters.

   A- Bushmen.

   B- Sandawe, Kindiga, and remainders of other societies.

   C- Bergdama.

2. Original Forest Hunters (Pygmies).

   This study will be followed by a series of articles relevant to African societies.

   A — **Bushmen** society is considered one of the most ancient glorious, and great societies. They are groups that practice hunting and fishing, as well as picking and collection. They have their own civilization and traditions. Some scientists were able to describe and register, such as Baumann, Westermann, Schapera and Seligman. In spite of their simplicity and poverty, they have their own cults, as well as implements and methods of hunting. Their clothing agree with the resources of their natural environment. The life of hunting, in spite of its extreme hardships and uncertaiety, is the way of life practiced by the Bushmen. They have never thought to appeal to agriculture, or raising livestock, as a way of life. They are capable for overcoming extreme effort and hunger, as well as making use of whatever available in their environment. They are still till now on their original beliefs, such as adoption of the moon

as a God, and considering some of things related to a given animal or plant as being sacred (Totem).

These societies, in spite of rapid development of the world and cultural expansion by various means, are till now living in complete isolation, which motivated them to preserve ancient traditions.

These groups, in view of facing vanity, can be considered as remainders of societies. Accordingly, their exists a need for its investigation since it represents an important economic and cultural stage for the development of mankind. Therefore, they have to be anthropologically investigated before being vanished.

Individuals of the society, in spite of the hardship conditions of their life, are proud and satisfied. It is unexpected that contact of Bushmen with other more developed cultures could change their primitive life, nor adopt other European or nearby African patterns of civilization. As a race it lacks till now the ability to adjust himself according to changing conditions. Therefore, it is a rapidly decreasing population. Such decrease may although be related to their traditions related to sucking and birth. The mother continues to suck her child up to the age of three to four years. If a baby is borne beforel weaning the previous one he has to face death. Large families are extremely rare, since three is almost the average size. Vanishing wild herds largely threatens the Bushmen's life, since they depend on it as a sole source of food. Issuing acts that prevent hunting wild animals by concerned governments is likely to affect the life of the Bushmen. Such acts have compelled their remainders to depend on unguaranteed sources of plant food.

This can be considered as another factor facilitating their vanity. The researcher, however, believes that such a society which has stand this life is characterized by extremely good will and persistence to the traditions of his ancestors. He has his strict laws, which has to be enforced, notably with regard to distribution of hunted animals. The chief of the tribe is entitled the right to distribute it taking into consideration the share of the hunter so as to continue hunting. Bushmen can make use of every part of the hunted animal, even the bones which are smashed and its inside contents are cooked with meat. Hides of small animals are used for clothing, or manufacturing cases for food and tobacco. Hides of big animals are used for manufacturing covers, belts and soles.

B- Remainders of Sandawe and Kindiga societies have a new developed pattern in addition to the traditional hunting one. They cultivate the land and raise livestock. Undoubtfully, this is due

to the effect of neighbouring civilization, resulting from cultural penetration by some way or the other.

C- **Bergdama** : There exists for this group some cultural mixed elements, that are a mixture of hunters civilization and that of food collectors, as well as that of primitive farmers and those raising livestock. This is perhaps the net resultant of responding to these patterns combined together. The Bergdama are dominant by the Negro race. They are hunters and food collectors in south-west Afrcia. Some of them, since they are neighbours of the Negros and Pygmies from north and west, as well as the Bushmen and Hottentots from south, raise goats. They have some effects of the matrilineal system mixed with the Patrilineal one. This is reflected in buctuations of heritage, as well as the system of age-sets.

These patterns of civilzation represent interference of numerous elements, which reflect the elasticity of the society and effect of neighbouring societies. It also indicate its adaptation with other cultures to the extent of imitating some of its elements to become part of his own culture. The Patrilineal system is starting to powerfully dominate, in spite of the existence of remainders of the matrilineal one. Political and religious authorities in extended families are practiced by adult males. This group is quite familiar with the democratic system found in the most developed societies. The village is run by democratic decisions taken by adult males.

This group supports the interrelated culture effect.

Pygmies: Economic activity of pygmies is very simple. Simplicity is presented in all of their daily life patterns. There exists no permenant and continuous utilization of any productive facilities for land, such as agriculture or grazing. Pygmies are hunters. Their life is to a great extent similar to that of the primitive human being existing on earth. They seek their daily food by hunting, as well as picking and collecting suitable wild fruits from the trees of the forest. Existence of such simple life side by side with the most developed economical scientific and cultural patterns attained nowadays by some societies seems to be highly striking and most peculiar. Pygmies, in spite of their close relations with Negros, have not been affected by their agricultural civilization. They may work for the Negros, or live symbioticaly with them, with each race practicing his initial way of life. Both races exchange their products. Pygmies provide Negros by animal food, in exchange of plant one. However, they learned from the Negros other things such as using arrows.

with iron pinned ends, hunting elephants by spears, in addition to addition to importance of tribe leadership.

Existence of council with certain conditions for the tribe seems to attract the attention. It reflects their developed administrative system. It is also noticed that the group is organized according to economic considerations. The patrilineal system is the most dominant, where the pattern of extended families exists, including all patrilineal kinship The clan is held responsible as to its individual both economically and politically.

There exists, as revealed by this study, strong similarity between different societies practicing hunting, picking, and collection in spite of their isolation and being extremely apart. Wide similarity exists for example in hunting methods, division of labor, housing, clothing, and in exogamy and the monogamy marriage. Similarity is also evident in simplicity in hunting and feeding articles. Similarity is in addition observed in dominance of totemic religious, considering the moon or sun as gods, as well as gloriously treatment of ancestors or getting sacred from them.

These are some small sized populations that represent, in spite of that, a dangerous phenomenon in the African continent, i.e. eradication of some its original strains. These societies, of limited knowledge, represent the initial stages of mankind life on earth. Thay reppesent a strange link in the development of mankind over time. Reasons underlying their existence are still unknown, where how or when the pygmietic type of mankind was firstly originated. They are societies most susceptible for eradication in the world of today. Anthropological studies have not yet clearly explained the nature of socio-economic organization of the pygmies. The nature of this organization is unknown both during their past history and with respect to up today development, notably that their social and environmental conditions have changed. Modren anthropological studies is asked to explore all previous questions, and find clear answers for all of it.

why are the pygmies shorter than others? What are the reasons underlying that? Why are the pygmies still living in an underdeveloped pattern of civilization similar to that existed with the primitive humabbeing? Is this related to their iselation or there are other reasons for that? What are the implications of their contact with oher neighbouring societies? At last, what is the future of the pygmies as a distinguished race? What is their social, biological, and cultural future? These questions are still to be answered by scientific and anthropological investigations. It represents a challange

for all researchers in various fields. They have to apply most advanced methods to clarify this obscurity of our knowledge to the strange world of pygmies.

This article will be followed by another one relevant to those who raise livestock in Africa.

يهدف هذا البحث الى دراسة الصيد والقنص فى مجتمعات سبق دراستها دراسة متكاملة ، ويستفيد هذا البحث فى تفسيره للظواهر بالرجوع الى هذه الدراسات السابقة المتكاملة •

تمهيد :

ان الاهتمام بافريقيا لظاهرة ملموسة فى كل بلد من بلاد العالم . حتى فى البلاد التى لا تربطها بها روابط اقليمية وطبيعية وقد يرجع ذلك الى التباين الواضح فى بيئاتها الطبيعية والاجتماعية والثقافية اذ تتخللها الأنهار والجبال والصحارى والغابات والسافانا ، كما تنمو بها أنواع متعددة من الزراعات المختلفة ، الى جانب وجود أجناس وسلالات كثيرة بها • وتوصف القارة الأفريقية بأن اللغات فيها متعددة ومعقدة الى أبعد الحدود • ومع ذلك فقد قسم العلماء اللغات الأفريقية الى :

١ ـ اللغات السامية　　٢ ـ الحامية　　٣ ـ الهوتنتوت
٤ ـ البانتو　　٥ ـ السودانية　　٦ ـ البشمن

ومن هؤلاء العلماء : جرينبرج(١) ، وورنر(٢) ، ووسترمان(٣) • وأخذ بهذا التقسيم أيضا سلجمان Seligman (٤) وجمهور

(١) Greenberg, J. H. : **Studies in African Linguistic** Classification, Southwestern, Journal of Anthropology, Albuquerque, V, 79-100, 190-198, 309-317, VI, 47-63, 143-160, 223-237, 388-398, X, 405-415. In Buchform : New Haven 1955.

(٢) Werner, A. : **The Langage Families of Africa** 2nd ed., 1925.

(٣) Westermann, D. : Sprache und Erziehung. In : Volkerkunde Von Afrika. Essen 1940.

(٤) Seligmann, C.G., : **Races of Africa,** London 1957.

من العلماء • ويقول غير واحد من علماء اللغات أن ما بأفريقيا من الألسن لايمكن أن يقل عن ثمانمائة لغة(١) •

لكل هذا ظهر الاهتمام الكبير بهذه القارة الهائلة ، وينصب ذلك أساسا على الجوانب السياسية واستغلال الموارد الطبيعية المتاحة ، واجراء الدراسات والأبحاث التى تفيد العلم والعلماء •

وأفريقيا ليست منعزلة عن العالم كما يعتقد البعض ، اذ أن هناك ثلاثة مواضع تقربها من أوروبا وآسيا هى : جبل طارق وبرزخ السويس وباب المندب • وتتوزع بها بالتساوى تقريبا السلالات القوقازية فى الشمال والشمال الشرقى • والسلالات الزنجية فى الجنوب والغرب ، وتعتبر السلالات الزنجية أقدم بكثير من القوقازية(٢) ، وقد ظلت القارة الافريقية وطنا للجنس الزنجى ، الذى ينفرد بالحياة والانتشار فى أرجائها الفسيحة ، وتكتسب فى ذلك العهد الطويل جدا تلك الصفات الجسدية التى تميزه عن سائر الأجناس ، والتى تلائم البيئات الافريقية كل الملاءمة وأخيرا أخذت السلالات القوقازية تتدفق ، فكان بعضها يتحد مع السلالات الزنجية ويؤثر فيها ثقافيا واجتماعيا ، وبعضها يحتفظ بكيانه كجنس مستقل كما نشاهده اليوم فى السلالات الحالية • هذا وينقسم الزنوج الى قسمين : سلالات البانتو المتشابهة اللغات ، والسلالات السودانية المتعددة اللغات • وتنقسم السلالات القوقازية أيضا الى قسمين : سلالات حامية وأخرى سامية والأولى هى التى تحتل منطقة قرن أفريقيا وبعض الجهات الواقعة الى الغرب من البحر الأحمر، وبعض جهات أفريقيا الشمالية ، أما السلالات السامية فتجاور الحاميين

---

(١) Greenberg, J.H., : The Languages of Africa, International Journal of American Liguistics. Vol. XXIX. Nr. 1. Part II. January 1963, Bloomington.

(٢) محمد عوض : الشعوب والسلالات الافريقية ، ١٩٦٥ ص ٢٤ •

فى شرق أفريقيا وشمالها ، وتحتل معظم أجزاء هضبة الحبشة وحوض النيل وشمال أفريقيا (١) .

والى جانب ذلك توجد سلالتان فى أقصى الجنوب الغربى تختلفان عن الجنس الزنجى ، ولايمكن أن نعدهما فرعا منه وهما سلالتا البشمن والهوتنتوت ، ويذكر معهما سلالة أخرى هى سلالة الأقزام التى يعيش أفرادها مبعثرين فى غابات الكنغو وغابة ايتورى(٢) .

وهكذا تقسم سلالات أفريقيا الى الآتى :

١ ــ البشمن والهوتنتوت والأقزام .

٢ ــ الزنوج من سودانيين وبانتو .

٣ ــ القوقازيون من حاميين وساميين .

٤ ــ أنصاف الحاميين ، أو كما يسمون الآن : النيليون الحاميون .

والى جانب التصنيف اللغوى السابق ، فان هناك عدة تقسيمات أخرى لأفريقيا ، من بينها على سبيل المثال ما يعتمد على النشاط الاقتصادى السائد فيها ، وهو ما ستتناوله هذه الدراسة .

وربما يعتبر التقسيم التالى من أهم التقسيمات التى تتناول نشاط السكان الاقتصادى :

حرفة الجمع والالتقاط .

حرفة الصيد والقنص .

حرفة الرعى .

حرفة الزراعة بنوعيها (البسيطة والمكثفة) .

الصناعة والتعدين .

---

(١) د . محمد عوض ، المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢) Seligman C.G., : Races of Africa, Oxford University Pres, 1968 p. 5.

وعلى الرغم من شمول هذا التقسيم ، الا أنه تعوزه الدقة ، اذ أن هناك شعوبا تجمع بين أكثر من نشاط اقتصادى واحد ، ولذلك يصعب وضع حدود فاصلة بين تلك الأنماط الاقتصادية • ومع ذلك فان هـذا التقسيم يمكن اعتباره صحيحا الى حد كبير اذا أخذنا فى الاعتبار نمط النشاط الاقتصادى السائد فى مجتمع ما أكثر من غيره •

* * *

وتعتبر هذه المقالة بداية لسلسلة دراسات عن شعوب أفريقيا تعتمد فى تقسيم شعوبها على النشاط الاقتصادى السائد فيها •

وتعرض هذه الدراسة :

١ ــ صيادو السافانا :

(أ) البشـــمن •

(ب) سانداوى ، كنديجا وبقايا شعوب أخرى •

(حـ) برج دامـــا

٢ ــ صيادو الغابات الأصليين (الأقزام) •

وسيعقب ذلك سلسلة من الدراسات عن شعوب أفريقيا (*) لما لها من أهمية كبيرة ، حيث أنه ما زال هناك نقص كبير فى المراجع العربية بالنسبة للدراسات الأفريقية وبصفة خاصة أنثرويولوجية أفريقيا •

وتواجه الباحث فى أنثرويولوجية أفريقيا عـــدة مشـــكلات : أولها وأخطرها هى الندرة غير العادية فى المراجع ، فعلى الرغم مما كتب عن كثير من شعوب القارة ، وبالرغم من التخصص الدقيق لبعض الكتاب فى شتى فروع الحياة بالنسبة لهذه الشعوب ، الا أن الأمر يختلف فيمـــا يتعلق بالبشمن والأقزام وبقايا الشعوب الأخرى • فالمادة المتاحة حتى الآن عنهم تعالج الموضوع بشكل عام وسريع ، كما أن ندرة المراجـــع

(*) انظر نهاية المقال .

لا تقتصر على الكتب العربية فقط ، بل تتعداها الى الكتب والمراجع الأجنبية أيضا • وثانيها : هى قلة الدراسات الحديثة عن البشمن والأقزام • وحتى المراجع الموجودة — مع ندرتها — ترجع الى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، والتى يرجع الفضل فيها ليس الى المتخصصين من الأنثروبولوجيين وانما الى الرحالة والمبشرين وقد أخذ عنهم أغلب من كتبوا حديثا •(*)

١ — صيادو السافانا

تعتبر حضارة صيادى مناطق السافانا بأوروبا وأفريقيا أقدم حضارة يمكن أن يتحدث عنها علماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا وما قبل التاريخ • وبالنسبة لأفريقيا ينتشر صيادو السافانا فى الجزء الجنوبى الغربى من القارة فيما بين صحراء ناميبيا جنوب أورنج الى كونيز وأنجولا • وتقتصر هذه المناطق على البشمن وبعض الهوتنتوت كما تنتشر بقايا بعض شعوب الصيد أمثال (سنداوى وكنديجا ، وندوروبو

(*) اتيحت لى الفرصة ان اطلع على هذه المراجع النادرة والمتوفرة فقط فى المعاهد المتخصصة أثناء دراستى فى المانيا الغربية ، ومنها :

Schneider, W. : Die Religion der afrikanischen Naturvolker. (Westf.) 1891.

Schmidt, P.W. : Die Stellung der pygmaenvolker in der Entwicklungsgeschichte des Menschen. Stuttgart, 1910.

Baumann, H. : Vaterrecht und Mutterrecht in Afrika. In Zeitschrift fur Ethnologie 1926.

Schapera, I. : The Khoisan Peoples of South Africa. London 1930. P. 57-64.

Schebesta, P. : Bambuti. Leipzik 1932.

Frobenius, L. : Kulturgeschichte Afrikas. Zurich 1933.

Baumann, H.u. Thurnwald, R.u. Westermann, D. . Volkerkunde von Afrika. Essen 1940.

Bernatzik, H.A. : Afrika, Handbuch der Angewandten Volkerunde. Hrsg. von H.A. : Bernatzik innsbruck. 1947.

Seligman, C.G., Races of Africa, London 1957.

Murdock, G.P. : Africa, its people and their culture history. New York 1959.

(Sandawe, Kindiga, Ndorobo) فى شرق أفريقيا ، و (واتــا ، ودوم وبــونى Wata, Dume, Boni) فى الشــمال الشرقى ، وينضم لهذه المجموعة بعض جماعات الصيد ذوى اللون الفاتــح مثل (مهالبى Mahalbi) بين النيجر وبحيرة تشاد .

ويصف باومان (1) حضارة هذه الشعوب العريقة فى القدم ، وبصفة خاصة طقوس الصيد وطرقه مثل : أقنعة الصيد ، وتسميم أماكن المياه ، وعصى الرمى ، والخنادق ، واخفاء السهام المسممة فى أعشاش النعام ، وجرح الحيوان ، ومطاردة القنيصة والصيد بالكلاب ، وأخيرا عصــا الحفر مع الحجر الثقيل . كما يصف ملابسهم بأنها عبارة عن مآزر أو أحزمة من الجلد وأغطية تستر العورة وعلاوة على ذلك فهم يستخدمون أدوات زينة من بيض النعام أو القواقع ، ويحملون أقواسا وسكاكين ومقاليع ورماحا . والمسكن عبارة عن مصدات رياح وأكواخ دائــرية بدائية من فروع وأوراق الأشجار والحشائش .

وكان التنظيم الاجتماعى قديما يتكون من أعضاء جماعة الصــيد يرأسهم أكبرهم سنا كقائد ، ولكن تلك الجماعة أصبحت تتبع مبدأ آخر هو مبدأ الأقوى جسمانيا . وترتبط حفلات التكريس التى يسمح مــن خلالها للفرد أن يندرج تحت جماعة الصيد بظهور الأشباح فى الادغال حيث يلقن أسرار فن الصيد التى ترتبط بطقوس سحرية مختلفة ، يقودها أصغر رجل فى جماعة الصيد . وتعتبر العصا الســحرية من أدواتهم المختلفة التى تحمل معنى عقائديا . ولا يعرف صيادو السافانا تقديس الأسلاف والأرواح فى معتقداتهم الدينية ويحل محلها فى المقدمة تصورات سحرية عن الميت الذى يتحول الى شبح ويبقى جثمانه ـ فى نظرهم ـ حيا ، ولديهم أيضا أساطير حيوانية متطورة تتكون من مجموعة مــن أشــكال الحيوانات تتمثل فى الجان وأشباح الأدغال . ويعتقد أولئك الصيادون فى اله أعظم ، كما يقدسون القمر أيضا . وقد أدى هذا التقارب

(1) Baumann, H. und Thurnwald, R., and Westermann, D. : Völkerkunde Von Afrika. Essen 1940.

بين الانسان والحيوان والحياة الجماعية المتجاورة والرابطة العميقة بينهم الى تكوين أفكار توتمية (*) تؤكد الموقف الروحى لهؤلاء الصيادين فى العصر الحجرى .

(أ) البشمن (**)

لا يمكن أن نتوقع أن يقابلنا اليوم ممثلون لشعب من شعوب العصر الحجرى ينتمون الى سلالة نقية وغير مختلطة .

فعندما حل الهولنديون فى منتصف القرن التاسع عشر بالاقليم الذى توجد به الآن مدينة الكيب ، كان يسكن هذا الاقليم جنسان . أحدهما أطول قامة ويعيش على رعى قطعان الماشية وهو ما يعرف الآن باسم الهوتنتوت أما الجنس الآخر فكان يعيش على الصيد والجمع وقد أطلق عليه الهولنديون اسم البشمن [1] . ويؤدى التشابه الكبير بين البشمن

(*) التوتم لدى الشعوب البدائية حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية تعتبر رمزا لهم وتشعر الجماعة أنها مرتبطة به . انظر :

Der Kleine Brockhaus in zwei Bänder, F.A. Brockhaus Wiesbaden 1962 Zweiter Band L-Z. P. 545.

(**) هذا الاسم مشتق من الكلمتين الانجليزيتين Bush-men ومعناها رجال الأدغال ، ويستعمل نفس الاصطلاح باللغة العربية ، لأن الاسم الشائع الانجليزى الأصل قد أصبح علما . ويميل الكتاب الى اعتبار البشمن أقدم الأجناس فى القارة الأفريقية . وليس له مثيل فى اية قارة أخرى، ولاشك أنه كان أوسع انتشارا من الوطن المحدود الذى يعيش اليوم فى بيئة ليست أفضل البيئات لحياة الصيد ، والبقايا الأثرية تشير الى أنهم جاءوا من الشمال حيث كانوا منتشرين فى مساحة كبيرة فى الأقاليم المدارية شمال وجنوب خط الاستواء (.)

(.) Seligman, C.G., : Races of Africa, 1966 p. 11.

سيلجمان ، س ، ج : السلالات البشرية فى أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢١ .

د . محمد عوض : الشعوب والسلالات الافريقية ١٩٦٥ .

(١) أطلق الهولنديون على البشمن اسم Bosjesman وهو يعنى الذى يسكن خلف ال bosjes أى الاكواخ المجدولة من الفروع (*) .

(*) Der Kleine Brockhaus, Erster Band 1961. p. 632.

Bernatzik, 1968, p. 186-199,

Hirschberg, W., 1965, p. 30, 33.

ويقدر عدد البشمن الى عام ١٩٦٥ بحوالى ١٠٠٠٠ نسمة .

والهوتنتوت الى جمعهما فى سلالة واحدة تسمى سـلالة الخواسـان Khoi-San (١) وهى كلمـة مشتقة من خـوا Khoa وهو الاسم الذى يطلقه الهوتنتوت على أنفسهم وسان هو الاسم الذى يطلقونه على البشمن • ويشبه الهوتنتوت البشمن فى معظم صفاتهم الفيزيقية ولكن هناك فارقا رئيسيا بينهما وهو طول القامة ، والصفات الزنجية أكثر ظهـورا عنـدهم مما هى عنـد البشمن ، والرأس أكثر استطالة • ويظهر هناك اختلافا آخر فى حضارة الجماعتين ، فالهوتنتوت رعاة يربون البقر والأغنام ويصنعون من الحديد أدوات ورماحا وسهاما، ومن الخشب أوانى وصحونا وينسجون الحصير ويستعملون من الجلود قربا للماء وأوعية لحفظ اللبن (٢) • وأوضحت أبحاث أطوال الأجسـام التى أجريت على البشمن أن متوسط طول القامة ١٤٤ سنتيمتر ، والبشمن الذين يسكنون الشمال أطول من الجماعات التى تعيش فى الجنوب • وعموما فان لون البشرة لديهم يميل الى الأصفر الباهت أو البنى المشوب بالحمرة ، وكلها صفات تشير الى درجة من الاختلاط مع الزنوج المجاورين ذوى الألوان الداكنة • ومما يلفت النظر فى قسمات وجوههم التجاعيد الشديدة حتى لدى الاشخاص صغار السن أيضا ، والشـعر طفيف ، ويغطى الرأس واليدين والقدمين شعر أسـود قصير لولبى مجعد يبدو كما لو كان مزخرفا ويطلق عليه شعر « مفلفل » ، ويغلب على النسـاء دائما بدانة الأرداف ، وكذلك غلظ الشفاه(٣) (أنظر الصور) • (*)

---

(١) Khoisan هو الاسم العلمى العام للهوتنتوت والبشمن ، حيث يجمعها وحدة لغوية وحضارية : Seligman, 1960 P. 16. محمد عوض ، ١٩٦٥ ص ٣٧ ، سيلجمان ١٩٥٩ ترجمة يوسف خليل ص ٢٨ •

(٢) Seligman, 1966, P. 18.
محمد عوض ، ١٩٦٥ ص ٣٩ ، سيلجمان ١٩٥٩ ترجمة يوسف خليل ص ٣٠ •
Seligman, 1968, P. 12, Bernatzik, 1966, P. 187. ١٩٦٥ ص ٣٠ ،

(٣) سيلجمان ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢٢ ، محمد عوض

(*) تحت رقم (١) •

ويعتبر اصطلاح البشمن اسم جنس يضم عددا من جماعات العشائر المختلفة وتقسم تلك المجموعات الى شمالية ووسطى وجنوبية :

تشمل المجموعة الشمالية : الكوين Kauen شمال الواحة ، وفى الغرب واحة نجامى وتضم « اكـوا ، أوزان ، ماكوكاو » • ويطلق عليها عادة أوين أو أونين Auin, Aunin ويقدر عددهم بحوالى من ٥٠٠ — ٦٠٠ نسمة ويمت الكونج Kung فى الشمال اليهم بصلة قرابة قوية • ويقسمون الى : « أجوا وأجوا ، نوجو وكنجو » (Ogowa, Agau, Nogau, Kungau) ويعيش الى الشمال منهم فى جنوب أنجولا : « الجـاى كو Gei Ku أو أوكو oku وهـذا يعنى « شعب الغـابات » ، ويسمون غالبا أوكنج O Kung ويسميهم زنوج البانتو باخانكالا أوفانكالا Bakhankala, Vankala فى الغرب ، وبازوكوفويرا Basukuwera فى الوسط ، وفسهكلى Veshekeli فى الشرق ، وهم ينتمون حاليا الى الاقزام • ويوجد أخيرا الهيوم أو الهايكوم Heiom, Heikum وهم يتكلمون الناما (لغة الهوتنتوت) وقد تأثروا كثير بالهتنتوت • (*)

وتشمل المجموعة الوسطى : العشائر الموجودة فى الجزء الأكبر من بلاد البتشوا — التى كانت توجد تحت الحماية الأجنبية — وخاصة فى شمال ووسط كلهارى • ويمتـد الاقليم المتسـع للأيكون Aikwe أونارون Naron من زاندفونتين Sandfontein فى الغرب الى غانزى Ghansi فى الشمال الغربى وأكوا Okwa فى الجنوب الشرقى • ويتصل بهـم بصـلة قرابة التساوكوى Tsaukwe وتسونكوى Tsonkwe وأمكوى Amkwe وجكوى Gikwe شمالا وشرقا الى نهر نجامى • والى جانب ذلك توجد أرض المستنقعات أكوانجو التى يسكنها البشمن التانكوى Tannekwe • ويسكن أخيراً فى الشمال على المستنقعات بين نهر أكوانجو وكواندو Okowango, Kwando الهوكوى كما يسكن الجاليكوى Galikwe فى

(*) انظر الخريطة المرفقة .

الشرق بين كواندو السفلى وزمبيزى وربما الى داخل شمال غرب روديسيا أيضا • وينتمى أيضا التسريكوى Tserekwe والدوكوى Dukwe والكاباكوى Kabakwe الى المجموعة الوسطى فى الجنوب الشرقى من نهـر نجامى • ويقطن الى الشرق منهم الاوهكوى Ohekwe أو ماتيتة ويمت الماهورا Mahura اليهم بصلة قرابة وهم ينتشرون على البوتلتلى السفلى وعنـد نهـر كومادو • ويسـمى الهيتشفارا Hiechwara أنفسهم مرة أخرى باسم البشمن الذين كانوا يعيشون فى منطقة تاتيدى على الحدود الشرقية لبلاد البتشوا وحتى مناطق حدود جنوبروديسيا ، وهم يعرفون عادة باسم ماسروا Masarwa (انظر الخريطـة) •

وأما البشمن الجنوبيون وبشمن الكيب فقد انقرضوا اليوم تقريبا(١) وربما ترجع تسمية هذه الجماعات الى أسماء مشتقة من أجداد قدامى ، وتزعم كل جماعة الانتماء الى جد من هؤلاء • ولا يوجد لديهم نوع من السلطة المركزية تستطيع أن تفرض أى نوع من القرارات أو الأوامر على الجماعة أو العشيرة كلها • وتمتلك كل عشيرة مساحة من الأرض معترف بها ولها فى داخل هذه المساحة حرية التجول والاستقلال ، وتفصل بين أرض كل عشيرة وما يليها حدود أو معالم واضحة ، ولا يجوز عبور هذه الحدود المحايدة الا من أجل الزيارة النادرة ، والا اعتبر اجتياز الحدود نوعا من العـدوان •

وفيما يخص لغة البشمن فقد جعلها جرينبرج (٢) Greenberg أسرة فريدة لأن بها طقطقة لا نظير لها فى لغة أخرى وقد سماها أسرة الطقطقات : The Click Family ، ويعرف بشمن الكلهارى سبعة أحرف ساكنة بها طقطقة (٣) •

---

(١) Hirschberg W., 1955 p. 33, Bernatzik H.A., 1968 p. 187.

(٢) Greenberg, J.H., Part II. Vol. XXIX Nr. 1 January 1963.

(٣) "Schnalzkonsonant" تعني حرف ساكن به طقة .
Hirshberg, W., 1965. P. 24.

اقتصـــــاد البشمــــن :

يمارس البشمن الصيد والقنص والالتقاط وهم لا يزرعون ولا يربون ماشية بل يأخذون حاجتهم من الطبيعة رأسا • والعنصر الهام فى حياتهم هو البحث عن الطعام • ويختلف طعامهم حسب البيئة التى يعيشون فيها ، وحسب فصول السنة ، ولذلك يكون معظم الطعام أحيانا من الصيد وأحيانا أخرى يكون أكثره نباتا وأشياء أخرى تجمع أو تلتقط •

ويصيد البشمن الوعول والغزال (١) كما يمارسون الصيد بالمطاردة ، فيطاردون الفريسة ويتبعونها الى أن ترهق وتقع ثم يقتلونها • وهم يستخدمون غالبا أقنعة الصيد من جلد النعام وفرو الظباء ، ويقترب الشخص بهذا الملبس من الحيوان حتى يتم اصطياده ، ويحفرون الخنادق ويسممون السهام (٢) ، كما تدرب الكلاب أحيانا على الصيد ، وأما صيد السمك فيلعب دورا ضئيلا جدا لدى البشمن • وبينما يذهب الرجل للصيد ، تجمع المرأة الجذور والدرنات والأبصال الصالحة للأكل ، وهى تبحث عن الغذاء النباتى بالحفر بواسطة عصا الحفر ، وما تجمعه المرأة يكون غذاء حيويا بجانب غنائم الرجل التى هى دائما ضئيلة • وهكـــذا يتعاون الجنسان للحصول على الغذاء • ولديهم وسيلة هامة للصيد عبارة عن عصا طويلة يثبت بطرفها ثقل من الحجر (٣) وبالطرف الآخر سنارة حيث تسحب بها الحيوانات من جحورها مثل النمل والقنـــفذ الكبير والأرانب وكذلك بواسطة الدبـــوس(٤) ، وأحيـــانا يحتفظ بالفرائس الصغيرة داخل الحفر ثم تستخرج بعد ذلك •

المسكن : عبـــارة عن مصدات ضد الريح أو أكواخ شبه دائرية(٥)

(١) انظر الصورة رقم (٢ ــ أ)

(٢) انظر الصورة رقم (٢ ــ ب) •

(٣) انظر الصورة رقم (٢ ــ جـ) •

(٤) الدكتور محمد عوض ١٩٦٥ ص ٣٤ ، سليجمان ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢٤ ،

Seligman, 1968 P. 13. Bernatzik, 1968 p. 87 Hirschberg 1965.

(٥) انظر الصورة رقم (٣) •

تقيمها النساء من الحشائش وفروع الشجر بالقرب من منبع ماء غالبا • وتختلف الأكواخ فى الحجم والشكل من عشيرة لأخــرى ، وهى أبسط أشكالها عبارة عن مأوى ارتفاعه نحو متر ونصف المتر • وتعيش العشيرة فى شبه معسكر كبير فى شكل دائرة كبيرة ، بحيث تكون أكواخ المتزوجين منفصلة بعضها عن بعض ، ويكون كوخ الزعيم عند بعض القبائل بعيدا عن الدائرة ، وفى وسط المعسكر توجد شجرة يجتمع عندها الرجال وتقام حولها الحفلات • ويعيش الأولاد والبنات فى كوخ صغير بالقرب من كوخ الأبوين الى أن يبلغوا سن الرابعة ثم يفصل الأولاد عن البنات فيما بعـــــــد (١) •

الملبــــس : لا يستعمل البشمن من الملابس الا القليل ويصنعونها من جلود الحيوانات فيلبس الرجل قطعة من الجلد مثلثة الشكل تشـــد وسطه وتستر عورته (٢) ، وترتدى المرأة ازرارا صغيرا من الأمام وآخر أكبر منه من الخلف (٣) ، وتزيد المرأة المتقدمة فى السن علاوة على ذلك مئزرة أخرى تتدلى من الكتفين على الظهر وتسمى «كاروس Kaross» وهى عبارة عن عباءة قصيرة من فراء نوع من التياتل تحيكه وتزركشه ، وتتخذ منه فى النوم غطاء ، ويلبسه كلا الجنسين ، وعباءة المرأة أكبر لأنها تربطها حول الوسط وتحمل فيها الأطفال والأشياء التى تجمعها من الارض وأخشاب الوقود وأما الاطفال فيسيرون عراة عادة (٤) • ويغرم البشمن

---

(١) محمد عوض ١٩٦٥ ص ٣٢ ، ٣٣ ، سيلجمان ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢٤ ،

Seligman, 1968. P. 16, Bernatzik. 1968 P. 199, Hirschberg, p. 161.

(٢) الصورة رقم (٢ — ج)

(٣) الصورة رقم (٣ — ب)

(٤) Seligman, 1968, p. 14, Bernatzik, 1968, p. 188, Hirschberg, 1965

سيلجمان ، ١٩٥٩ ، ترجمة يوسف خليل ص ٢٥ ،

بيج ، ج : الشعوب البدائية فى وقتنا الحاضر ، ترجمة محمود محمد مرسى •

بالتزين رغم (١) الفقر الشـــديد • وتعتبر السلاسل الطـــويلة المصنوعة من قشر بيض النعام سلعة تجارية قديمة وما زالت حتى اليوم • وعلاوة على ذلك يولع البشمن بحلقات اليد الرفيعة المصنوعة من الخشب وحلقات جلدية أخرى مصنوعة من شرائط من الجلد وغيرها كأدوات للزينة • كما تتزين بعض القبائل بمساحيق سوداء وحمراء توضع على الوجه بصفة خاصة ، كما يستخدم الرماد لتضميد الجروح • ويمارس أيضا الوشم كوسيلة للتزين • وفى قبيلة « نارون » يقوم كبار القوم بوشم الصياد الناجح مقابل هدية يقدمها لهم مما اصطاده •

ومن أوانيهم وأدواتهم نجدهم يستخدمون أكياسا من الجلد لحفظ ما يجمعونه من الطعام ويوضع فيها أيضا أدوات اشعال النار (٢) والحبال، ويستعمل بيض النعام المزين برسومات زخرفية لحفظ الماء الذى يتم سحبه من باطن الارض بطريقة خاصة (٣) • وتسحق المرأة الفـــاكهة المجموعة فى هاون خشبى • ويحفظ البشمن سهامهم المسممة بعناية فى كيس أو وعاء من الخشب أو الجلد • وهم يستخدمون أساسا أقواسا وسهاما كأسلحة ونادرا ما يستخدمون الهراوات كما يستخدمون الرماح المأخوذة عن جيرانهم • ولديهم ما يسمى بمسدس البشمن الذى لايستخدم كسلاح ولكنه أداة سحرية يتكون من أقواس وسهام صغيرة مناسبة • أما سهام الصيد وأقواسه المسممة فلها طرف من الخشب أو العظم ، ونادرا ما تصنع من الحديد (٤) • ونذكر بخصوص الآلات الموسيقية

(١) الصورة رقم (١ ــ د) •

(٢) عصى خشبية خاصة لاشعال النار ، ويتم توليد النار بطـــريقة احتكاك هذه العصى ، وعندما يشعلونها تترك مشتعلة بصفة مستمرة (•) Seligman, 1968 p. 13.

(٣) لقد جعلت الحاجة من البشمن مخترعين ، فهم يستخرجون الماء نقطة بنقطة من الرمال المبتلة بصعوبة بالغة بواسطة مواسير بطرفها مرشح من الحشيش (انظر الصورة رقم ٤) •

(٤) اذا وجدت بعض السهام والاقواس ذات الاطراف الحديدية فتكون قد أخذت عن جيرانهم فالبشمن لا يصنعون الحـــديد . وربما يكون البشمن أيضا قد حاولوا فى بعض الأحيان صناعة الأوانى ولكنها محـــاولة يائســـة •

قوس الموسيقى ، ومن الآلات التى تستخدم فى طقوسهم السحرية، العصا الالهية والعصا السحرية وهى تلعب دورا هاما كأداة طقسية فى المراسم الدينية •

وغذاؤهم : عبارة عن الحيوانات الصغيرة التى تصطادها المـرأة ، والخضر والفاكهة التى تجمعها ، ومما تجمعه النساء أيضا بيض النمـل الأبيض أو أرز البشمن الذى يقلى على النار مع قليل من الدهن ، ويجمعن أيضـا الديـدان والحشرات والجراد والضفادع والسحالى والثعابين والسلاحف ، كما يجمعن جذور الأعشاب ويحتفظن بها لاستعمالها فى فصل الشتاء،وتصنع المرأة ما يشبه الخبز من لباب نوع من النخيل أو من جذور نوع من النباتات •

ويقوم الرجال بجانب صيد الحيوانات بجمع العسـل ويذهبون فى البحث عنه الى أى مكان غير مبالين بارتفاعه ، ويصنع البشمن من العسل البرى نوعا من أنواع الخمر تعلموه من الهوتنتوت(١) •

وفيما يخص البناء الاجتماعى للبشمن : فلا يوجد لديهم نظام عشائرى واسع ، ولا يعرف أحد ما اذا كان يوجد لديهم غير ذلك فى يوم ما ، كما لا يوجد لديهم أيضا زعيم قبيلة متعلم ، وحتى لو وجد فانه يعتمد على قيادة أجنبية كما هو الحال عند الكونج والهايكوم Kung. Heikum ويمتلك الأخيرون أيضا صفة مميزة وهى ارتباط زعيم القبيلة بالنـار المقدسة ، التى لا يجب أن تطفأ أبدا • وتظهر جماعة الأسرة والجماعـة المحلية عند البشمن كوحدة اجتماعية مهمة • ويكون قائد مثل هذه الجماعة هو غالبا أكبرهم سنا ومعرفة ودراية • وتمتلك كل جماعة من هـذه الجماعات اقليما معينا للصيد والجمع ، والتى لا يمكن تخطيها الا تحت ظروف معينة ومسبقة فقط • وتستمـد الأسرة سلطتها دائما فى الخط الأبـوى •

ويعيش الرجل لدى البشمن غالبا مع زوجة واحدة Monogamy ولكن تعدد الزوجات عندهم Polygamy مسموح به • ولو ظهرت

(١) Meyers Handbuch Uber Afrika, 1972, p. 283.

هناك بعض حالات النظام الأموى فانها ترجع الى تأثير أجنبى • ووجود نظام الزواج الخارجى (الزواج من خارج الجماعة Exogamy) يرغم الرجال على الزواج بزوجات من جماعة أخرى غير التى ينتمون اليها • وليس لديهم حفلات معينة للزواج (١) •

فاذا أراد أحدهم الزواج اختار عروسة من الجماعات المجاورة وفى يوم الزواج يهديها ازرار من جلد الحيوان،وفى بعض القبائل يصيد العريس قنيصة من بقر الوحش أو غزالا يقدمه لوالد العروس أو للعروس نفسها لاقامة وليمة العرس ، وأثناء الاحتفال بالزواج يمسك العريس بعروسه فيهجم عليه ذووها شارعين أسلحتهم ، وعلى الزوج أن يثبت ويتلقى الضربات ويظل فى الوقت نفسه متشبثا بعروسه لا يتخلى عنها • واذا أفلح فى ذلك انصرفوا عنه وتم الزواج والا فعليه أن يجتاز التجربة نفسها مرة أخرى • وبعد الزواج يقيم العروسان بضعة أسابيع مع أهل العروس ثم ينتقلان معا الى حيث يقيم أهل الزوج • وينتسب الأولاد لأبيهم • وتتزوج الأرامل عادة مرة ثانية ، ويكون الزوج الثانى مسئولا عن أولادها ، فاذا ظلت الأرملة بغير زواج فان من المنتظر أن يمد لها أخ الزوج المتوفى يد المساعدة (٢) •

وعندما يولد طفل جديد يحتفلون بمقدمه بالغناء والرقص وكذلك يفعلون فى يوم الاحتفال بتسمية المولود الجديد ، وتتم ولادة الطفل عموما فى الأدغال ثم ترضع الأم طفلها حتى الثالثة أو الرابعة من عمره ، فاذا حدث أن ولد طفل آخر قبل فطام الرضيع ، فان مصير الوليد الجديد الوأد عادة(٣) ولا يعترف ببلوغ الأولاد مبلغ الرجال الا اذا اجتازوا فترة تمرين وتدريب خاص ، وفى هذه الفترة يتم تشليخ جبين الولد بعلامات خاصة بالأسرة • وتعمل بعض العشائر تكريسا خاصا بالأولاد

---

(١) Bernatzik, 1968, p. 188. Meyers Handbuch uber Afrika, 1962, p. 306

(٢) Seligman, 1968. P. 14.

(٣) Seligman, 1968 P. 15

(تكريس الشباب) ، وهى ترتبط غالبا بتجارب الشجاعة والقوة • ولقد عرفوا حفلات التكريس التى يتم فيها ختان الأولاد تحت تأثير أجنبى وتقام للبنات حفلة عائلية صغيرة عند وصولهن سن البلوغ(١) •

وفى حالات الوفاة : تدفن جثة الميت قرب الكوخ فى وضع النائـم وتوضع معه جميع ممتلكاته ثم توضع الحجارة على القبر لتبعد عنـه الحيوان • ويخاف الانسان من الاموات والاشباح ويفر هاربا من أماكن الأموات • وعادة ترك المكان ووضع الاحجار على القبور عادة قديمة ترجع الى عصور ما قبل التاريخ • وتنتشر هذه الأحجار فى كل بـلاد الكيب وكلها رى • (مقابر هايتس أيبيب Heitsi-eibib) وما زال البشمن يحتفظون بهذه العادة حتى فى الأماكن الفقيرة بالأحجار • ويستمر الميت فى معتقداتهم كشبح أو كجنة حيه • ولا يعرف البشمن تقـديس السلف ، وهو يعامل موتاه بشكل مختلف تماما عما هو عند الزنوج(٢) ولا تعود الجماعة الى مثل هذه البقعة الا بعد عامين • وتمارس بعض العشائر نوعا من تحنيط الموتى وذلك بطلاء أحمر ، وتبخر الجثة بعـد ذلك وتدفن غالبا فى مكان منخفض •

المعتقدات : ان المعرفة بتفاصيل معتقدات البشمن الدينية ضئيلة جدا ، وتظهر تلك المعتقدات فى صورة معقدة جدا اذ تختلط تخيـلات الاعتقاد فى قوى خفية والاعتقاد فى الأرواح بالأفكار السحرية ؛ ولكن قد نجد أحيانا آثارا لتقديس القمر وغيره من الأجرام السماوية ، وقد نسجوا حولها سلسلة من الأساطير والخرافات ، كما يعتقدون فى بعض الكائنات الخرافية التى تختلف مسمياتها بين عشيرة وأخرى ، مثل كانج وخووتورا (Kaang, khu, Thora) ، وجوناب (Gaunab) ، وفى اعتقادهم أن هذه الكائنات تمثل قوى الطبيعة ، وهناك مجموعـة أخرى من تلك الكائنات تمثل أشباح الغابة والصيد ، وجالب الصحة ،

---

(١) Bernatzik 1968 p. 188, Hirschberg, W. 1965. p. 177. Meyers Handbuch über Afrika 1962, p. 306

(٢) Bernatzik, 1968, p 188, 199; Seligman 1968 p. 15.

وآلهة الخلق ، وهي تظهر غالبا فى صورة حيوان وتلعب دورا كبيرا فى جلب الأرواح الشريرة والرعد والعاصفة والبرق وقتل الناس • ومع ذلك فالسائد عندهم هو العقائد السحرية • والأمراض التى يسببها السحر الضار أو الأرواح الشريرة تعالج بوسائل ومعاملات سحرية بصفة خاصة • ويوجد بينهم من الرجال والنساء من يدعى التطبيب عن طريق السحر • وللمطبب أو للساحر مركز مرموق ، وهو الذى يبادر بانزال المطر ويسحر الحيوانات ، وهو يمارس غالبا بقدرته السحرية التى يمتلكها تأثيرات شريرة على الحيوانات وعلى البشر أيضا (١) •

يطرح ما يسمى بفن البشمن سوء الا خاصا : يتعلق بالأعداد الهائلة التى خلفها البشمن من الأحجار المنحوتة التى وجدت فى جنوب أفريقيا • فقد وجدت عليها رسوم لمناظر رائعة • وهى فى الغالب دراسات متعددة الألوان ذات قيمة فنية كبيرة ، ولقد كان الاختلاف فى الشكل والعمر مجالا لأبحاث عديدة ، وحتى اذا لم يقبل أحد أن ينسب جميع نقوش الاحجار ورسوم الكهوف فى جنوب أفريقيا الى البشمن ، فانها ربما تكون واحدة منها ، حتى وان كانت تمثل جزءا ضئيلا فيها ، ومن هذه الناحية يمكن أن نتحدث عن فن البشمن • لقد قدم فن البشمن فى أوج تطوره رسوما لحيوانات متوحشة واغارات على الماشية (*) هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى ، قدم مناظر دينية سحرية وهى تمثل آدميين تنكروا فى شكل رؤوس حيوانات • وتمثل النقوش من ناحية ثالثة نباتات وأشكالا هندسية • وأفضل العروض هى التى تصور الطبيعة الكبيرة • وما تمثله تلك الرسوم هو حياة الناس وكذلك الحيوانات التى كانوا يصيدونها ويتغذون على لحومها • وتختفى مثل هذه النقوش الحجرية من مدينة الكيب شمالا الى زمبيرى ، ومن الجبال المحيطة جنوب غرب أفريقيا الى الحدود الشرقية من جنوب روديسيا • ويذكر أوبرماير Obermaier (٢) وهو واحد من أحسن العارفين بفن البشمن فى منطقة

---

(١) Seligman, 1968 P. 15

(٢) Obermaier-Kühn : Buschmennkunst. Berlin, 1930.

(*) انظر الصورة رقم (٥)

نهر تنجانيقا ، أنه فى الوقت الذى لا يتشابه فيه فن الصور الحجرية لافريقيا الصغرى فى الجزائر مع فن البشمن من ناحية الشكل والمحتوى ، نجد فى وسط وشمال أفريقيا تعبيرا فنيا شبيها بنمط البشمن ، ولكن التوقيت الزمنى ليس بسيطا • لقد وصل فن البشمن فى جنوب أفريقيا الذروة فيما يسمى « عصر ولتون » ولقد سميت حضارة ولتون تبعا للمكان الهام اكتشفه ولتون عند مدينة جراهام ، وكان حاملو هذه الحضارة قريبى الشبه بالبشمن منهم جامعو طعام ، وصيادو أسماك وقناصون • وقد استعملوا أدوات حجرية وعظمية ، مثل ما كان يستخدم فى العصر الحجرى القديم • وعندما أتى الاوربيون الاوائل الى جنوب أفريقيا كان البشمن ما زالوا يعيشون فى مرحلة ولتون هذه ، وكان ذلك فى القرن السادس عشر الميلادى ، وتدل جميع هذه المكتشفات دائما على وجود صلة قرابة بالبشمن • ومن هنا نستطيع أن نبحث عن أسلاف البشمن الحاليين بين هذه الجماعات البشرية القديمة جدا • ويكاد لا يبقى اليوم من الفن الزخرفى سوى تلك النقوش التى يزينون بها بيض النعام الذى يحفظون فيه الماء (١) •

• • • • • • • • • • •

ان هذا الموضوع يتعلق بشعوب تحمل طابع القدم العريق والعظيم • فهم عبارة عن جماعات تمارس الصيد والقنص والجمع والالتقاط ولهم حضارة خاصة وتقاليد معينة استطاع بعض العلماء أن يصفوها ويسجلوها مثل باومان هارتمان ووسترمان وشابيرا وسيلجمان Baumaun, H., Westermann, Schapera, Seligman. ورغم البساطة والفاقة التى يعيشون فيها نجد لديهم طقوسا معينة يمارسونها وأدوات وفنون فى طرق الصيد ، وملبسهم يتفق وموارد بيئتهم الطبيعية • ومهما كانت

---

(١) Seligman, 1968, P. 16, Bernatzik, 1968 P. 199 Hirschberg, 1965, p. 205, Meyers Handbuch über Afrika, 1962 p. 332.

حياة الصيد مجهدة مضنية ، وغير محمودة العاقبة دائما ، فانها هى الحياة التى يمارسها البشمن ، ولا يخطر لهم ببال أبدا أن يلجئوا الى الزراعة أو الى تربية الماشية كوسيلة من وسائل المعيشة وقد اكتسبوا بتجاربهم مهارة فى الصيد ، وفى معرفة طبائع الحيوانات ، وتتبع آثارها فى الصيد ، ولهم قدرة على احتمال الجهد والمشقة والجوع ، واستخراج كل شىء تشتمل عليه البيئة •

وهم مازالوا الى يومنا هذا على معتقداتهم الأصلية من عبادة القمر وتقديس بعض الموجودات الأخرى المرتبطة بحيوان معين أو نبات (توتم) •

ورغم التطور السريع الحادث فى العالم اليوم والانتشار الثقافى بوسائله المختلفة ، نجد أن هذه الشعوب ما زالت تعيش فى عزلة تامة مما جعلها تبقى على القديم ، وربما كانت البيئة الطبيعية بغاباتها وأنهارها هى التى حالت بينهم وبين العالم الخارجى • هذه الجماعات تعتبر بقايا شعوب لأنها فى طريقها الى الانقراض ، ومن هذه الناحية فهى جديرة بالدراسة والبحث لأنها تمثل مرحلة اقتصادية وحضارية هامة بالنسبة لتطور حياة الانسان ، وينبغى التعرف عليها أنثروبولوجيا قبل أن تندثر •

والبشمن نموذج لهذه الشعوب ويدل اسمهم « رجال الأدغال » على بيئتهم • ومع ذلك فقد اشتهروا بفنوم الجميل وبصفة خاصة النقش على الصخر فى الكهوف والأركان • ومثل هذا الفن نابع من طبيعتهم ، وهذه الموهبة الالهية ، تحتاج فى عصرنا الحاضر الى تعليم وتدريب خاصين ولها معاهد وكليات متخصصة كما أنها تستغرق زمنا طويلا حتى يتقنها الشخص ، ومع ذلك فقد تعلمها وعرفها رجل الادغال من تلقاء نفسه ، هذا الرجل الذى نطلق عليه الرجل البدائى البسيط ولقد هداهم تفكيرهم الى طرق متعددة للتغلب على مصاعب الصيد وللايقاع بالفريسة ، فحينا يلبسون أقنعة عبارة عن جلد أو فرو الحيوان المراد صيده ، وتارة يطاردونه الى أن يتعب ويقع ، كما أنهم يسممون السهام • ولديهم أيضا تقسيم واضح للعمل ، فبينما يقوم الرجل بصيد الحيوانات الكبيرة ،

وهذا عمل يحتاج الى خبره ودرايه وشجاعه لأنه محفوف بالمخاطر ، تجمع المرأة الجذور والنباتات ، فالرجل يبحث عن الغذاء الحيوانى ، وتبحث المرأة عن الغذاء النباتى وهما عملان يكمل أحدهما الآخر ، فكلا الجنسين يتعاون للحصول على الطعام • من هذا يتضح أن عامل الغذاء هـو العامل الأساسى فى حياتهم اليومية ، كما يظهر أيضا بوضوح مبدأ التعاون والتكافـــــــل •

ورغم الفقر الشديد الذى يعيشونه ورغم الحياة القاسية المحيطة بهم ، نجدهم ينتهزون الفرص للترويح عن أنفسهم ، حيث يتزينون بما يتوافر لديهم من مواد ، فيلبسون سلاسل وأساور من قشر بيض النعام ومن الخشب وشرائط من الجلد • ومما هو جدير بالذكر ويدل على أن (الحاجة أم الاختراع) طريقتهم فى الحصول على الماء من الرمال المبتلة نقطة نقطة بواسطة مواسير مثبت بطرفها قليل من الحشائش لتنقية الماء • هذا ويوجد لديهم شخصية هامة وذات مركز مرموق هو المطبب أو الساحر الذى يؤثر على الجماعة بقدرته السحرية ، فهو الذى يبادر بانزال المطر ويسحر الحيوانات وبقدرته أن يؤذى الحيوانات والبشر • من هذا يتضح أن له قوة وسلطانا تفوق قدرة وسلطان الزعيم أو رب الأسرة ، مما يجعل الجميع يحترمونه ويخشونه •

ورغم كل ما قيل عن ظروف حياة هذا الشعب وقسوتها ، فانه قانع فخور بها ولا نتوقع مهما كان مدى احتكاك البشمن بألوان الثقافـات الأكثر تقدما أن يغير من طريقة حياته البدائية تلك أو أن يتمثل غيرها من الحضارة الأوربية أو من الحضارات الأفريقية المجاورة أو أن تمـارس نشاطا اقتصاديا آخر كالتجارة أو استئناس الحيوان أو زراعة الأرض • والظاهر أنه كجنس ليس فى مقدوره للآن أن يكيف نفسه بحسب ماتقتضيه ظروفه الجديدة ، وهو لهذا شعب آخذ فى التناقص السريع ، وربمـا كان هذا التناقص أيضا راجع الى عادتهم فى الولادة والرضاعة ، حيث ترضع الأم طفلها الى سن الثالثة أو الرابعة ، واذا حدث أن ولد طفل آخر قبل فطام الرضيع فان مصيرة الوأد ومن هنا ندر وجود أسر كبيرة

العدد أيضا ، فمتوسط عدد أفراد الأسرة لدى البشمن ثلاثة أفـراد تقريبا • ومما يخشى منه على حياتهم تلاشى قطعان الحيوان البـرى التى هى قوام غذائهم ، وصدور قوانين صارمة تحرم صيد ما بقى منها من قبل حكومات الدول التى يعيشون فى ظلها ، مما اضطر البقية الباقية منهم ـ وهم أصحاب البلاد الأصليون ـ الى الاقتصار على غذاء نباتى غير مضمون ، ويعتبر هذا أيضا من العوامل المساعدة على سرعة فنائهم •

ولكنى أرى مع ذلك أن مثل هذا الشعب الذى استطاع أن يستمر فى الحياة بهذه الصورة له قوة ارادة وثبات على أسلوب حياة أجداده ، وله أيضا قوانين صارمة لا يحيد عنها وتظهر مثل هذه القوانين واضحة فى توزيع الفريسة حيث يتولى الزعيم توزيعها مع مراعاة نصيب الرجل الذى اصطادها ، وذلك طبقا لعرف محدود صارم ، وربما كان ذلك تحفيزا للرجال على الاستمرار فى الصيد ، كما أن البشمن ينتفعون بكل جـزء من الفريسة ، حتى العظام تحطم ويطهى ما بداخلها مع اللحم ، ويستعمل جلد الحيوان الحديث السن فى الملابس ، أو صنع حقائب لحمل الطعام والتبغ ، أما الجلود الكبيرة الحجم فتصنع منها الأغطية والنعال والسيور وأوتار القسى •

• • • • • • • • • • •

ب ــ سنداوى Sandawe ، وكنديجا Kindiga
وبعض بقايا شعوب أخرى

ان هناك أقوالا تشير الى أن بعض سكان شرق أفريقيا يشبهون الى حد كبير تلك الجماعات التى تعيش فى جنوب أفريقيا ، ونرى ذلك واضحا لدى بقايا شعوب شرق أفريقيا الحاليين مثل ما يوجد فى نياسالاند ، وفى اقليم تنجانيقا وعلى نهر تنجانيقا عند التوا ، وأبعد من ذلك عند سنداوى وكنديجا فى المناطق عديمة الأنهار ، وعند منجبتو ، وبارى ولاتوكا وكذلك أيضا عند مادى ونوبا فى مديرية منجالا • وتكثر بصفة خاصة عناصر الجنس القوقازى لدى السنداوى والكنديجا • ومما يقوى ذلك الانطباع من الناحية اللغوية وجود علاقات السنداوى والهوتنتوت ، والتى تتشابه من الناحية الحضارية مع البشمن فى جنوب أفريقيا • وقد جمعت جميع بقايا الشعوب هذه فى حضارة البشمن الأصلية كما ذكر ذلك باومان Baumann H. (١) (أنظر الخريطة) •

وتظهر كثير من عادات الصيد المنتشرة لدى البشمن عند جميع بقايا شعوب شرق أفريقيا مثل قناع الصيد وتسميم أماكن المياه المألوف لدى البشمن والبرج داما (جنوب غرب أفريقيا) والصومال • ولا يخبىء البشمن وحدهم السهام المسممة فى الرمال ولكن أيضا الكامبا والندوروبو فى شرق أفريقيا • وتوجد عصى الرمى والهراوات فى اقليم النيل النوبى وكردفان ، كما يوجد مسدس البشمن لدى صيادى التشكو فى أنجولا وكذلك بالنسبة لعملية الايقاع بالفريسة لدى بقايا شعوب شرق وجنوب أفريقيا مجتمعة • وهناك أيضا العصارة الحجرية وأطراف السهام العظمية ذات الأجزاء العديدة المجتمعة معا ، وأطراف السهام المثلثة الشكل لدى بشمن الكيب والهوتنتوت والكنديجا •

---

(١) Mayers Handbuch über Afrika, 1962, p. 174, Hirschberg, W., 1965, P. 35, Bernatizk 1968, P. 199.

ولا توجد اختلافات أساسية من الناحية الاجتماعية بين البشمن وبين بقايا شعوب المناطق عديمة الأنهار • ونذكر فيما عدا السنداوى والكنديجا أوهانزابى وفاجنى والواهى غرب نهر نيارا وكذلك الدوم أو الدوكو على نهر ستيفانى وكذلك البونى على جوبا السفلى وعلى الجزء السفلى لتانا، ونفس الشيء للندوروبو ، والسانجا وتشونجى ، وهى قبائل صيد صغيرة مبعثرة فى كينيا • ولعنصر الجنس القوقازى نصيب كبير لدى جميع هذه الشعوب •

وأشكال الخطوبة وعقد الزواج عند السنداوى والكنديجا بسيطة وهى تتشابه تقريبا فى كلتا الحالتين • ولم تتطور زعامة القبيلة أبدا ، كما تشكل جماعة الصيد النظام السياسى الأعلى • ويظهر عندهم الاعتقاد فى السحر ولكنه ليس بمثل قوته لدى القبائل المجاورة ، ولا يتمتع المطبب لديهم بعد كل ذلك بمركز كبير • ويرجع الختان وطقوس التكريس الخاصة به عند السنداوى والكنديجا الى تأثير حديث ، كما هو الحال كذلك بالنسبة لمرحلة فلاحة الأرض وتربية الحيوانات عند هذه العشائر ، فهى ظاهرة تطورية حديثة • وبالنسبة لمعتقداتهم يصلى الكنديجا لاله ، ربما هو غالبا فى منزلة الشمس ، وهم يتضرعون اليه بغية أن يحالفهم الحظ فى الصيد أو للحماية من الحيوانات الضارية والأمراض ، وهم يشكرونه أيضا عندما يحصلون على صيد ثمين • ولكن الكنديجا لا يعرفون الأقنعة ولا رقصاتها ، ولا يعبدون القمر والنجوم ، وأحيانا ترجع القرابين التى تقدم للسلف الى تأثير البانتو • ويلعب مفهوم تقديس السلف والأرواح عند السنداوى فقط دورا ضئيلا •

يظهر هنا لدى هذه الشعوب نمط جديد متطور بجانب نمط الصيد التقليدى ، فهم يفلحون الأرض ويربون الحيوانات ، ومما لاشك فيه ان هذا يرجع الى تأثير حضارة مجاورة نتيجة الانتشار الثقافى بطريقة أو بأخرى •

ان وجود أنماط حضارية لدى هذه الجماعات تتشابه مع حضارة البشمن والهوتنتوت لا يدل على أن هذه الانماط قد انتقلت أو انتشرت

من البشمن اليها أو أن هناك صلة قرابة بينهما ، ولكن ظهور مثل تلك الانماط يدل على أن وجود الانسان فى نفس الظروف يجعله يفكر ويخترع مثل هذه الحضارة ، فالانسان بطبيعته حيوان مفكر وليس غريبا ان يتحد فى تفكيره مع انسان آخر أمام موقف معين أو مشكلة بذاتها • ففكرة الشادوف مثلا كوسيلة لرفع الماء من مـكان منخفض الى مـكان أكثر ارتفاعا ، قد تخطر على بال أى أنسان تواجهه مشكلة رفع المياه ، وهو فى هذه الحالة ليس فى حاجة الى أن يستعير هذه الفكرة ، فاذا ظهـر الشادوف فى أكثر من مـكان لا يمكن الجزم بأنه قد ظهر أولا فى مـكان بالذات ثم انتشر منه الى باقى الأمكنة الأخرى لان نشأة هذا الاختراع تلقائيا فى أكثر من مكان ممكنة ، وما يقال عن الشادوف يمكن أن يقـال عن كثير من المخترعات الأخرى كاستعمال الأسـلحة المختلفة واستخدام القوس ولبس الأقنعة وغيرها ، وخاصـة أن هذه الجماعات تعيش منعزلة ومنطوية على نفسها •

• • • • • • • • •

جـ ــ بــرج دامــا Bergdama

اذا أدرجنا البشمن والقبائل المبعثرة التى تبدو كثيرة الشبه بهم فى شرق أفريقيا تحت فئة بقايا الشعوب القوقازية ، فان ذلك ينطبق على شعب البرج داما ــ كثير العدد نسبيا ــ والذى يعتبر الحالة الباقيــة لعنصر زنجى قديم (أنظر الخريطة) •

ويطلق على البرج داما أيضا الكفر المتوحشــين kaffern (١) وهم يسكنون جبال الأتاف وجبل المــاء وبراندبرج وجبــال الارونجــو ومرتفعات خماس وحقل كاأوكو فى جنوب غرب أفريقيا وهم يمارســون الصيد والجمع • ومنهم من يقتنى الماعز أيضا • ولا يمكن تحديد أعداد الجماعات التى مازالت تعيش هنا تحديدا دقيقا ، وقد اقتبسوا لغتهم من الهتنتوت • ويظهر أن شكل سلالتهم معقد بطريقة غير عادية فالزنجية تســود لدى الجميع ومعظمهم سود البشرة ، ويمكن ملاحظة اختــلاط الدم جيدا بالنسبة لجيرانهم (البشمن ، الهوتنتوت ، الأمبو والهررو)• ويعانى على العموم الذين يربون المــاعز من البرج داما من الظــروف القاسية أكثر مما يعانيه الصيادون وجامعوا الطعام •

ويتشابه البرج داما مع البشمن فى عادات الصيد وفى الأســلحة والاستعدادات وما شابهها • ولقد أخذوا الكثير من جيرانهم وتأقلموا فى حياتهم الخاصــة •

وعلى هذا تكون حضــارة البرج داما صورة طبق الأصل لجيرانهم من وجهات نظر متعددة ، مثل وضع القرية الدائرى الذى تتوسطه النار المقدسة ، ومنها التوصل الى طريقة مغايرة لرحلة الصيد الأولى ، وعادة

---

(١) الكفر عبارة عن اسم قديم يطلق على جنس وحضارة حامية متأثرة بالبانتو فى جنوب شرق افريقيا (تعدادهم حوالى ٦ ــ ٧ مليون نفس) وهم زراع بدائيون ومربو ماشية • (*) •

(*) Der kleine Brockhaus L-Z P. 607. 1962, Hirschberg, 1965. P. 36, Meyers Handbuch über Afrika 1962 P. 176, Bernatzik, 1968

تـــذوق اللبن بواسطة أكبر شخص فى الأسرة سنا ، وصـــنع الأوانى ووضع الزبد فى وعاء القرع العسلى ، واستخدام اللبن الرائب وغير ذلك بين القانون الأموى ، والقانون الأبوى ، كما يظهر هذا بصفة خاصة لدى كثير مما يذكر بعادات شبيهة لدى الهررو • ولما كانت المرأة تقوم بعبء حيوى كبير فى التغذية من خلال نشاطها فى الجمع ، فانها تحد من وضع الرجل القوى (كما هو الحال لدى الهتنتوت) ، وبصرف النظر عمـــا نستطيع أن نستنتجه لدى الأمبو والهررو المجاورين من وجـــود آثار القانون الأموى بصورة واضحة ، ويرث الابن الأكبر الاب ، وترث الابنة الكبرى الأم ، ومع ذلك فان البنت ترث أسم أسرة الأب بينما يرث الابن اسم أسرة الأم • ويوجد هذا التذبذب الخاص نتيجة للميول المتشاحنة الشعوب المجاورة • ويقود الشـــباب احتفالات تـــكريس فن الصـــيد المعروفة • ويظل المشتركون فى التكريس « كزملاء فى العمر » مـــرتبطين ببعضهم طوال الحياة ، وهم يكونون نوعا من طبقة العمر • وبالعكس بالنسبة للبنات لا توجد حفلات تكريس جماعية ، ومن هنا تظهر للموجود ســـيادة الرجل •

وتعيش هذه الجماعات فى شكل أسر كبيرة وتسكن كل أسرة قـــروية دائرية فى أكواخ على شـــكل قباب • ويملك الرجل السلطة السياسية والدينية فى أسرته الكبيرة • وهم لا يعرفون زعامة القبيلة ولا اتحادات العشائر • وتسير مشورة الكبار شئون القرية • ومن المعتقدات المألوفة لدى البرج داما الاعتقاد فى الأشـــباح والأرواح وتغطية الجثة بالاحجار والابتعاد عن القبر • وتعتبر كلها صفات مميزة معروفة عند البشمن • ومع ذلك يعرف الانسان فى أوقات القحط — تماما عكس الاعتقـــاد فى الأرواح — عبادة السلف وتقديم القرابين لهم على قبر الميت • ويرى باومان فى هذا الموقف الازدواجى لعبادة الأرواح — خليطا نادرا مـــن الخوف والاحترام — نمط حضارة زنجية قديمة جديرة بالملاحظة (١) ويعطى البرج داما جميعهم خليطا حضاريا منتظما حقا ، فتظهر عناصر

---

(1) Bernatzik, H.A., 1968 P. 201

الحضارة الفردية فى حاجة شديدة لأن تتوافق مع الحياة الخاصة ، بدون أن تعطى انسجاما ذاتيا لشكل عالمى ثابت • ويتضاءل نموهم الخاص تحت التأثير الشديد جدا لجيرانهم •

تظهر لدى هذه المجموعة بعض العناصر الحضارية المختلطة والتى هى مزيج بين حضارة الصيادين وجامعى الطعام وبين حضارة الزراع البدائيين ومربى الماشية ، وربما يكون ذلك نتيجة للتجاوب مع هذه الأنماط مجتمعة ، فجماعة البرج داما تسود لديهم الزنجية وهم صيادون وجامعو طعام فى جنوب غرب أفريقيا لأنهم يجاورون الزنوج والأقزام من الشمال والغرب • والبشمن والهتنتوت من الجنوب ، فمنهم من يربى الماعز أيضا ، كما يظهر لديهم آثار للنظام الاموى مختلطا مع النظام الأبوى ، ويدل على هذا ، التذبذب الواضح فى الميراث • كما أن لديهم أيضا نظام طبقات العمر • كل هذه الأنماط الحضارية تدل على تداخل عناصر كثيرة مختلفة الأشكال مما يدل على مرونة هذا الشعب وتأثره بالجماعات المجاورة وتأقلمه مع حضاراتها لدرجة أنه تمثل كثيرا من عناصرها وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حضارته • ورغم وجود بقايا للنظام الأموى ، الا أن النظام الأبوى بدأ يسيطر بقوة ، اذ يملك الرجل السلطة السياسية والدينية فى عائلته الكبيرة • ومن الجدير بالذكر أنه يوجد لدى هذه الجماعة نظام الشورى الذى يوجد عند أكثر المجتمعات تطورا ، فمشورة الرجال لديهم هى التى تصرف شئون القرية وهذه المجموعة تثبت وجود التأثير الحضارى المتشعب •

٢ ــ صيادو الغابات الأصليون

الأقـــزام (١)

لقد جذب الأقزام (البامبوتى ــ المفرد ممبوتى) الاهتمام الكبير اليهم دون جميع الصيادين الأصليين الذين يسكنون الغابات ، وهـم أصغر سلالة فى العالم من ناحية حجمهم • فأهم صفة اذن مميزة لسلالة الأقزام هى صغر حجم أجسامهم الملحوظ • وأطوالهم فى المتوسط بالنسبة

---

(١) يطلق على الأقزام باللغات الأوروبية اسم Pygmies بالانجليزية و Pygmaen بالالمانية . وهذا الاصطلاح اصله يونانى ويعنى الأصبع . (*) Der kleine Brockhaus, 1961 L-Z P. 275 القزمية هى : النقص الشديد فى طول القامة وغيرها من ابعاد الجسم الأخرى ويرجع عادة الى عوامل وراثية (جينات) . ويوجد للقزيمة شكلان رئيسيان :

الأول : يكون فيه النقص فى نمو غضاريف العظام ، وهذا النوع مـن الاقزام يكون متين البنيان Achondroplasic form

والثانى : يكون فيه القزم غير مكتمل النمو ويطلق عليه اسـم عقلة الاصبع Ateliotic form

وعلى الرغم من المزاعم القائلة بوجود بعض الأدلة على نقص نمـو الغضاريف فى أقزام الكنغو فان ذلك لم يثبت فى الواقع كما أنه لم تجر دراسات كافية على القامة فى أى من جماعات الأقزام . ويفترض حاليا أن جينا أو جينات طافرة «Mutant gene or genes حدثت فى كل من هذه الجماعات الصغيرة المنعزلة فزاد التكرار الجينى فيها Gene frequency مما ادى الى ظهور جماعة قصيرة ، الا انه لم يتحدد بد بدقة اى الجوانب التى تأثرت فى هياكلهم العظيمة (*)

Ashly Montagu : Human Heredity, 1963, p.p. = 380-383.
World Publishing Company, New York.

(ترجمة زكريا فهمى ــ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ــ نيويـورك ١٩٧٠) .

وينتشر الأقزام فى آسيا وافريقيا ، ويفرق العلمـاء بين المجمـوعة الافريقية والآسيوية بأن يسموها فى افريقيا نجرللو Negrillo مستخدمين صيغة التصغير باللغة الايطالية . واما المجموعة الآسيوية فيدعونها نجريتو Negrito مستخدمين صيغة التصغير فى اللغة الأسبانية . وفى كلتا الحالتين تعنى العبارة الزنجى الصغير . والأقزام ــ اذا لم يختلط بهم دم غريب ــ قصار القامة جدا بحيث لا يتجاوز ارتفاع الواحد ١٣٥ سم ، والأذرع طويلة جدا بالنسبة للأرجل . وقصر الارجل هو السبب الاكبر فى قصر القامة كما ذكر : Seligman, 1968, p. 27.

للرجال ١٤٣ سم ، وبالنسبة للنساء ١٣٦ سم • والصفة المميزة الهامة الثانية ، التي عن طريقها يختلف البامبوتيون عن الزنوج ، هي لونهم الفاتح • وتدل النماذج الداكنة غالبا على اختلاط الدم •

ويوجد أنقى ممثل لهذه الشعوب اليومى فى منطقة الغابات الأصلية لايتورى الأعلى وفروعه الجانبية(١) ويعيش هناك أقزام الايتورى فى ثلاث مجموعات لغوية كبيرة : أكا فى الشمال ، باسو (مع الباكانجو) على الساحل الشمالى للايتورى وايفا فى الشرق (أنظر الخريطة) • وعدد كل أقزام الايتورى ، الذين يعرفون باسم بامبوتى ، كما يقدرهم باول شبيستا Paul Schebesta (٢) بحوالى خمسة وثلاثين ألفا من حوالى مائة ألف قزم عموما فى وسط أفريقيا • ويحتفظ الأقزام فى الجابون وفى جنوب الكميرون بنقاوة أقل • وهناك أيضا بعض الجماعات الصغيرة فى حوض الكنغو فى منطقة لوزامبو Lusambo ومنطقة تشوقا Tschofa (أنظر الخريطة) • ويمكن القول بأن هذه الجماعات تمت بصلة قرابة حقيقية لأقزام الايتورى ، ولكن نتيجة لاقتحام قبائل زنجية مختلفة الغابة الأصلية تزحزح هؤلاء الأقزام بعيدا عنهم •(٣) ويوجد فيما عدا هؤلاء الأقزام مجموعة من الشعوب ، ليسوا أقزاما أصلا ، ولكنهم يشابهونهم كثيرا ، ويتبع هذه الجماعات المختلفة لأشكال الاقزام البابنجا على نهر سانجا ، والابنجا واللباى فى جمهورية أفريقيا الوسطى • ويعيش الباكوى أو الباخوى فى جنوب البابنجا الذين يسكنون فى مناطق شمال أنهار ليوبولد الثانى الى نهر اكلمبا ، وهم يسمون أنفسهم باتوى • ويكون التوا (باتوا) مجموعات أخرى متفرغة من أشكال الأقزام • ويعيش التوا على منحدرات بركان كيفو فى رواندا وأورندى فى تنجانيقا غرب جبال البرت وفى مستنقعات بانجولو • ومما يستحق الذكر أيضا أن نجد « مجموعة تونى » فى

---

(١) Bernatzik, 1968, p. 202.

(٢) Schebesta, R.P., Die Bambuti-Pygmaen Von Ituri. 3. Vols. Brussels, 1938-50

(٣) Meyers Handbuch über Afrika, 1962 P. 176.

منطقة النيل الأعلى (بحر الغزال) وأخيرا أيضا ما يطلق عليهم « بونى القوقازيون » على الساحل جنوب صوماليا والدوم (دوى) على نهر ستيفانى • وهناك اختلاف فى أصل الأقزام ، ولكن شبستا يتمسك بسلالة الباميوتى العريقة فى القدم — مثل دارت — الذى يقول ان هناك علاقة وراثية بين الباميوتيين والقوقازيين (أنظر الصور) (*) • ولقد كان الأقزام معروفين لدى الفراعنة اذ كان الفراعنة يرسلون بعثات الى الجنوب لتأتى بالسلع والذخائر الأفريقية وكان أثمن شىء يؤتى به من الجنوب هو القزم ، وقد خلف المصريون القدماء فيما تركوه من نقوش وكتابات رسوما لغير واحد من هؤلاء الأقزام •

ويحدد كون Coon (1) المكان الذى يعيش فيه الأقزام اليوم فيشير الى وجودهم فى مناطق عديدة معزولة من الغابات الاستوائية فى وسط أفريقيا ابتداء من الجابون والكاميرون الى أوغندا ورواندا أورندى قريبا من شمال نهر الكنغو • وفى الغرب والوسط والشمال الشرقى يعيش الأقزام فى الغابات المنخفضة ، وفى الجنوب الشرقى فى الغابات المرتفعة وفوق حافة جبل روينزورى •

ويقول : « ان هناك حقيقة تاريخية بأن أقزام غرب أفريقيا كانوا يعيشون فى كل منطقة الساحل الغربى لأفريقيا حتى ليبيريا ، وحتى وقت متأخر — الى القرن السادس عشر — كان الأقزام أهم عنصر سكانى — ان لم يكونوا الوحيدين — فى الغابات الواقعة بين بحيرة ألبرت وبحيرة ادوارد » •

هيآتهم الاقتصادية :

ان مواكب الغنائم التى يعود بها الأقزام يوميا والمحملة بالغذاء النباتى والحيوانى تميزهم كصيادين يقتنصون الفرائس (**) ،

(*) تحت رقم (٦)

(1) Coon C.S. : Origin of Races, London 1963 P. 657.

(**) انظر الصورة رقم (٧) •

ولا يمارسون الزراعة ولا تربية الحيوانات • ويعرف الكلب فقط منذ القدم كرفيق للصيد لديهم• ويقتنى الأقزام أحيانا الدجاج ولكنهم آخذوه عن « أسيادهم » من الزنوج ، حيث يعيش الأقزام مع هؤلاء فى حياة مشتركة ، وهم يعطون الزنوج الحيـوانات ومنتجات الغـابة المختلفة ويأخذون مقابل ذلك الموز وفاكهة الحقل الأخرى ، كما أنهم يأخذون منهم أيضا أطراف السهام والرماح التى لا يمكن الاستغناء عنها بالنسـبة لهم • ولقد أدى بهم اقتصادهم الضعيف الى الاعتماد على الزنـوج دائمـا •

وهناك تقسيم للعمل بحسب الجنس اذ تهتم النسـاء — ومعهـن أطفالهن الصغار — بجمع الدرنات التى تنمو من تلقاء نفسها والأوراق والفاكهة التى تؤكل والقواقع والضـفادع والثعابين نفسها والاوراق الأرض وخلافها من الحيوانات الصغيرة أما الرجال والأولاد فيمارسون الصيد ويطلق عليهم جماعة الصيد (جماعة محلية) ، وهم يقومون — بمساعدة كلاب الصيد — بمطاردة الحيوان الصغير • (1)

أما عن صيد الأفيال بالرماح فقد أخـذوه عن الزنوج ، وكذلك السهام ذات الطرف الحديدى المدبب • ومع أن الأقزام يعرفون طرقا عديدة للايقاع بالحيوانات فانهم لا يستخدمونها • وهـم يستخدمون القوس والسهم فى صيدهم•ويتكون السهم الذى طوله حوالى متر ونصف من عصا دائرية حمراء اللون • وتدهن السهام الخشبية الرفيعة جدا بالسم ، بعد أن توضع فى النار لتكتسب صلابة كما يحملون معهم لوحا من الخشب للهروب •

المسكن : يتكون مسكن الأقزام من أكواخ مصنوعة من أغصـان مجدولة ، وسقفها على شكل قبو مغطى بأوراق الشجر ، ولها فتحة

---

(1) Hirschberg, 1965. P. 138 , Mayers Handbuch über Afrika. 1962. P. 275., Bernatzik, 1968 P. 203.

صغيرة تؤدى الى الداخل (*) • وتبعا لحياة التجوال فان أثاث البيت فقير • فالفراش يتكون عادة من ثلاثة ألواح من الخشب وأحيانا من لوحين فقط يوضعان على الأرض جنبا الى جنب وقد يرفع أحد طرفيهما الى أعلى قليلا بوضع كتلة من الخشب تحته •

ويقع على عاتق النساء عبء اقامة الأكواخ وجمع ما يلزم لذلك من أغصان الأشجار والأوراق العريضة الكبيرة الشبيهة بأوراق الموز• وطريقة اقامتها تتلخص فى أن يؤتى بعدد من الأغصان اللينـــة فيثبت الطرف الأغلظ من فرع منها فى الأرض ويثبت فرع آخر مثله فى مكان مقابل له ، ثم يقابل بين الطرفين الرفيعين ويربط أحدهما بالآخر حتى يتكون منهما قوس • وعلى بعد بوصات قليلة منها يثبت بنفس الطريقة فرعان آخران أطول قليلا من الأولين وبهذا تتم اقامة مدخل الكوخ ثم يؤتى بفرع آخر أطول قليلا من الفروع السابقة ويغرس فى الأرض على بعد قليل الى الخلف منها ويثبت طرفه الأعلى فى وسط القوس الذى يكون مدخل الكوخ فيصبح هو العمود الفقرى الذى يرتكز عليه سقف الكوخ ، ويؤتى بعد ذلك بعدد من الفروع تغرس فى الأرض بحيث يكون كل اثنين متقابلين متساويين وبحيث يقل طول كل اثنين منهما كلمـــا ابتعدنا عن المدخل وتغرس أطرافها الغليظة فى الأرض بحيث يتكون من مجموعهما شكل دائرى تقريبا ، أما الأطراف العليا فتربط فى العمود الفقرى ، وفى بعض الأحيان تضاف فروع أخرى أفقية للبناء بقصد تقويته • وبعد ذلك تبدأ عملية التسقيف فتوضع الأوراق واحدة فوق أخرى بحيث يكون الطرف العلوى لكل ورقة تحت طرف التى قبلهـــا وطرفها السفلى فوق الطرف الذى بعدها ، وتثبت الأوراق جميعها الى هيكل البناء بطريقة فنية ماهرة •[1]

ويوجد فى الكوخ من الأوانى والأدوات قدر أو قدران وسلة وفى بعض الأحيان هاون خشبى بسيط الصنع ، وقد يكون هناك ســكين

(*) انظر الصورة رقم (٧)

(١) بيج ، ج . ، و . : الشعوب البدائية ، ترجمة محمود محمد موسى ،
Hirshberg, P. 161, Meyers P. 295.

ترشق في سقف الكوخ الى جانب أقواس وسهام ، واذا كان الكوخ لأعزب فان محتوياته لا تزيد عن الألواح والقوس والسهام • وأما عن أدوات الطبخ الفخارية والأدوات الحـــديدية وكذلك بعض الأدوات الموسيقية مثل الطبلة والآلة الموسيقية الوترية وكذلك تزين الجسد فكلها أنماط حضارية أخذها الأقزام عن الزنوج • أما الآلات الموســيقية الأصلية فهى قوس الموسيقى وخشبة الطبل و « الشخاليل » (١) •

الملبس : كان الأقزام يجوبون أنحاء الغابة عرايا ، أما الآن فانهم يأتزرون بمآزر مصنوعة من لحاء الشجر المدبوغ تعلق الى خصورهم بحزام مصنوع من جلد حيوان من فصيلة الزراف ، وتزين النساء مآزرهن ببقع وخطوط حمراء وسوداء ، ويلبس الرجال أحيانا غطاء للرأس من الجلد أو من سيقان العشب المجدول ، فلبس الرجال بصفة عامة مآزر من جلد البقر ، والنساء أحزمة من أوراق الشجر ، ويسير الأطفـال عرايا(٢) • ويحمل كل قزم تقريبا حقيبة مـن الجلد يحملها فوق كتفه أينما سار ليحفظ فيها ممتلكاته الشخصية • كما تصفف النساء شعورهن تصفيفا فريدا .ويزين أنفسهن بمسحوق أسود يستعملن فى وضعه عصا صغيرة ، فاذا أرادت احداهن أن تزيد من جاذبيتها استعملت مع هـذا المسحوق مواد أخرى حمراء وأحيانا بيضاء • وليس التزين مقصورا على النساء بل قد يلجأ اليه أيضا الأولاد والشبان ويندر أن تزين امـرأة شعرها بالزهور ، ولكنهن يستعملن جدائل من أوراق الشجر فى تزيين أجسامهن ، وهن فى الواقع كثيرا ما يغطـين أجســادهن بالخضرة فى عودتهن الى الأكواخ من رحلاتهن فى الغابة(٣) •

الطعام : يرتبط طعام الأقزام الى حد كبير بالبيئة وبطريقة الحياة التى يحيونها فقد كان طعامهم فيما مضى يتكون من اللحوم والعسـل والجزور والأوراق والفول السوداني والفواكه ، ولهذا كان عليهم أن

---

(١) Bernatzik, 1968, P. 203.

(٢) Hirschberg, 1965, P. 255.

Bernatzik, 1968. P. 203, Meyers Handbuch 1962.P.290.

(٣) بيّج ، ج • ، و • : الشعوب البدائية ، ترجمة محمود موسى •

يلاحظوا جيدا عادات الحيوان وأن يعرفوا الصالح للطعام من بين أنواع الثمار والأوراق والجذور وما الى ذلك • وبمعنى آخر كان عليهم أن يكونوا ملمين الماما عمليا بدراسة الطبيعة التي حونهم • وكان غذاؤهم ضئيلا حتى لا يصعب أن نفهم كيف استطاعوا فى سالف الأيـام أن يعيشوا على مثل ذلك القدر من الغذاء ، فلم يكن لديهم ألبان ولا أى نوع من أنواع الأطعمة الخفيفة الصالحة لتغذية صغار الأطفال •

أما فى الوقت الحاضر فان الأقزام يجدون حاجتهم من الطعام ذى القيمة الغذائية فى الموز ونخيل الزيت وقصب السكر والمانيوق وغيرها مما يحصلون عليه من الزنوج • ويغرم الأقزام بالموز الى حد أنهم قد يبيعون حريتهم فى سبيل الحصول عليه ، وفى بعض الأحيان يأخذون ما يشاؤون من موز الزنوج ويتركون بدلا منه قدرا كافيا من اللحوم ، وهذا النوع من المقايضة الذى لا تستعمل فيه الكلمـات يسمى « المتـاجرة الصامتة » (١) • وطرق اعداد طعام الأقزام هى التسوية على البخار أو بالتدخين والشوى أو التحمير قرب النار أو فى التراب الساخن أو على الفحم الخشبى المتوهـج ، فيلف السوس وصـغار الجعـران والصراصير والديدان والنمل والسمك الصغير وكذلك القواقع الصغيرة فى اثنين أو ثـلاثة مـن أوراق نبـاتات معينـة وتربط ثـم توضـع الحـزمة كلها فى التراب السـاخن • ويضـاف الى ذلك أيضـا الفطر « عيش الغراب » والعسل والتوت • وتـكون أنواع الخضر المختلفـة ما يقرب من ثلثى طعام الأقزام الكلى ، ويتكون الثلث الآخـر ، بجانب الحيوانات الصغيرة (مثل الظباء والقردة الصغيرة وفئران الأشجار) أساسا من السوس والضفادع ، وأخيرا سوس الأرض السمين (٢) •

البناء الاجتماعى : تتكون الجماعة المحلية فى العادة من ثلاثة الى ستة أكواخ ، ويمكن أن يزداد عددها • ويسكن فى مثل هذا التجمع غالبا

---

(١) بيج ، ج • ، و • : الشعوب البدائية ، ترجمة محمود محمد موسى •

(٢) Gusinde, M.; : Die Kongo-Pygmäen in Geschichte und Gegenwart. Halle. 1942.

عشيرة واحدة (تجمع عشائرى مفرد) • وتسكن الأسر انفردية الأكواخ بصفة خاصة • ويوجد أيضا تجمعات تسكنها عشائر عديدة ولكنها تمته لبعضها بصلة قرابة • ويلاحظ من هذا التنظيم أن شكل الحياة الاقتصادية والتى رسمته البيئة والظروف الطبيعية التى يعيش فيها الأقزام قد فرض تنظيما اجتماعيا متلائما مع هذه الحياة باعتبار أن الجانب الاجتماعى والتنظيم الاقتصادى هما وجهان لعملة واحدة وأن كلا منهما لابد وأنه يؤدى لخدمة الآخر •

ولذا فاننا نجد الأقزام يعيشون فى جماعات صغيرة متباعدة ، وهذا ما تفرضه حرفة الصيد والجمع ، وتقيم كل جماعة فى أكواخها الصغيرة فى مكان منعزل من الغابة (١) • ومثل هذه الجماعات المحلية يتكون لها مجلس ادارة من أقدم مجموعة سكنت المكان • ويتبع العشيرة كجماعة اقتصادية الأقرباء الذكور دمويا مع زوجاتهم وأطفالهم ، وهم يكونون ما يسمى بالأسرة الكبيرة • وتعتبر النساء بعكس ذلك دائما غرباء عن العشيرة ، لأنهن ينحدرن من عشيرة أخرى(٢) •

وما يصيده الرجال يعتبر ملكا عاما للعشيرة كلها ، كما تعود اهتمامات العشيرة على الأسرة أيضا ، وذلك لأن العشيرة وحدها هى التى تتكفل بحماية الجماعة واعانتها • ويهتم الأقزام بالزعامة فى القبيلة نتيجة لمعايشتهم المشتركة مع الزنوج ، ويظهر هذا بوضوح فى مفهوم العشيرة وأيضا فيما يسمى الزواج التبادلى ، فاذا أراد الشاب أن يختار فتاة من مجموعة أخرى — حيث يسيطر الزواج الخارجى — ففى هذه الحالة لابد أن تقدم جماعته فتاة كبديل الى الآخرين ، اذ أن فقدان أى عضو فى القبيلة يترك أثرا عميقا • وينتشر فى العادة الزواج الأحادى Monogamy (٣)

(١) Seligman 1968, P. 27.

(٢) Bernatzik, 1968, P. 203, Hirschberg, 1965.P. 178, Meyers Handbuch 1962 P. 307,

(٣) Hirschberg 1965. P. 178, Meyers 1962 P. 307

وتقام حفلات التكريس للصيد سرا للشباب مـن دون النساء ، حيث يكتسب فيها الشباب قوى سحرية معينة تساعدهم فى الصيد(١) •

وهناك حفلات الختان التى بعدها ينتقل الأولاد من مرحلة الصبا والطفولة الى مرحلة الشباب • وتتم هذه العملية وفق طقوس معينة يشترك فيها الأقزام مع جيرانهم من البانتو • فعندما يحين الوقت المحدد لاجراء هذه العملية فى جهة من الجهات يشترك الأبنـاء من الأقـزام وجيرانهم ، ويمارسون الطقوس اللازمة لهذه المرحلة الخطيرة فى حياة الغلمان والتى بعدها يصبحون أعضاء فى المجتمع(٢) •

معتقداتهم : تنتشر التوتمية لدى الأقـزام ، فلكل « فخـذ »(٣) • اديهم توتمة ، وهذا التوتم يكون غالبا حيوانا ، تشعر العشيرة أنها مرتبطة به ، ويقدسه الانسان فيحرم عليه قتله وأكله كما يتحاشاه • ويقوم كل أعضاء العشيرة • باظهار احترامهم العميق لتوتمهم ، وبصفة عامة ينبغى عدم جرح هذا التوتم أو قتله بأى شـكل من الأشـكال ، وبالطبع فلا يجب أكله ، ولا يجرؤ القزم أن يأكل أو يشرب من أى اناء تم لمسه بواسطة التوتم الخاص به(٤) •

ونادرا ما يقدس الأقزام الأرواح والموتى • ويتخيل القزم الروح كمخلوق صغير ضعيف ، لدرجة أنها من الممكن أن تحملها ذبابة(٥) ، كما يعتقد القزم أيضا فى الحياة بعد الموت بالقرب من الاله الأعظم ، ولكن كل هذه المعتقدات لا تلعب دورا رئيسيا • وهم لا يعرفون نظام تقديم الأضحية وكذلك نظام قرابين الموتى والاحتفال بهـا • وأهم شىء فى

---

(١) Bernatzik 1968. P. 203.

(٢) محمد عوض : الشعوب والسلالات الأفريقية ، ١٩٦٥ ، ص ٤٣ •

(٣) الفخذ عبارة عن عدد من الجماعات أو العشائر •

(٤) Seligman, 1968 P. 28., Paul Schebesta, Revisiting my Pygmy Hosts, P. 141 (1939).

(٥) Bernatzik, 1968, P. 203, Hirschberg 1965 P. 192.

معتقداتهم تمجيد قوة ينسبونها الى السماء ، وبعضهم يراها متصلة بخلق الكون • وترتبط التمائم وطقوس الصيد السحرية (*) والمطببون وكذلك الاعتقاد فى القوى التى يطلق عليها مجبى (megbe) بمفهوم الاله الأعظم الذى يطلب فى مناسبات معينة ، كما تقدم له بعض القرابين مثل جزء من قلب الفريسة عندما تذبح أو كمية من العسل • الى جانب هذا يتمتع المطر ، الذى يظهر كحية عظيمة فى السماء ، بمعنى كبير فى الحياة الدينية عندهم مثل الاله الأعظم • وأحيانا يسمون هذا الكائن السماوى الأعلى رب العواصف والبرق والرعد والمطر • ان الأفكار الخيالية للبشمن والتى أشار اليها قديما باومان (H.Baumann) والتى تتشابه مع عقائد الأقزام (هيكل شبح جالب الحظ فى الصيد ، الرابطة بين الاله والبشر ، الطقوس السحرية بالأدوات السحرية ، أعمال الاله عن طريق وسطاء ، تشابه اسم تور (اله الأدغال) مع تورا وغير ذلك نادى بها حديثا شبستا (١) • ويذكر شبستا البامبوتى فى المقام الأول كحاملى حضارة صيد السافانا الأورو — أفريقية على أى حال كصيادين مرتبطين بالغابات الأصلية • ولقد احتفظ الإعتقاد فى التوتمية واله الأدغال « تور » بنقاوة أكثر عند الأقزام عنه عند البشمن • ولكن بصرف النظر عن التفكير الحيوى ، الذى يقر أن البشمن والأقزام أقرباء • لم يستطيع ا لباحثون الى الآن أن يصلوا فى مجال التخصص الاثنولوجى الى اتفاق حول هذا الموضوع •

• • • • • • • •

ان شكل الحياة الاقتصادية للأقزام بسيط للغاية وبتمثل ذلك فى كل أنماط حياتهم اليومية حيث لا يوجد استثمار لأى وسيلة انتاجية دائمة ومستمرة للأرض عن طريق الزراعة أو رعى الماشية • فالأقزام صيادون يقتنصون الفرائس ، وحياتهم تشبه الى حد كبير حياة ذلك الانسان الأول الذى ظهر على وجه الأرض ، ساعيا وراء قوت يومه بالصيد أو

(*) انظر الصورة رقم (٨) •

(١) Schebesta, P., : Revisiting my Pygmy Hosts. 1939 P. 141.

الجمع والالتقاط للثمار البرية الصالحة من بين ثمار أشجار الغابة ، وفيما عدا ذلك لا يوجد أى شكل من الأشكال الاقتصادية المعقدة القائمة على الانتاج الأوفر • ومن ثم فيمكننا أن نحكم على هذا النوع من الحيـــاة بأنه يندرج تحت أدنى أنواع الأشكال الاقتصادية المعروفة ، والشيء الغريب أن هذا الضرب من الحياة البسيطة مازال يعيش حتى اليوم متجاورا مع أقصى درجات التقدم الاقتصـــادى والعلمى والفنى التى التى وصل اليها الانسان فى عالم اليوم •

ولما كان من الصعب على الفرد فى ظل هذه الحياة البدائية والقاسية أن يحصل على كل حاجاته دون أن يساعده غيره فان الأساس الذى تقوم عليه حياته البدائية اجتماعيا واقتصاديا يتألف من الجماعات الصغيرة التى تنتمى لأسرة واحدة يكون الاب فيها هو رئيس الأسرة ، ولاكبر الأفراد سنا سلطة على من دونه من الأفراد وليس للأسرة زعيم واحد معترف به ، ويقوم أكبر الأفراد سنا بتقسيم الصيد حسب أصول وقواعد معقدة ، فيتم اعطاء القلب والكبد للرجل الذى أصاب الحيوان بعد أن يقذفوا للغابة بقطعة صغيرة من القلب على سبيل ارضاء الآلهة •

ولديهم مجموعة من العادات التى تميزهم عن غيرهم فيما يتعلق بعملية الصيد والقنص ، فلديهم معرفة كافية بصفات الحيوانات التى يصيدونها وعاداتها وكذلك قدرتهم على اقتفاء آثارها ، كما يتميز الأقزام بالقدرة على السير فى الغابة دون احداث أدنى صوت ويتخاطبون بالاشارة ويسيرون منتبهين صامتين متحفزين لأى حركة • ومن عاداتهم كذلك اذا حالفهم الحظ فى الصيد عادوا الى منازلهم فرحين مهللين ، أما اذا لم يكن الحظ حليفهم فانهم يتسللون ساكتين واجمين • وملكية ما يتم صيده يعتبر ملكا للأسرة كلها حيث يتم تقسيمه حسب قواعد وأصول معترف بها كما سبق أن أشرنا •

فقلة عدد الأقزام أينما وجدوا ترجع الى اشتغالهم بالصيد والجمع والتقاط الغذاء مع العجز عن العمل المنتج ، ولهذا يحتاجون الى وطـــن واسع حتى يجدوا فيه الغذاء الكافى لهم ولقد كانت هذه الحالة ممكنة

فى العهود الانسانية القديمة • ولكن بعد تزاحـم السكان ، واحتـلال الأقطار والاشتغال بالرعى وبالزراعة ، لم يكن هناك بد من أن يختفى الأقزام فى أجزاء محدودة من أوطانهم وأن يزاحمهم فيها أيضا أناس اقتصادهم أكثر تعقيدا وأكثر انتاجا • ولهذا لا نجد الأقزام يعيشون وحدهم فى اقليم واحد • فهم يجاورون الزنوج ومن ثم يظهر عليهـم التأثير الزنجى فى حالات كثيرة • ورغم العلاقات الوثيقة بين الاثنين لم يتأثر الأقزام بحضارة الزنوج الزراعية وربما يعمل الأقزام لدى الزنوج ويعيشون معهم فى حياة مشتركة ولكن يمارس كل منهما حرفته الأصلية ، كما يمارسون نظام التبادل فيما بينهما ، حيث يمدون الزنوج بالغذاء الحيوانى ، ويمدهم الزنوج بالغذاء النباتى • ولكنهم أخذوا عن الزنوج أشياء أخرى سبقت الاشارة اليها •

ومما يسترعى الانتباه وجود مجلس لديهم له شروط معينة ، وهذا يدل على التنظيم الادارى المتطور ، كما يلاحظ أيضا أن الاقتصاد هو الذى ينظم الجماعة • ويسود النظام الأبوى حيث يتكون مـا يسمى بالأسرة الكبيرة التى تضم الأقرباء الذكـور دمويا ، وتـكون العشيرة مسئولة عن أحوال الاسرة اقتصاديا وسياسيا •

مما تقدم يتضح التشابه القوى بين جميع الشعوب التى تمـارس الصيد والقنص والجمع والالتقاط رغم التباعد والعزلة ، فهناك تشابه كبير فى فن الصيد وفى تقسيم العمل وفى شكل المسكن ، وفى الملبس ، كذلك الزواج الاغترابى Exogamy أى من خارج العشيرة والزواج الأحادى Monogamy الذى يلتزم الشخص به التزاما شديدا • وأيضا ببساطة الأدوات المستخدمة فى الصيد وفى الأكل ، والمعتقدات وسيادة العقيدة التوتمية وعبادة القمر أو الشمس وتقديس السلف أو الخوف منه • ورغم أنه لدى جميع هذه الشعوب يوجد الزواج الخارجى أى من خارج الجماعة التى ينتمى اليها الشخص ، فانه مع ذلك يختلف فى شكله وطريقته فعند الأقزام بصفة خاصة لابد من أن يقدم أهل الشاب عروسا لرجل من رجال الجماعة الأخرى ويسمى هذا النظام عندهم « زواج الرأس بالرأس » •

تلك هى بعض السلالات القليلة العـــدد التى تمثل على قلة عــدد أفرادها ، ظاهرة خطيرة فى القارة الافريقية ، وهى ظاهرة الانقــراض لبعض السلالات الأصلية فى أفريقيا • وتشهد بقدم هــذه السلالات وأصالتها أوطانها المنعزلة التى اضطرت أن تلجأ اليها حين بدأت موجات المغيرين والمهاجرين ترحف من الشمال والشرق فاعتصم البشمن وأقرباؤهم بالطرف النهائى للقارة ، واعتصم الأقزام بالغابات الشديدة الكثافة وكلها مناطق لا تغرى المغيرين على الاقامة فيهــا • ولقد زاحم الأوربيــون البشمن أيضا سبل العيش فى وجوههم ، فلم يبق منهم الا عدد يسير • أما الأقزام فكانوا أوفر حظا ، اذ نزلوا جهات أكثر اتساعا وأوفر صيدا ولا يجاورهم البيض بل الزنوج وأكثرهم من البانتو • وكذلك لابد أن يكون عيشهم أرغد ، وعددهم أكبر • هذه السلالات على كل حال عددها ضئيل اذا ما قورن بسكان القارة الذين يقرب عددهم الآن من ثلاثمائة مليون نسمة •

مما تقدم تتضح المعرفة القليلة لهذه الشعوب التي تمثل المراحــل الأولى لحياة الانسان على وجه الأرض • فهم يشكلون حلقة غريبة فى عالم تطور الانسان ، ومازالت أسباب ظهورهم مجهولة حتى الآن ، حيث أنه غير معروف على وجه الدقة متى وكيف ظهر النوع القزمى من الانسان ، ثم أنهم من أكثر الشعوب اتجاها الى الانقراض فى عالم اليوم ، كما أن الدراسات الأنثروبولوجية لم تكشف بشكل مفصل حتى الآن عن طبيعة التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية بين الأقــزام ليس فقط على مــر تاريخهم الماضى وانما بالنسبة للتطورات التى لحقتهم فى عالم اليــوم وخاصة عندما تغيرت الظروف البيئية والاجتماعية التى يعيشون فيها من حيث اختلاطهم بغيرهم من الشعوب والآثار التى ترتبت على ذلك من الناحية البيولوجية والاجتماعية والحضارية •

ومن ثم فان الدراسات الانثروبولوجية الحــديثة بكل فــروعها مطالبة بالكشف عن كل النقاط السابقة بحيث تضع اجابات محددة لكل هذه الأسئلة • لماذا كان الاقزام قصاراً دون غيرهم ؟ وما هى الاسباب

التي أدت الى ذلك ، ولماذا ظل الأقزام يعيشون حتى اليوم فى اطار نمط حضارى متخلف يرجع زمنه الى عصر ظهور الانسان الأول ؟ وهل كانت العزلة التي يعيشونها هى السبب فى ذلك أم أن هناك أسبابا أخرى لذلك ، ثم ما هى التطورات التى طرأت على حياتهم نتيجة اختلاطهم بغيرهم من الشعوب التى تجاورهم • ثم فى النهاية ما هو مستقبل الأقزام كجنس متميز له سمات محددة تختلف بشكل واضح عن غيرهم من الأجناس ••• ما هو مستقبلهم بيولوجيا واجتماعيا وحضاريا ؟

تلك أسئلة ما زالت مطروحة للبحث العلمى والأنثروبولوجى ، وهى ما زالت تشكل تحديا أمام الباحثين فى كل هذه المجالات لاستخدام أحدث الأساليب والمناهج العلمية الميدانية لكشف ذلك الغموض الذى يكتنف معرفتنا عن ذلك العالم الغريب ، عالم الأقزام•

• • • • • • • • • • •

هذا وسيلى هذا المقال مباشرة باذن الله مقال آخر عن مربى الماشية بأفريقيا وهذا الجزء سوف يتضمن :

مربى الماشـــية :

١ ــ الهـوتنتوت •

٢ ــ حما (حما ، خما ، توسى وهندا) •

٣ ــ الماساى ، سوك ، تركانا ، ناندى •

٤ ــ جالا ، صومال ، أفار (دناكيل) وساهو أو (شوهو) •

٥ ــ بجا (البشاريون ، الأمرأر ، الهدندوة والبنى عامر) •

٦ ــ الطوارق (بربر) •

٧ ــ الفلبا ، بورورو (فول ، فولا فولانى ، فلاتا ، بويل) •

٨ ـ توبو ، تبو ، تيبو ، تدا .

٩ ـ العرب بين شارى والنيل .

١٠ ـ الهررو .

١١ ـ النيليون (شيلوك ، دنكا ، نوير) .

وسيتبعه مقالات أخرى تكمل دراسة شعوب أفريقيا .

شرح لمحتويات الصور

صـــورة رقم (١) :

(أ) وجه مجعد لامرأة مسنة يوضح بقوة التناقض بينه وبين بشرة الرضيع الناضرة • تسبب رياح الصحراء الجـافة التجعيـد المبكر مما يجعل البشمن يبدون فى السن أكبر من واقعهم •

« عن كتاب الصحراء لليوبولد ، أ ، ستاركر وآخرين ١٩٦٧ » •

(ب) امرأة مسنة من البشمن ، وحتى فى سنوات العمـر الأولى يظهر جلد البشمن فى شـكل مجعـد بدرجة قوية جـدا • يلاحظ شكل الشعر المفلفل •

« عن كتاب شعوب وحضارات العام لبرنانتزيك ١٩٦٨ » •

(جـ) رجل من البشمن الكونج فى جنوب غرب أفريقيا ، توضـح الصورة قسمات الوجه ونمط الشعر •

« عن كتاب شعوب أفريقيا لفاتر هرشبرج ١٩٦٥ » •

(د) امرأة من البشمن الكونج فى جنوب غرب أفريقيا • توضـح الصورة قسمات الوجه من تجـاعيد وشفاة غليظة وشـعر مفلفل ، ، وكذلك طريقة التزين التقليدية لديهم •

« عن كتاب شعوب أفريقيا لفالتر هرشبرج ١٩٦٥ » •

صـــدورة رقم (٢) :

(أ) صياد يقترب من الجمزبوكة (مهاة كبـيرة من مهى أفـريقيا الجنوبية) رافعا رمحه لينقض عليها • والطريقة الوحيـدة التى يستطيع بها البشمن اصطياد حيوانات كبير هى جرحهم بسهام مسممة وايقاعهم بصبر لاينفذ •

« عن كتاب الصحراء لليوبولد ، أ • ، ستاركر وآخرين ١٩٦٧ » •

(ب) تعلم الصيد : صبى يتعلم استعمال القوس والسهم بواسطة كبير جماعة الصيد ، يلاحظ بالصورة كلب الصيد ، كما يمكن ملاحظة الشفاة الغليظة والشعر المفلفل .

« عن كتاب الصحراء لليوبولد ، أ . ، ستاركر وآخرين ١٩٦٧ » .

(جـ) صياد شاب فخور يبحث عن صيد فى الأفق وعصا الرمى جاهزة فى يده لا قتناص فريسة كما يحمل على كتفه كيسا للتبغ . يلاحظ ملابس الرجال .

« عن كتاب الصحراء لليوبولد ، أ . ، ستاركر وآخرين ١٩٦٧ » .

(د) عودة الصيادين الى معسكرهم ومعهم لحم طازج ، وفى العادة فان الجزء الذى يدخله السهم من الحيوان يؤكل لتوه فى ذات مكان الصيد ، ويقسم الباقى على بقية الجماعة .

« عن كتاب الصحراء لليوبولد ، أ . ، ستاركر وآخرين ١٩٦٧ » .

صورة رقم (٢) :

(أ) رسم يبين كوخ البشمن وهو عبارة عن مصد للرياح بدون باب حيث يظل كذلك ليلا ونهارا .

« عن كتاب شعوب أفريقيا لفالتر هرشبرج ١٩٦٥ » .

(ب) اقامة مسكن البشمن : رجل وزوجته يضعان سويا نباتات رقيقة لاعداد كوخ منحدر السطح ، وهو يعتبر المأوى لهم ويقيهم من الرياح والحرارة .

« عن كتاب الصحراء لليوبولد ، أ . ، ستاركر وآخرين ١٩٦٧ » .

(جـ) امرأة من البشمن أمام الكوخ الذى يشبه المظلة وهى تطحن ما جمعته .

« عن كتاب وشعوب وحضارات العالم لبرنانتزيك ١٩٦٨ » .

صــورة رقم (٤) :

نقطة بنقطة ، بصبر لا يمكن تخيله : رجل يمتص الماء من حفرة رطبة فى الرمل فى مجرى نهر جاف فى فترة الجفاف بواسطة بوصة مجوفة بطرفها مرشح (فلتر) من الحشيش .

« عن كتاب الصحراء لليوبولد ، أ . ، ستاركر وآخرين ١٩٦٧ » .

صــورة رقم (٥) :

فن البشمن : رسم البشمن فى جنوب أفريقيا . ويظهر أن هنــاك طبقتان من الرسم فوق بعضهما . ويلاحظ بالصورة الحيوانات المتوحشة واغارات الانسان على الماشية .

« عن كتاب وشعوب وحضارات العالم لبرناتزيك ١٩٦٨ » .

صــورة رقم (٦) :

(أ) لقد اصطاد البمبوتى صيدا فى الشبكة وهم يحاولون فــكه منهــا .

« عن كتاب وشعوب وحضارات العالم لبرناتزيك ١٩٦٨ » .

(ب) الأقزام فى الكنغو : يلاحظ ملامح الوجه والانف المفرطــح والشفاة الغليظة والشعر المفلفل .

« عن كتاب شعوب أفريقيا لفالتر هرشبرج ١٩٦٥ » .

(جـ) رجل من الايفا ، والعيون السوداء الكبيرة هى الصفة المميزة لهذه الجماعة .

« عن كتاب وشعوب وحضارات العالم لبرناتزيك ١٩٦٨ » .

صورة رقم (٧) :

(أ) رسم لكوخ الأقزام وهو على شكل قبو وتلاحظ فتحته الضيقة المفتوحه ليلا ونهارا .

« عن كتاب شعوب أفريقيا لفالتر هرشبرج ١٩٦٥ » .

(ب) كوخ الاقزام وهو مجدول من الافرع المغطاة بورق الشجر ،

« عن كتاب وشعوب وحضارات العالم لبرناتزيك ١٩٦٨ » •

صـــورة رقم (٨) :

سحر الصيد : امرأة من الأقزام وهى تقوم بعملية السحر لرجـــل يتأهب للصيد •

« عن كتاب وشعوب وحضارات العالم لبرناتزيك ١٩٦٨ » •

اولا : المراجع العربية :

١ ـــ آشلى منتاجو : الوراثة البشرية ، تـرجمة زكريا فهمى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٢ ـــ بيج ، ج . ، و : الشعوب البدائية فى وقتنا الحاضر ، ترجمة محمود مرسى .

٣ ـــ سيلجمان ، س . ، ج السلالات البشرية فى افريقيا ، ترجمة يوسف خليل ، مكتبة العالم العربى ، القاهـــرة ، ١٩٥٩ .

٤ ـــ محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، سلسـلة دراسات أفريقيـة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٥ ـــ محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى ، مـكتبة الأنجلـو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ .

٦ ـــ كون ، كارلتون : السلالات البشرية الحالية ، ترجمة الدكتور محمد السيد غلاب ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

ثانيا : مراجع بلغات اجنبية :

1. Baumann, H. : Vaterrecht und Mutterrecht in Afrika. In : Zeitschrift für Ethnologie. 1926.
2. Baumann, H.u. Thurnwald, R.u. Westermann, D., : Völkerkunde Von Afrika. Essen 1940.
3. Bernatzik, H. A. : Afrika, Handbuch der angewandten Völkerkunde Bd.I, P. 107-143. Innsbruck 1947.
4. ——————— : Neue Grosse Völkerkunde. Buch und Zeit Verlagsgesellschaft M.B.H., Koln 1968.
5. Coon, CS. : Origin of Races, London 1963.
6 Der Kleine Brockhaus :F.A. Brockhaus Wiesbaden. Erster Band A-K. 1967 P. 632;
7. ————————— : F.A. Brockhaus Wiesbaden, Zweiter Band L-Z 1962, p. 601.
8. Frobenius, L. : Kulturgeschichte Afrikas. Zürich 1933.
9. Greenberg, Joseph, H. . The Languages of Africa. Part II. International Journal of American Linguistics. Vol. XXIX. Nr. 1. January 1963, Bloomington.
10. ——————— : Studies in African Linguistic Classification, Southwestern Journal of Anthropology. Albaquerque, V, 79-100, 190-198, 309-317 ; VI, 47-63, 143-160, 223-237, 288-398, X, 405-415. In Buchform : New Haven 1955.
11. Gusinde, M. : Die Kongo-Pygmäen in Geschichte und Gegenwart. Halle. 1942.
12. Hirschberg, W., Völkerkunde Afrikas. Bibiographisches Institut. Mannheim. 1965.
13. Leopold, A., Starker and the Editors of Time-Life Books : The Desert, Life nature library, Time-Life Books, New York, 1967.
14. Meyers Handbuch uber Afrika, Bibliographisches Institut. Mannheim. 1962.
15. Murdock, G.P. : Africa, its people and their culture history. New York 1959.
16. Obermaier-Kühn : Buschmannkunst. Berlin. 1930.
17. Schapera, I. : The Khoisan Peoples of South Africa. London 1930. P. 51-64.
18. Schebesta, P. : Bambuti. Leipzik 1932 .

19. ——————— : Die Bambuti-Pygmäen von Ituri. 3 Vols. Brussels, 1938-50.

20. ———————: Revisiting my Pygmy Hosts, P. 141. (1939).

21. Schmidt, P.W. : Die Stellung der Pygmäenvöker in der Entwicklungsgeschichte des Menschen. Stuttgart. 1910.

22. Schneider, W. : Die Religion der afrikanischeu Naturvölker. Münster (westf.), 1891.

23. Seligman, C.G. : Races of Africa, London 1957.

24. ——————— : Races of Africa, Fourth Edition Oxford University Press. London Oxford, New York 1968.

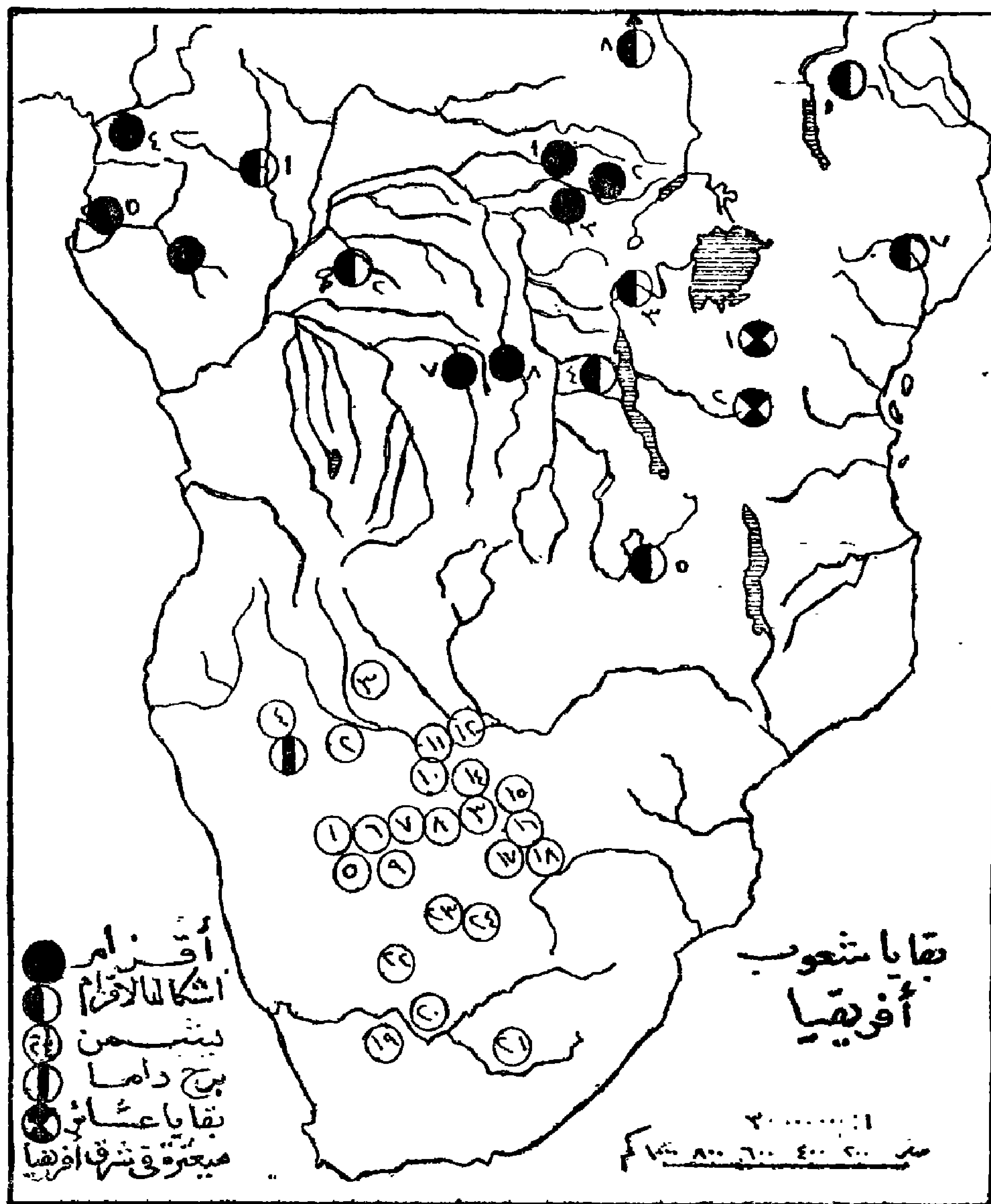
25. Weniger, M. . Zwergwuchs und Zwergvölker. In : Die Umschau. 56. Jg. 1956 p. 18-20.

26. Werner, A. : The Language Families of Africa 2nd ed, 1925.

27. Westermann, D. : Sprache and Erziehung. In : Völkerkunde Von Afrika. Essen 1940.

قبائل إفريقيا

السودان
النيل
نوبا
شلوك
اثيوبيا
كنيا
صومال
ماكوا
موزمبيق
أفاصو
هررو
ساحل العاج
سنغال
طوارق
صفر
صفر


بقايا شعوب
أفريقيا
أقزام
أشكال الأقزام
بشمن
برج داما
بقايا عشائر
مبعثرة في شرق أفريقيا
٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠ كم

بشمن :

الجماعات الشمالية :

(١) أوين (٢ ، ٣) كونج (٤) هايكوم

الجماعات الوسطى :

(٥) نارون (٦) تساوكوى (٧) نسونوكوى
(٨) أمكوى (٩) جكوى (١٠) تانكوى
(١١) هوكوى (١٢) جاليكوى (١٣) تسركوى
(١٤) دوكوى (١٥) كاباكوى (١٦) أوهكوى
(١٧) ماهورا (١٨) هيتسفارا .

الجماعات الجنوبية (بشمن الكاب) :

(١٩)اكسامكو (٢٠)كي (٢١)بشمن الباسولو
(٢٢) أونى (٢٣) نوين (٢٤) ماسروا فى جنوب الكلهارى

أقزام :

اقزام على الايتورى :

(١) اكا
(٢) ايفا بامبوتى
(٣) باتوا

اقزام فى الكميرون والجابون وعلى اجوى :

(٤) باجيلي أو بوجيلي (كميرون) .
(٥) بكوى أو باكوى ، باكوا وباكوى (جابون).
(٦) أكوا ، أبنجو .

اقزام من لوزامبا وتشوفا :

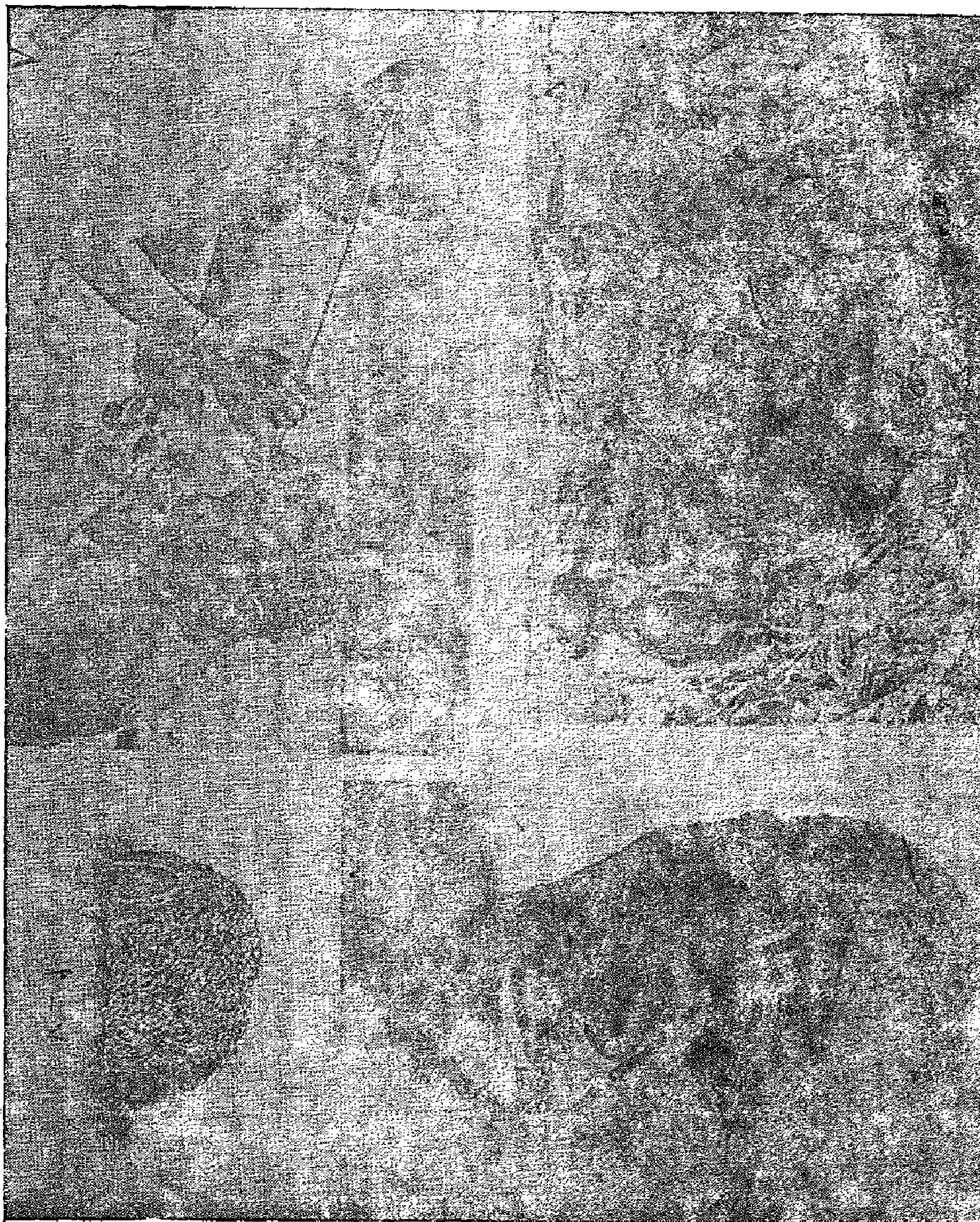
(٧) اقزام فى منطقة لوزامبو .
(٨) أقزام فى منطقة تشوفا .

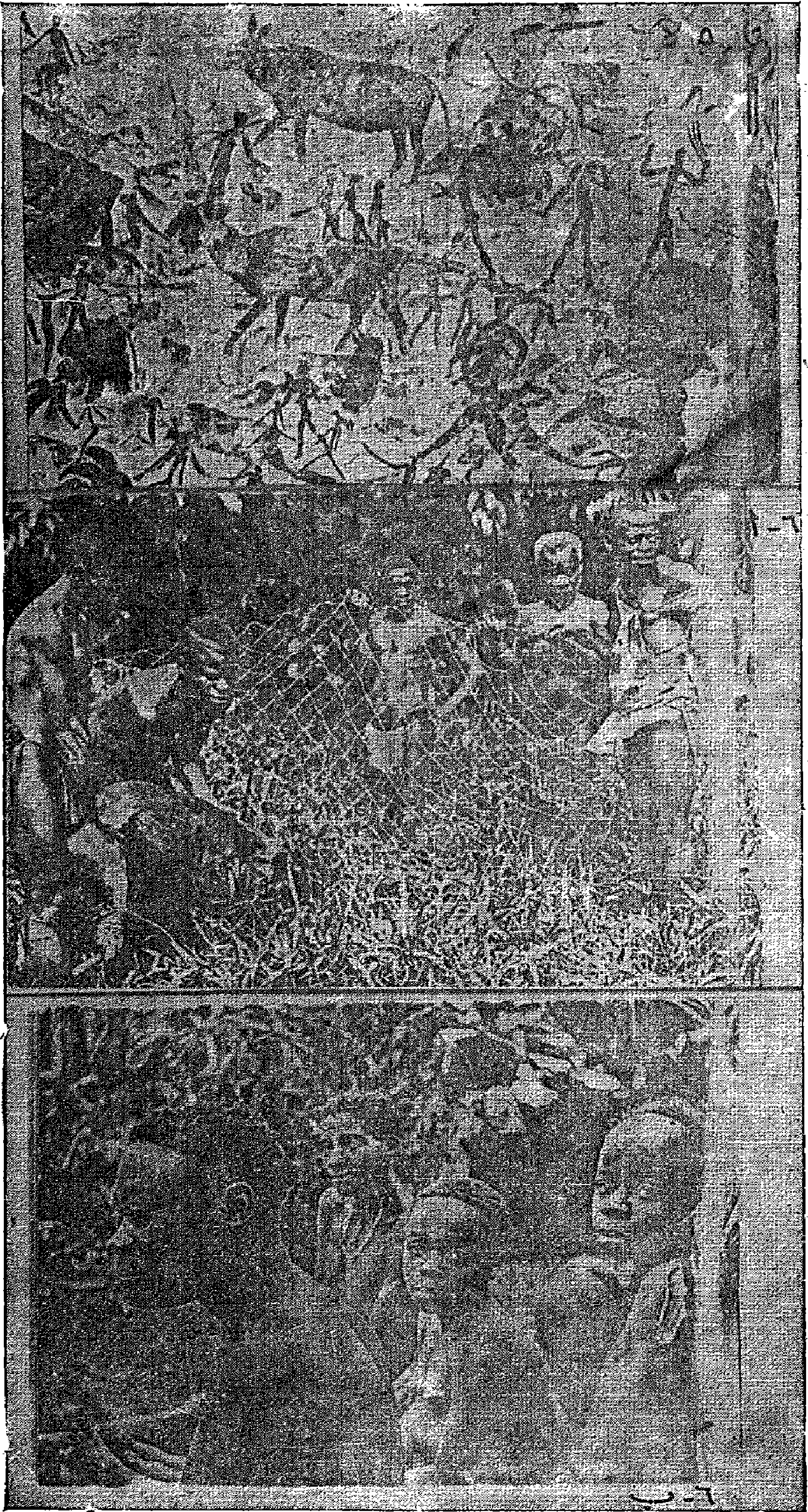
برج داما :

بقايا قبائل مبعثرة فى شرق افريقيا :

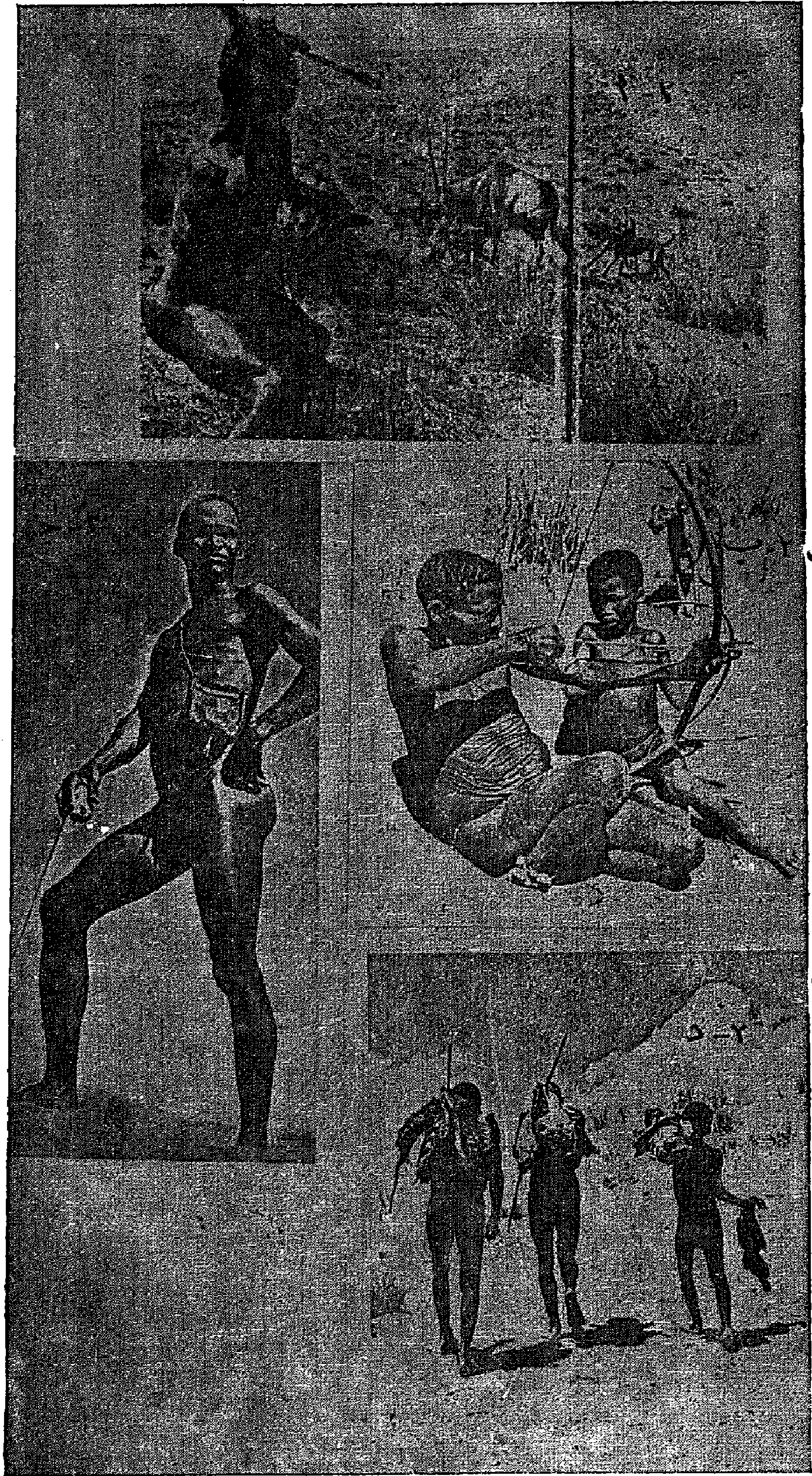
(١) كنديجا (٢) ساندوى .

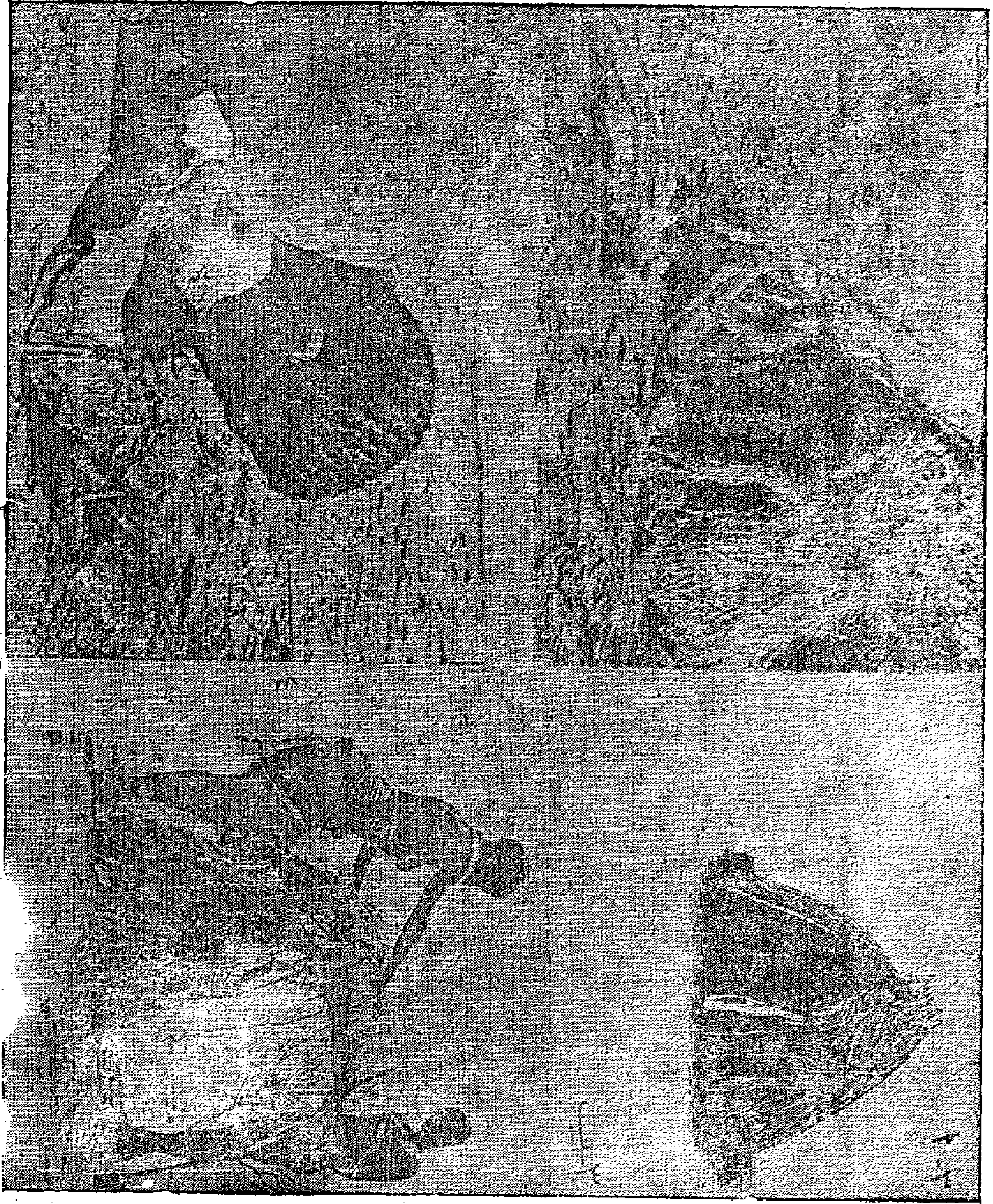
(عن كتاب شعوب وحضارات العالم بالالمانية لبراتزيك ١٩٦٨) .




٦-أ
٦-ب







(مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨١/٣٤٠/١٠٠٠)

45. SANDERS, JAMES A.(ed). : Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century. Garden City New York, Doubleday & Co., 1970.

46. SANDFORD, K. S. : Paleolithic Man in the Nile Valley in Upper and Middle Egypt. Chicago, Univ. of Chicago Orient, Inst. Publications, Vol. XVIII, 1934.

47. ——— and ARKELL, W.J. : Paleolithic Man and the Nile-Faiyum Divide. Chicago, Univ. Chicago Orient, Inst. Pub., Vol. X, 1929.

48. ———, ——— : Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt. Chicago, Univ. of Chicago Orient. Inst. Pub., Vol. XVII, 1933.

49. SOMERS CHARKE and ENGELBACH, R.E. : Ancient Egyptian Masonary. Oxford, Oxford Univ. Press, 1930.

50. STARR, CHESTER G. : Early Man ; Prehistory and the Civilizations of the Ancient Near East. New York, Oxford Univ. Press, 1973.

51. THESIGER, W. : «A Camel Journey to Tibesti». *Geogr. Jour.* Vol. XCIV, No. 6, Dec. 1939, p. 433-446.

52. VAN ZINDEREN BAKKER, E.M. and COETZEE, J.A. (eds.) : Palaeoecology of Africaa nd the surrounding islands. Vol. 10 Covering the years 1975-1977. Rotterdam, Balkema, 1978.

53. VAUFREY, R. : Préhistoire de l'Afrique. Paris, Masson, 1955.

54. VIGNARD, . : Une station Aurignacienne à Nag-Hamadi». *Bull. de l'Inst. d'Egypte*, Vol. XVIII, fase. 1, Cairo, 1920. e

55. ——— : «Une Nouvelle Industrie Lithique, le Sébilien». *Bull. de l'Inst. Français d'Arch. Orientale*, Vol. XXII, Cairo, 1923, p. 1-76.

56. ZEUNER, A. F.E. : : Th ePleistocene Period ; its Climate, Chronology and Faunal Successions. London, The Roy. Society, 1959.

57. ZUCKERMAN, S.(ed) : The concepts of Human Evolution. London, Academic Press, 1973.

F.A. GAWAD

Cambridge, Mar. 1980.

25. HASSAN, FEKRIE A. : «Archaeologcal Explorations of the Swia Oasis Region, Egypt». *Current Anthropology*, Vol. 19, No. 1, March 1978, p. 146-148.

26. HOWELL, F. CLARK and BOURLIERE, FRANCOIS (eds.) : African Ecology and the Human Evolution. London, Methuen & Co., 1964.

27. HUZAYYIN, S. A. : «The Place of Egypt in Prehistory». *Mémoires présenté à l'Institut d'Egypte. Cairo,* Vol. XLIII, 1941.

28. ISAAC, GLYNN Ll. and McGOWN, ELIZABETH R. : Human Origins ; Louis Leaky and the East African Evidence. London, Benjamin W. A., 1976.

29. LITTLE, O.H. : «Recent Geological Work in the Faium and the Adjoining Portion of the Nile Valley.» *Bull. de l'Institut d'Egypte,* Cairo, Vol. XVII, 1935-1936.

30. LUCAC, A. : Ancient Egyptian Materials. 3rd. rev. ed. London, Edward Arnold, 1948.

31. MAcCURDY, GEORGE G. : Human Origins ; a manual of prehistory. 2 Vols. London, D. Appeleton, 1924.

32. ——— : The Coming of Man ; Pre Man and Prehistoric Man. New York, The Univ. Society, 1935.

33. MAcBURNEY, C.B.M. : The Stone Age of Northern Africa. London, Pengiun Book, 1960.

34. ——— : The Haua Fteeh (Cyrenaica) and the Stone Age of Southeatern Mediterranean. Cambridge, Cambridge Univ. Press, 1967.

35. ——— : Archaeology and the Homo Sapians Problem in Northern Africa. Haarlém, Joh. Enchdé en Zonen, 1977.

36. MELLAART, JAMES : The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia. Beirut, Khayats, 1966.

37. ———:The Neolithic of the Near East. New York, Charles Scribner's Sons, 1975.

38. MENGHIN, OSWALD : «The stone ages of North Africa with special reference to Egypt». *Bull. Soc. Roy. de Geogr. d'Egypte,* Tom. XVIII, 1932, p. 9-27.

39. ———, and AMER, M. : «Stone Age Finds from the Kharaga Oasis». *Mitteilungen des Deutschen Inst. für Agyptische Altertumskunde ni Kairo,* Cairo, Band III, Heft 1, 1932, p. 46-49.

40. ——— : «The Exavations of the Egyptian University in the Neolithic site at Maadi ; First Preliminary Report (Season «1930-1931»).» *Egyptian University Faculty of Arts Publications.* Cairo, No. 19, 1932.

41. MORGAN, J. DE : L'Humanté Préhistorique. Paris, Ernest Leroux, 1921.

42. ——— : La Préhistoire Origentale Tome II, L'Egypte et l'Afrique du Nord. Paris, Paul Geuthner, 1926.

43. PETRIE, W.M.F. : The Stone Age in Egypt. Ancient Egyptians. London, 1925.

44. Reisner, G.A. : The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1907-8. Cairo, Government Press, 1910.

4. ——— ; Shaheinab ; an account of the exclvation of a neolithic occupation site carried out for the Sudan Antiquities Service in 1949-50. London, (Publ. for the Sudan Gov.), 1953.

5. ——— : A history of the Sudan from the earliest times to 1821. 2nd. ed, 2nd. pr. London, Oxford Univ. Press, 1966.

6. ——— : Wanyanga and an archaeological reconnaissance of the South-West Libyan Desert ; the British Ennedi Expedition 1957. London, Oxford Univ. Press, 1964.

7. ——— : The prehistory of the Nile Valley. Leiden, Köln, 1975.

8. AVEBURY, LORD : Prehistoric Time ; as illustrated by ancient remains and the manners and customs of modern savages. 7th. ed. London, William & Norgate, 1913.

9. BEADNELL, H.J.L. ; Topography and Geology of the Fayum. Cairo, Survey of Egypt, 1905.

10. BEER, sir GAVIN de : Atlas of Evoluton. London, Nelson, 1964.

11. BUTZER, KARL W. : Environment and archeology ; an ecological approach to prehistory, 2nd. ed. London, Methuen & Co. Ltd., 1972.

12. ——— : Early Hydraulic Civilization in Egypt ; a study in cultural ecology. Chicago, The Univ. of Chicago Press, 1976.

13. ——— and HANSEN, CARL L. : Desert and River in Nubia ; geomorphology and prehistoric environment at Aswan reservoir. Madison, Univ. of Wisconsin Press, 1968.

14. CAMPS, G. : La civilization préhistorique de l'Afrique Du Nord et du Sahara. Paris, Doin, 1974.

15. CATON-THOMPSON, G. : «Royal Anthropological Institute's Prehistoric Research Expedition to Kharaga Oasis.» *Man*, Vol. XXXI, May 1931, p. 77-84.

16. ——— & CHARD, CHESTER S.; Man in Prehistory. 2nd. ed. New York, McGraw-Hill, 1975.

17. CLAYTON, P.A. : The South Western Desert Survery Expedition, 1930-1931. *Bull. Soc. Royale de Geogr. d'Egypte*, Cairo, Vol. GIX, fase 2, 1937, p. 241-165.

18. ELLIOT-SMITH, G. ; The Ancent Egyptians ; and the origin of civilization. New and rev. ed., London Harper & Brothers, 1923.

19. ——— : Evolution of Man. Oxford, Oxford Univ. Press, 1972.

20. ENGELBACH, R. : « The Quarries of the Western Nubian Desert and the Ancient Road to Tushka» *Annales du Service des antiquités de l'Egypte*, Le Caire, Vol. XXXVIII, No. IV, 1938, p. 369-390.

21. FIRTH, C.M. : The Archaeological Survey of Nuba. Reports for 1908-1090, 1909-1910, 1910-1911. Cairo, Government Press, 1912, 1927.

22. GARDINER, E. W. : «Further Remarks on the Kharaga Oasis.» *The Geographical Journal*. Vol. LXXXI, No. 6, June 1933, p. 528-530.

23. GATES, R. RUGGLES ; Human Ancestry from a Genetical Point of View. Cambridge Massa, Harvard Univ. Press, 1948.

24. HARRISON, G. A. et al : Human Biology; an introduction to human evolution, variation growth and ecology. 2nd. ed. Oxford, Oxford, Univ. Press, 1977.

It has remarked that the study of Egyptian culture leaves one with the impression that the Egyptians were a celever and ingenious people whose progress was stultified by the development of one the most rigid and highly centralized governmental systems the world has ever seen(1). The complete union of the religions men and of the state one, resulted in a correspondingly complete control over their subjects minds and bodies. And such a system can function successfully only by rigidly maintaining the status quo.

The African prehistoric industries are essentially those of stone. Bone cultures play but a very small part indeed in Africa, there was no bone industry in the Aterian. Bone artifacts were but slightly developed in the Capsian. It is only in the Meso-Neolithic of the Sudanese regions and in the merolithic and predynastic periods of Egypt that there is any considerably number of objects out of bone.

Various sorts of stone were used for the polishedstone implements, but, as in Europe, the most popular were magmatic, eruptive or metamorphic. Rare rocks were sought out for ornamental purposes especially during the Neolithic. Towards the end of prehistoric times clay was used for making pottery throughouh Africa. The quite remarkable wealth of prehistoric art found in many parts of Northern African especially the east erea.

The occurrence of stone implements classifiable as Neolithic (by reason of the use of pressure-flaking, the presence of undoubted arrowheads, and here and there of ground axes), a similar distribution of pottery impressed with characteristic basket-work designs, and, finally, the distribution and content of the art provide evidence of a remarkably uniform state of pastoral culture (of cattle not of goats or sheep which were very rare) over vast areas from the Atlantic to the Nile.

Bibliography*

1. ALIMEN, H. : The Prehistory of Africa. London, Hutchinson, 1958.
2. ARKELL, A. J. : «The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan». Khartoum, *Sudan Antiquities Service*, Occasional Papers, No. 1, 1949.
3. ——— ; Early Khartum ; an accoun of the excavaton of an early occupation site carried out by the Sudan Government Antiquities Service in 1944-5. London, Oxford Univ. Press, 1949.

(1) Chard, Chester S. : Man in Prehistory, p. 279.
(*) References cited and further reading.

The bone is thick (13 mm. on the parietals) and the brown ridges moderately heavy, with a distinct notch above glabella, like Sinanthropus and like the best infantile of the Bushman skulls. The forehead is narrow, but bulgin; the parietals also bulge, giving the brain case a pentagonoid appearance. The orbits were apparently rectangular. Morphologically the skull could have been that of a full-sized progenitor of a Bushman. It is brachy cranial (L. 186, B. 154, C.I. 82), but it may have been distorted. Even if, the index of 82 is correct, this does not invalidate the racial identification of the Singa skull because there are some living brachy cephalic Bushmen. So, the theory that ancestral capoids migrated southward from North Africa is true to goes back to the discovery(1).

BY WAY OF CONCLUSION

We can see that prehistoric civilization in the Nile Valley was the earlest one in Africa and to in great extend all over the world.Its history of living is still with any no interruption of dead period. The civilization in Egypt an din Northern Sudan was in connection start from the prehistoric period till at the moment as one civilization.

The industrial traditions of tropical regions in Africa during the later Palaeolithic, as far as can be judged at the present, appear to have been characterized by a greater degree of survival from earlier periods, and the centre of cultural evolution-and no doubt biological as well-seems to have moved to more temperate regions.

In late post-glacial times, however, this shift was reversed and the great cultural advances of the seventh to fifth millenia B.C., heralding the development of settled life, were quite certainly centred in the worm-temperate to sub-tropical regions of western Asia and Northern Africa.

The position as a whole may then be summed up as follows. Throughout temperate Eurasia a succession of climatic events can be recognized which go far to provide a chronological basis for a dynamic picture of early cultural evolution; south of this, however, cultural happenings of least equal if not greater significance can as yet only be integrated in the general pattern with considerable reservaions. In particular cases, however, it is frequently possible to offer a reasonable working theory of correlation.

---

(1) Shewika, Farouk A. Gawad : «The African Capoid group ; an anthropogeographical study». (In Arabic). *African Studies Review*, Cairo, Vol. 6, 1977 p. 111-208.

On the Blue Nile near Singa A.J. Arkell reports implements of Nanyukian or Kenya Fauresmith type from calcareous growelly sands in the river bed bared a tlower stage. The locality and horizon is that of the Singa «protobushman» skull and a variety of mammalian bones. The age probably corresponds broadly with that of the post-Acheulean or developed levallois «stage of the northern region»(1).

A specimen stated to have been that of a Negro was found in 1948 in Khartoum, near the rail-road station as mention before. Several skeletons had been buried in a mound along with Mesolithic stone tools and with pottery. According to McBurney, the Khartoum Neolithic began about 3,253 ± 295 B.C.(2) and the Mesolithic material, including the pottery, could hardly be much more than 500 years older(3). One skull has been partly described(4). It is Negroid, but to Coon, C.S.(5) it looks like the skull of a modern, local Sudanese, a mixture of Hamite and Negro, than like the skull of a full Negro : As these burials may not have been much more than a thousand years older than the earliest Egyptian mural representations of Negroes, the presence of a Negro or Negoid in the Sudan at 3,700 to 4,000 B.C. not surpoising.

In 1924 the theory of a northern origin of Man in Africa, was re-enforced by the discovery, made by W.R.G. Bond, of a Bushman-like at Singa, 200 miles south of Khartoum, on a bank of the Blue Nile. Grabham, G.W. who had studied the site geologically from the standpoint of rates of soil deposition caused by the overflow of the Nile, stated, in 1938, that it could not be less than 5,000 nor more than 10,000 years old. The skull, however, was completely mineralized, despite the fact that it is thought to be of fairly recent date.

In any event, the Singa skullcap is clearly as old as, if not older than, any known and competently dated Capoid skull found yet in South Africa. The skullcap is nearly complete, but the face is missing.

---

(1) Andrew, G. : «Geology of the Sudan». *In* : Tothill, J.D. (ed.) : Agriculture in the Sudan. London, Oxford Univ. Press, 1948, p. 84-128 (p. 106).
(2) Calculated date from two date : C-753=5,060 ± 450 B.P. for charcoal from Shakeirab, and C-754=5, 446 ± 380 B.P. for skell from the same site. The average of the two is 5,253 ± 415 B.P., or 3,253 — 295 B.C.,if 2,000 years are subtracted in conversion from B.P. to B.C. (Coon, C.S. : The Origin of Races, footnote p. 551).
(3) McBurney : The Stone Age of Northern Africa. New York, Peliocene Books, 1960, p. 244.
(4) D.E. Derry : «Report of Human Remains ». *In* : A.J. Arkell : Early Khartoum. London, Oxford Univ. Press, 1949, p. 31-3.
(5) Coon, C.S. The Origin of Races. London, Jonathan Cape, 1963, p. 651.

recent times. The outstanding fact is the absence of Upper Sebilian implements from the 40-to 20 foot bars between Darau and Wadi Abdad[1].

The negro has not yet been traced bach into the Old Stone Age in the Sudan for certain, but the excavation of Arkell, A.J. (1949) of the mound just north-east of the railway station in Khartoum showed that it was a negro people who by making and using pottery took the first step towards civilization in the Sudan that we know of yet[2].

Its occurrence in the eastern Sudan on a route to Upper Egypt still used occosionally by camel thieves, suggests that futtern incised on it, first developed into the true rippled pottery typical of Badari[3]. In Egypt and the Sudan there are a few minor fossil localities but only two have provided significant collections[4].

The links between the Pleistocene of the Mediterranean area and the tropical zone of East Africa are few. A part from the terraces of the Nile Valley which cannot be discussed in this paper and the climatic character of which is by no means clear, there are the Kharga Oasis,, Eamer and Ethiopia, providing stepping stepping-stone to Kenya and Tanzania [5]. I think that Fayuum in the future will take its position in providing another link, but too many points of its Pleistocene succession are still a matter of controversy.

The bones which the early Khartoum negroes left on their camp were mostly those of antelope and fish. But for the indiscriminate use of firearms and the consumption by large hards of domestic cattle of such grass as comes up in the rains, there would no doubt be more antelope in the vicinity of Khartoum than the few gazelle that survive to-day, but it is probable hat there was more grass then owing to a greater rainfall (whatever the cause of the advance of desert conditions), or there would not have been such a high proportion of antelope (including buffalo) among the remains[6].

---

(1) Loc. cit.

(2) Arkell, A.J. : A history of the Sudan ; from the earlist times to 1821-2nd ed. 2nd pr. London, Athlone Press, 1966, p. 24.

(3) Ibid, p. 38.

(4) Loc. cit.

(5) Zeuner, F.E. : The Pleistocene Period ; its climate, chronology and Faural Successions. London, The Roy. Society, 1959, p. 208.

(6) Arkell, A.J. : A history of the Sudan, p. 26.

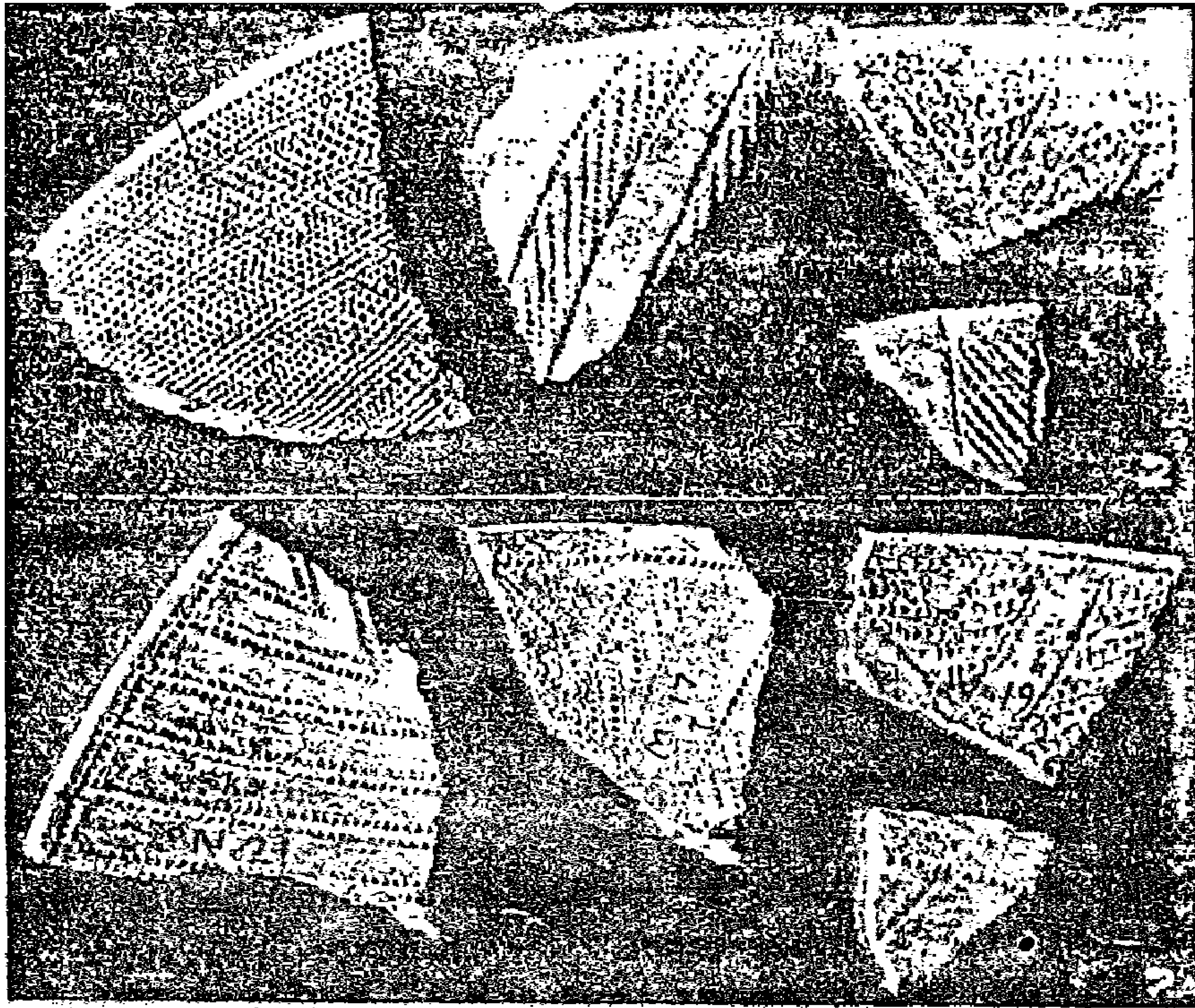


Fig. 12. Sherds from Saucers with impressed decoration

K.S. Sandford and W.J. Arkell said(1) that there was at Dibeira (before the construction of the High Dam at Aswan, 1960) a Sebilian beach, it had certainly closed before the 40-foot level was reached by the Nile, for this is undoubtedly the riverside habitation level and perhaps the flood level of Upper Sebilian times. At Darau the 40-foot level is Middle Sebilian, pre-Upper Sebilian. The lowest known Middle Sebilian flaking site is at 45 feet, we can find it south of Edfu. This seems to limit the Middle Sebilian.

In lower, 20-foot levels (Edwah to Wadi Abdad) rolled Upper Sebilian implements still fail to appear in the gravels. There thus appears to be a considerable break in the Human sequence.

The lowest known Upper Sebilian site is at 33 feet, but the river was apparently then below 20 feet. This, with the striking relation of Upper Sebilian sites to rives silts at Dibeira West (in the Sudanese Nubia), suggests a temporarily greater rate of river-fall than obtain in

(1) Sandford, K.S. and Arkell, W.J. : Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt. Chicago, Univ. of Chicago Oriental Institute Publications, Vol. XVII, 1933, p. 52.

from of Egyptian hierolyphics but it lasted only about four centuries. The rest of the Sudan never acquired even a temporary civilization [1].

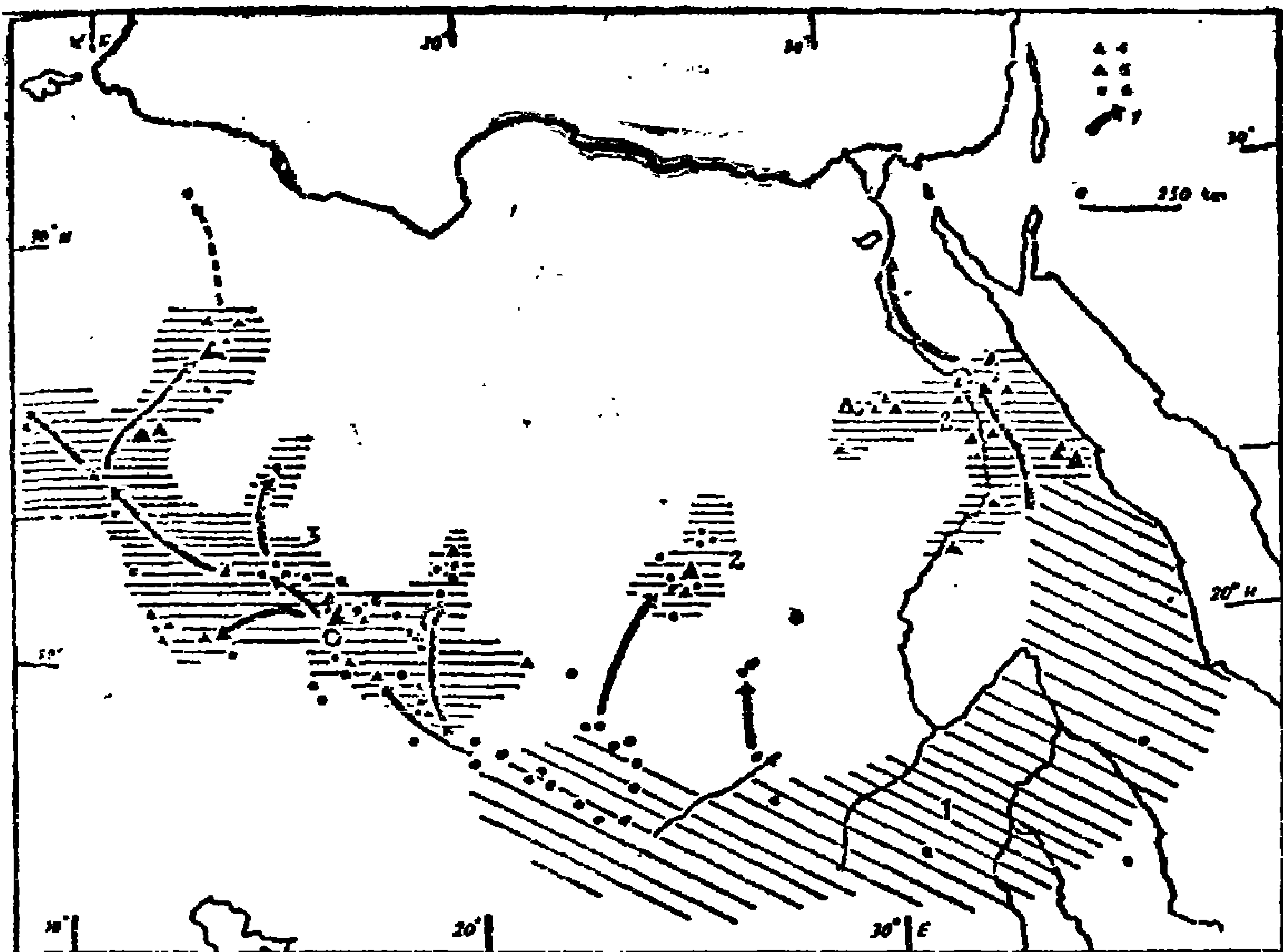
Iron was probably introduced from the Meroitic Kingdom about two thousand years ago. The Nubians are much the same now as they were 2000 B. C. It must be pointed out that the vast swamps of sudan on the White Nile rendered any direct communication with Egypt by this route impossible ; but Egyptian influence passed southwards by a more easterly route up the Blue Nile into Abyssinia and thence to the Great lakes. The modern Nilotes disart the homs of their cattle into the same bizarre shapes that the Egyptians used in the Pyramid Age of Saggara 2700 B.C. The Congo burial customs also show Egyptian influence. It is said that no Negroes are represented in Egypt until after the Age of the Pyramids [2].

A.J. Ackell says [3] that the Wanyarga -Ennediarea which lying on the western of the Nile Valley; must hold the key to several problems that at present confront the student of prehistory and early history in the Nile Valley. One question to which Arkell particularly hoped to find the answer was how, on neolithic sites situated at two points in the Nile valley and separated from each other by approximately a thousand miles (vis. the Fayuum and the Khartoum) [4]. (Fig. 12).

Arkell, A.J. agreed with M. Dalloni and Théodore Monod [5] that the stone implements of an unusual type, a semi-polished hollowcut adze (desigrated «gouge» by Miss Caton-Thompson in «The Desert Fayum»), and which had been found by him over a wide area west of Tibesti north-west of Lake Chad, probably spread to the slopes of that massif itself. He suggested after Theodore Monod that these two outstanding (Bilmas and Djado to Tummo) peculiarities of the Neolithic, and common to both found in Fayum and Khartoum, which must have come from the same source outside the Nile Valley, had probably come from the west. It therefor seemed resonable to expect to find a neolithic culture with these featurs in the area of the large Quaterrary lakes known to have existed on the eastern side of Tibesti, of which Great Wanyanga (Ouniangа Kebir) is the best example suriving as a lake today.

---

(1) Gates, R. Ruggles : Human Ancestry, p. 213.
(2) Ibid, p. 214.
(3) Arkell, A.J. : Wanyanga; and an archaeological reconnaissance of the south-west Libyan Desert ; the British Ennedi Expedition 1957. London, Oxford Univ. Press, 1964, p. VI.
(4) Loc. cit.
(5) Dalloni, M. and Monod, T. : Géologie et Préhistoire (Fezzan méridional, Kaouor et Tibesti). Mission scientifique du Fezzan (1944-5), tome VI, Travaux de l'Institut de recherches sahariennes de l'Université d'Alger, 1948, p. 133, 153-154.



Map, 10. Neolithic hunters and herders in the easten Sahara (From Butzer, 1958).

the Sudan (1905-1907) in the collaboration with Sir Flinders Petric[1], they discovered many implements, most of it related to the prehistoric period.

Mousterian implements have been found in the Sudan, but the Neolithic was much later than in Europe. Grinding stones occur, as well as microliths. There is evidence of Egyptian infiuence, in the form of scarabs and plaques, from 700 B.C. Although contact with Egyptian civilization dates from this period, there was no permanent development as a result. Even if there was physical heterosis, it was accompanied by mental stagnation through the ages. In the northern Sudan (Nubia), which was in direct contact with southern Egypt, the Meroitic Kingdom developed from about 700 B.C. to A.D. 350. Extensive ruins on the eastern bank of the Nile near Khartoum include palaces, temples, and the pyramids of Meroitic Kings. The Meroitic language was debased

---

(1) Sanders, James A. (ed) : Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century. New York, Doubleday 1970, p. 43.

took place in the cores, small pebbles being used almost invariably instead of larger masses. To these changing stages the term «Sebilian» has been applied, and the Lower and Middle Sebilian may be regarded as essentially of Mousterian derivation. Since the word serves its purpose and records the admirable researches of its author, M. Vignard, there seems no reason to abandon it[1].

Distinct from the Lower or Middle Sebilian is the Upper Sebilian, which has essentially neanthropic character of workmanship and suggests the introduction into this part of the Nile Valley of Capsian-like influences from North Africa or elsewhere. The apparent hiatus between Middle and Upper Sebilian industries, reflected in their geological positions, that some event of considerable human importance took place at this time. At present there is insufficient evidence to jude what it was, but we suspect that the growth of deserts here and elsewhere had set in motion those migrations which continue at the present day among the desert population[2].

Ancient Man and his Civilization in Northern Sudan :

The study of prehistory differs in many respects from that of conventional history. There differences, mostly enforced by the nature of the evidence, offer both handiceps and certain advantages from our point of view. For one thing, prehistory is anonymous, while so much of conventional history is biographical ; the familiar «great man» concept of history is thus ruled out[3].

Like anthropology, prehistory embraces the whole range of human activities and accords them equal attention, it is interested in all men who have ever lived, anywhere in the world - the total record of humanity[4]. Another adavantage of prehistory is the opportunity it provide, to study the interelationships of men and their societies with the natural environment over long periods of time [5]. Map 10).

Breasted, J.H. (1865-1935), held an epigraphic survey of Nubia and

---

(1) Sandford, K.S. and Arkell, W.J. : (Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt, p. 86.
(2) Loc. cit.
(3) Chard, Chester S. : Man in Prehistory, 2nd ed. New York, McGrow Hill, 1975, p. 6.
(4) Ibid, p. 7
(5) Loc. cit.

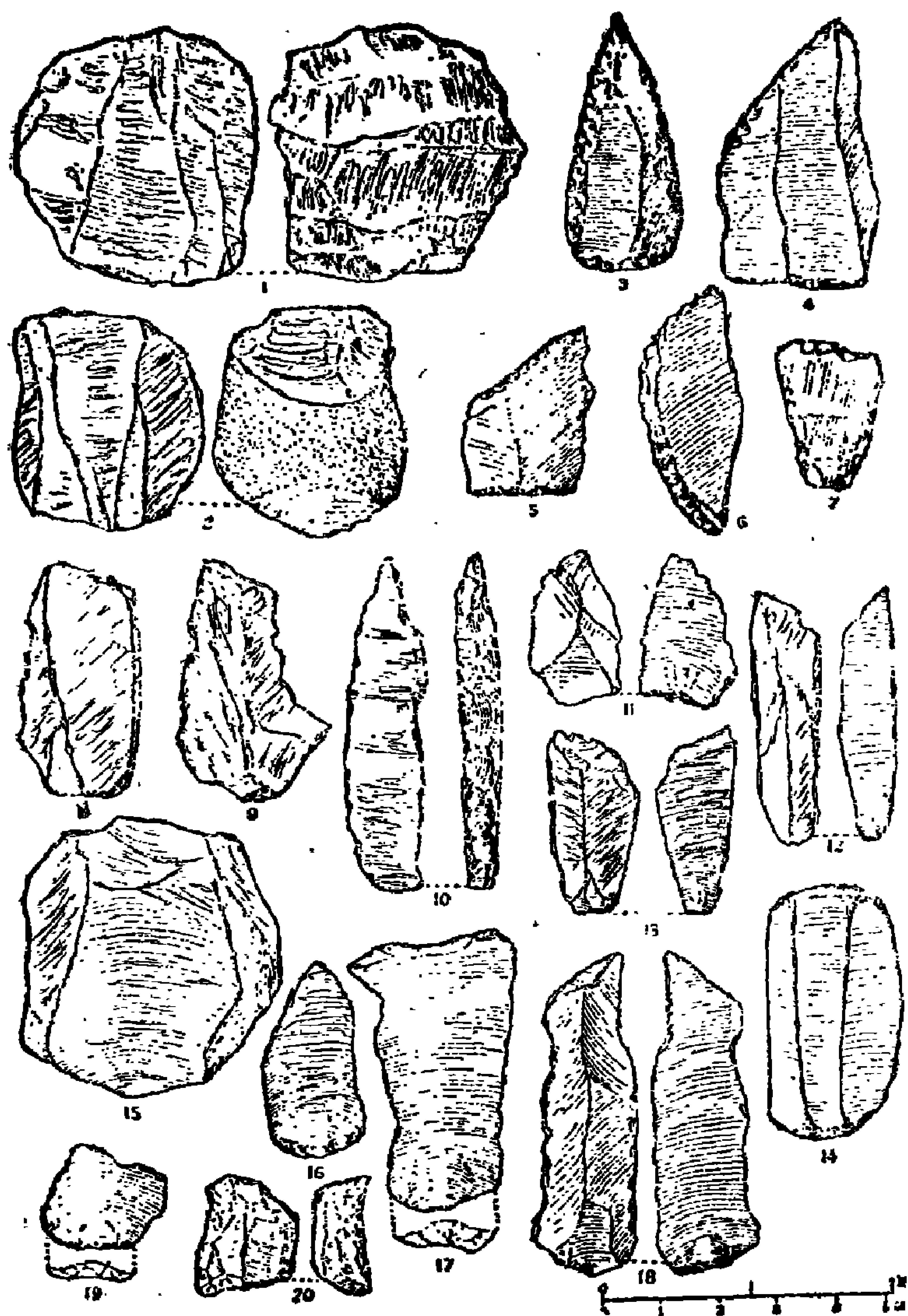


Fig. 11. Nile Valley : (1-10) later silt stage, (11-20) Fayum 22-24 m, beack (X2/3)

husbandry, pottery-making, and the manufacture of polished-stone axes-traits that, taken together, constitute a way of life known as the Neolithic (New Stone Age) culture. Following the Neolithic, about 3000 B.C., the Middle East provided the setting for the world's earliest manufacture of copper and bronze tools and weapons, its first use of the wheel, and its earliest forms of writing. This combination of traits is called the Bronze Age (1).

The growth and elaboration of irrigation systems, at least in arid Egypt Mesopotamia and Peru, was an immediate consequence of urbanization (2). In the 5th. millenium B.C. forming villages appeared along the edge of the upper Nile Valley and on the shores of the Fayum lake. During the next millenium the formers developed their techniques and social organization enough to master the papyrus-need swamps and fierce animals such as the crocodile and hippopotamus of the Valley proper (3).

In the area of Middle and Lower Nubia and that of Upper Egypt till Luxor, we can notice in the 100 foot terrace primitive of Early chellean, Chellean, and Chellean-Acheulean implements have been found, but not in older beds. Many are made from pebbles. A coarse flake industry occuring somewhat sparsely, recalls the Clactonian industry bound at a similar, pre-Acheulean horizon in England and Europe.

In the 50-foot terrace Chellean-Acheulean and Acheulean implements occur, with small nather crude, flakes. The 30-foot terrace is known elsewhere to contain early examples of the Mousterian method of detaching flakes from roughly prepared blocks of flint. The Mousterian technique reached an exceedingly high standard at the time of the 10-foot terrace and the beautiful workmanship seen in the implements here figured represents the «typical» Mousterian of Upper Egypt at its best.

During the following period of silt accumulation the previous high standard was not maintained. For a while flakes with equal beauty of form and technique were made : but imperceptibly they became thicker, lost their fine edges and retouch, and changed their shape from that of a broadbased leaf to a rough rectangle or a simple point. Similar changes

(1) Coon, Carleton S. : Seven Caves ; archaeological exploration in the Middle-East. London, Jonathan Cape, 1957, p. 30.
(2) Chard, Chester S. : Man in Prehistory, p. 259.
(3) Starr, Chester G. : Early Man. New York, Oxford Univ. Press, 1973, p. 100.

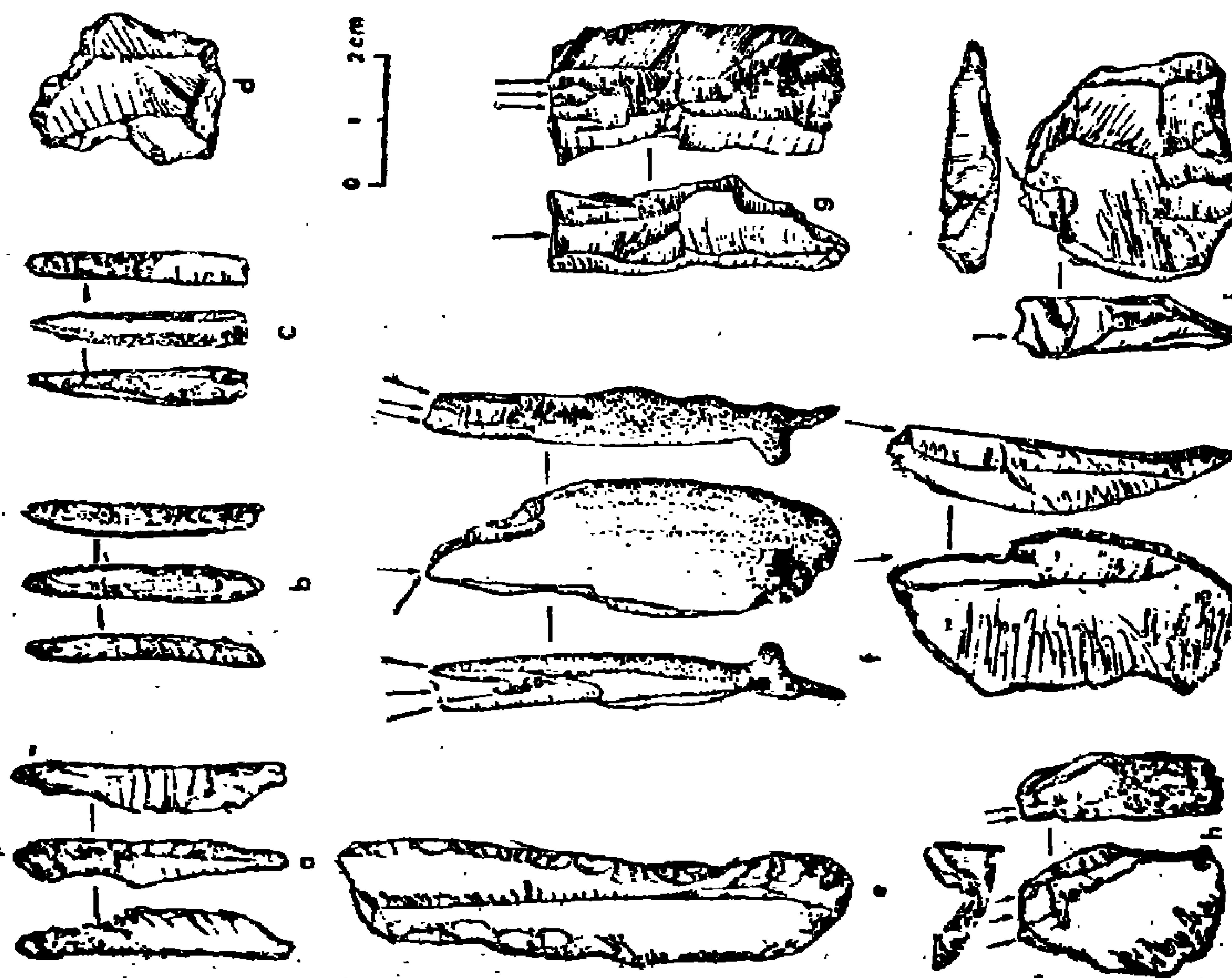


Fig. 9.—Tools from Site 76/24, el-Arg Oasis a-c, Perforators; d, endscraper, e, retouched blades; f - j, burins.

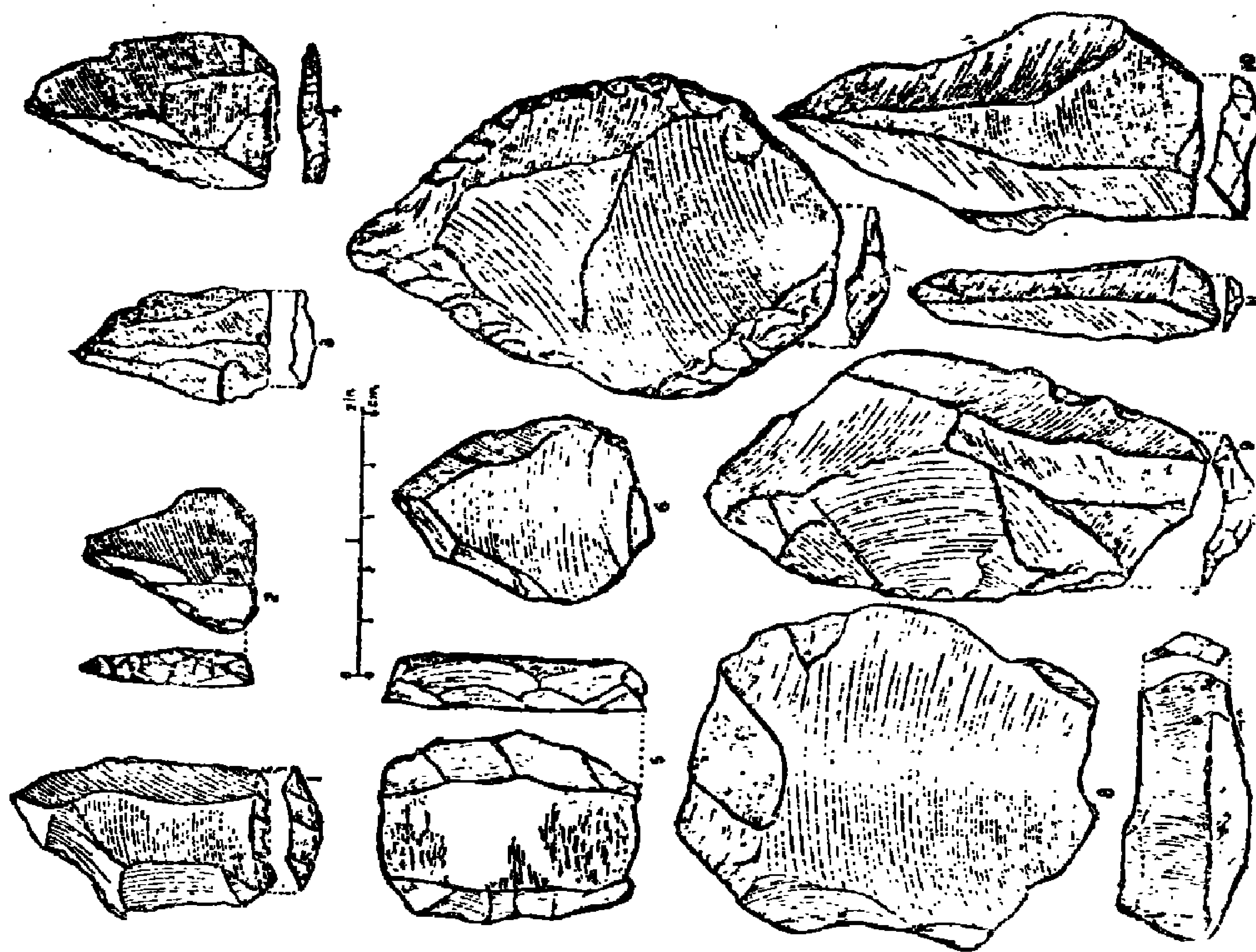


Fig. 10.—Late Levalloisian : (1-4) Nile-Valley Kom Ombo, early.

The lake levels of the Fayuum may then be tabulated as follows (heights in metres above sea-level) : [1].

Lake Level	Corresponding level in Nile Valley (heights above alluvium in brackets).	Classification of associated Human cultures
40 m.	42 m. (51 m. lower portion of meander).	? Evolved hand-axe culture.
34 m.	36 m. (8 m)	Evolved Levalloisian
28 m.	? (no certain surviving traces)	Final Levalloisian
22 m.	24 m. (—6 m at el Hibah)	Final Levalloisian

No certain remains were associated with the 40 m. level, which is variously estimated as somewhat higher by other authorities, although the Fig. 9) fall within the overall techological framework of North Africa position and weathering of a few loose finds of hand-axes suggest that they may conceivably be referable to it.

The 34 m. lake level is represented by a impressive shingle bank over considerable distances. From then on the successive levels are apparently linked into a continuous succession by numerous minor beaches preserved in favoured positions. The presence of some low-level Levalloisian finds, far below the levels just mentioned, suggests that a low level may have occurred between the 40 and 34 m. levels, as the sequence in the main valley further upstream would lead one to expect.

The cultural remains associated with the 28 and 22 m. levels so far recovered (Figs. 9 and 10) are only sufficient to suggest and advanced and diminutive version of Levallois, and there is really no justification for likening them at all closely to the second stage of the proposed Kom Ombo sequence. The same is true of the still more exiguous series found in the low-levels gravels at el Hibah, not far upstream from the Nile end of the Hawara Channel.

The people of the Middle East* had made an even greater invention-agriculture. Agriculture begane about 6000 B.C., along with animal

(1) Ibid, p. 146-149.
(*) A certain geographical focus in : Egypt, Iraq, Syria, across Iran and Afghanistan to the Indus Valley.

Swan assemlages resemble the «Libyco-Capsian» and the earliest Neo-assemblages also called «ante-Neolithic» or «proto-Neolithic» (10,000-7,000 B.C.) at Haua Fteah in the scarcity of notches and denticulates(1).

We can sea in the latest gravel terraces of the Nile maney characteristic of emblement technique. The 9 m. terrace in its characteristic form, containing the first reliable traces of Levalloisian technique, is found only with certainly as far north as Asyuut (2). Below it another better-preserved feature, the 3-4 m. terrace widely represented in Middle Egypt, is virtually absent north of Samalut, Farther north, however, in the lower reaches proper, an exceptionally well-marked terrace occurs at 8 m. That this is certainly not the same as the 9 m. terrace further upstream is clearly shown by its archacological content, which, as will shortly be described, is appreciably more evolved. The relationship of the 8 m. to the 3-4 m. feature upsteram is, however, much harder to establish, and as yet by no means certain. It is not impossible that it may even be the equivalent. The point is of interest owing to its rich archaeological context. Isolated terrace fragments at various points further northwards flanking the Delta have been plausibly equated with the 8 m. terrace, and suggest connexion with the late Last Interglacial sea-level at 7 m.

According to this work both the 8 m. in the lower reaches and the 9 m. represented in the middle reaches of the river are likely to have been graded to a level approximating to the first high sea-level of the Last Interglacial (at about 18 m.). These results can, however, be criticized from a number of points of view. In the first place there is every reason to think that a long interval of time separates the 9 m. from the 8., and no evidence has been noted any where else in the world of two 18 m. maxima during the Last Interglacial; such a possibility can indeed be ruled out of any feasible working theory. (3).

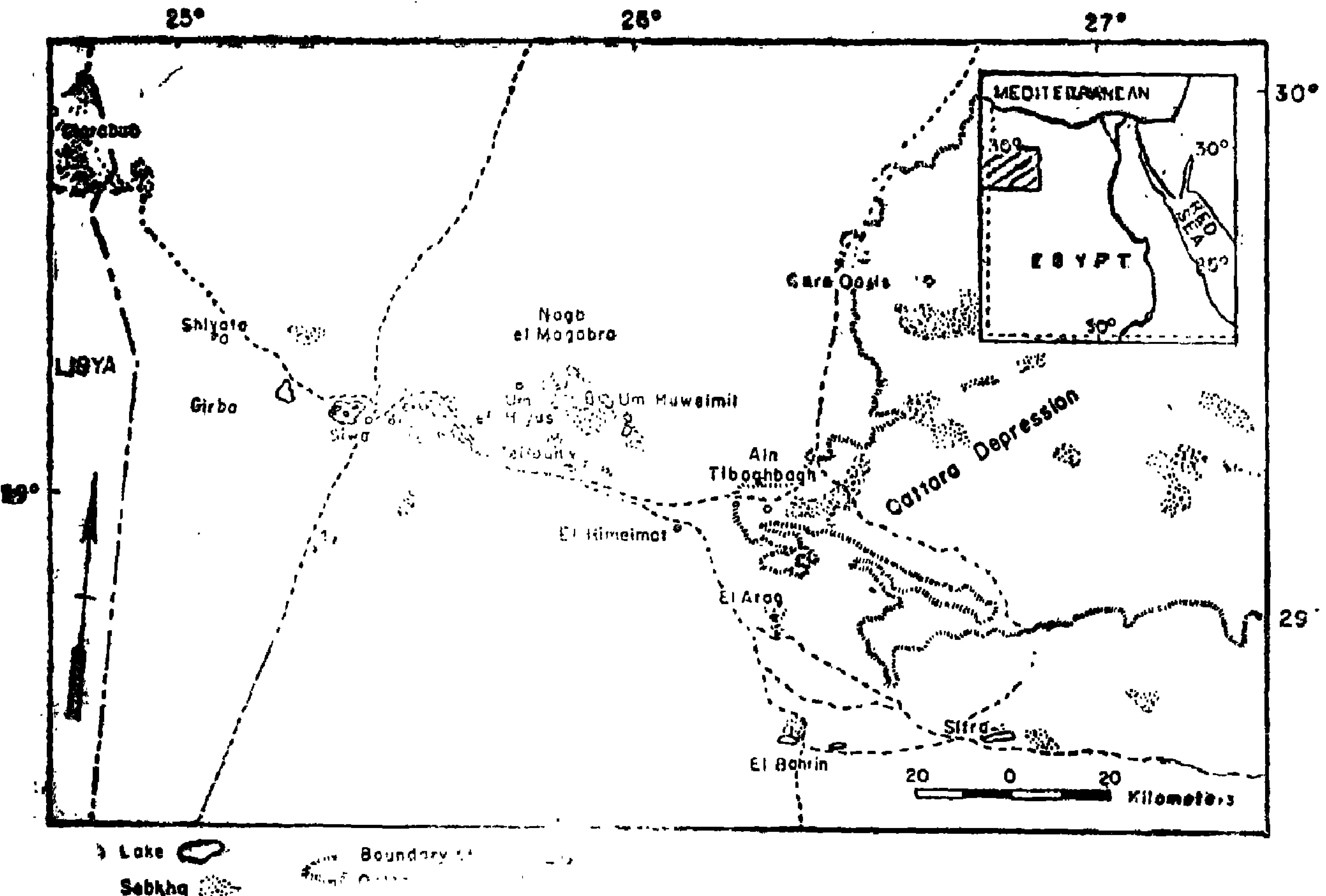
Despite this uncertainty it seems none the less clear that the most likely date for the 8 m. terrace and its contents falls some time in the Last Interglacial. All that is certainly known of the 3-4 m. terrace upstream is that it follows the 9 m. terrace after a substantial interval; both topographical and stratigraphical data place this beyond question.

---

(1) Mcburney, C.B.M. : The Haua Fteah (Cyrenaica) and the Stone Age of the southeastern Mediterranean. Cambridge, Cambridge Univ. Press, 1967, p. 205

(2) McBurney, C.B.M. : The Stone Age of Northern Africa. London, Penguin Books, 1960, p. 135.

(3) Ibid, P. 136.



Map. 9. The Siwa Oasis area. The 1975-76 surveys convered Siwa Oasis itself, Girba, Zeitoun, Um Huweimil, Um el-Hiyus, Nagbel - Magabra, Garo Oasis, el - Aroq, and el - Bahrin.

industry types with their step marginal retouch occur, in a tentative way, alongside normal Upper Levalloisian form.

In man's early history there were doubtless long periods when the the population was sparse and stationary, in equilibrium with the environment, as is true of most animal species. Before Neolithic agriculture began, about 6000 B.C. in Egypt and may be around that date in Iraq also. It probably began indepently in different parts of the world. Man had no means of increasing his food supply except by improved methods of hunting, there was little possibility of accumulating

The archaeological assemblages of the Siwa Oasis region (Map 9 & Fig. 9) fall within the overall technological framework of Nonth Africa between, 9,000 and 5,000 B.C.(2) Though they share some elements with the Capsian, they are distinguished by the absence of microlithic trapezes and triangles and the scarcity or absence of lunates. Their content of burins and backed elements, however, is similar to that of the «Capsian typique à fort indic burins» from El Outed II, Portal Fakher ta, and Relilei II(3).

Similarities between Saharan assemblages and Siwan assemblages are vague, with the possible exception of the Adrar Bous and Grebon assemblages. The assemblage from Oued Grebon is similar to that of Gara Oasis in the abundance of burins and points, but differs in the prevalence of Ouchtata backed bladelets, which are lacking in the Siwan assemblages(4).

The Siwan assemblages and the Qarumian of the Fayuum (dating from 8,100 B.C. to 7,140 B.C.) are characterized by a high content of perforators, including the méche de forêt. Both also show a very low frequency of microlithic geometrics. The burin index in the Qarunian very low compared with that of the Siwan assemblages.

---

(1) Gates, R. Ruggles : Human Ancestry. Cambridge, Macc. Harvard Univ. Press, 1948, p. 335-336.

(2) Camps, G. : La civilization préhistorique de l'Afrique du Nord et du Sahara. Paris, Doin, 1974, p. 179.

(3) Loc. cit.

(4) Hassan, Fekri A. : Archaeological Explorations of the Siwa Oasis Region, Egypt. *Current Anthropology* Vol.19, No. 1, March 1978, p. 146-148.

50-foot terrace	Developed forms of Acheulean culculture, with all types of the 100-foot terrace as derived specimens
30-foot terrace	Early Mousterian flakes and cores, also Acheulean implements probably derived from the 50-foot terrace
10-to 15-foot terrace of Upper Egypt	Typical Mousterian industry of Egypt
25-foot gravels of Middle Egypt .. .. Base of silts of Upper Egypt	in part contemporary with 10-to 15-foot gravels of Upper Egypt, with same industry, but containing later forms identical with those of the base of the base of the Upper Egyptian silts.
Aggradation silts of Upper Egypt .. .. Degradation gravels of Upper and Middle Egypt, suballuvial in the north Further degradation	Final development of Mousterian culture: industries descending from it termed Lower Sebilian (occurring at the top of the silts) and Middle Sebilian (making the beginning of degradation throughout the valley), followed by Upper Sebilian (wtih foreign technique) in Upper, not yet identified in Middle Egypt in geologically dated deposits.
Accumulation	End of Paleolithic, then Neolithich to Recent.

An Acheulio-Levalloisian phase stands : but an Early Levalloisian now seen to merge at its lower and into the physiographical position then assigned to the Acheulio-Levalloisian; and to occupy also at the upper end, in later Levalloisian groups, the place formerly attributed what Caton-Thompson, than termed «Pre-Sebilian». The Pre-Sebilian» since 1930, renamed «Khargan» has revealed itself as a direct descendant the local Upper Levalloisian to which it is linked by an indust, intermediate both in typology and stratigraphy, which Caton Thompson have named «Levalloiso-Khargan».(1). In this the stunted Khargan

(1) Caton Thompson, G. : Kharga Oasis in Prehistory. London. Athane, (1942), p. VIII.

from weather, and evidnce of a post driven into the ground perhaps for this purpose was found at Combe-Grenal in France(1).

The Neolithic found at 5000 B.C. in the Fayuum was followed by the Tasion, the Badarian (Chalcolithic), the site of Merimde, and finally the predynastic Egyptian shortly after 4000 B.C.(2).

The development of Egyptian metallurgy was held on about 3100 B.C. on the appearance of a series of innovations, it may also be involved. Again, though it took local forms and used local materials, the techniques could well have been introduced. But despite all this, it would not be correct to say that civilization was transplanted into Egypt(3). What seems to have happened was that certain ideas and principles were introduced at a crucial time when Egypt was adjusting to environmental change and population growth a series of social, economic, and political alterations. The process, in turn, must have sparked a burst of creative energy, and the end result was a truly Egyptian civilization.

We do not yet have sufficient archeological information from all parts of the Nile valley to say just to say just where this first took place pinpoint the outside source or sources. If the change first accurred in the Delta region, the Sumerian influence must have been indirect, via the Levant and Sinai. If in Upper Egypt, this would support the view that there was direct sea contact between the Arabian Gulf and the Red Sea coast of Egypt. At any rate, the emergence of the essential pattern of Egyptian civilization was a rapid process, perhaps confined to a few generations, and coincides with the establishment of the absolute power of a single ruler over the ontire length of Egypt(4).

The industries of Paleolithic Man in the Nile valley in Upper and Middle Egypt, may be tabulated as follows(5).

100-foot terrace	Primitive Chellean, Chellean, and Chelleo-Acheulean or early Acheulean, also a coarse-blak industry or Egyptian from of the «Clactonian».

---

(1) Chard, Chester S. : Man in Prehistory. 2nd. ed., New York, McGrow-Hill, 1975, p. 140.
(2) Heizelin, J. De : «Observations on the absolut chronology of the Upper Pleistocene». *In* : Howell, F.Clark and Bouliere, F. (eds.) : African Ecology and Human Evolution, p. 293.
(3) Chard, Chester S. : Man in Prehistory, p. 276.
(4) Loc. cit.
(5) Sandford, K.S. : Paleolithic Man and the Nile Valley in Upper and Middle Egypt, p. 126.

There for three winters between 1928 excavations were made by Caton-Thompson G. and Gardner, E.W. of Predynastic and Prehistoric research in Northern Fayuum, first under the auspices of British School of Archarology and later of the Royal Anthropological Institute(1). In 1930-1 they go on their researchs in Kharga Oasis where at an early stage in their work, it become plain that the quantity of prehistoric material to be investigated and reduced to some sort of chronological order was so great. They after that held the expedition and wrote the scientific report which discussed the importance of Levalloision development in Egypt with co-ordinations between the Nile and Kharga, and the position in time and space of the Aterian.

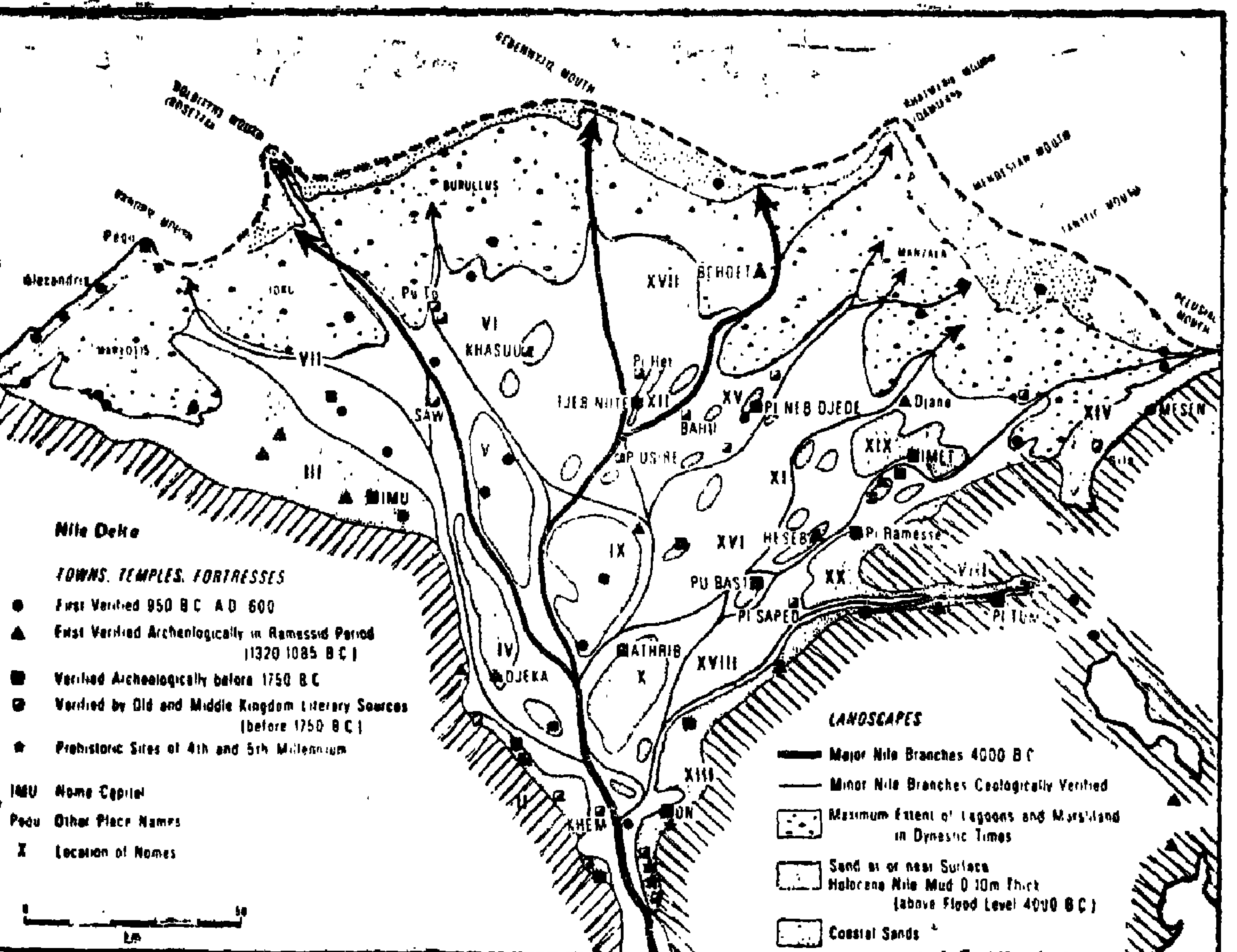
Some years after in 1939 Hans Winkler, published his work about the rock engravings of hitherto unknown type in the sanstone region east of Dakhla Oasis(2). These drawings he attributes to people of Early Predynastic age has named them «Early Oasis Dwellers», in contradistinction to another, partly contemporary group he calls the «Earliest Hunters». The identitz of Winkler's Early Oasis Dwellers» and Caton-Thompson Neolithic Peasants is virtually confirmed by his record of «Neolithic implements typical of the Fayuum».

Since, 1930, Egypt and North-East Africa was accepted to be as an area so extraordinarily of the faceted-platform tradition that the technique persisted in various local guises long after the Palestinian later Palaeolithic peoples had proceeded to a more advanced culture, the term «Epi-Levalloisian» has been here coined rather than «Upper Palaeolithic, to denote these Levalloisian survivals into late Palaeolithic times(3).

In highland areas where caves were available they were extensively used at this time giving the impression that cave dwelling suddenly became the typical human pattern wherever possible. The first known cave site in Africa also date from this time. It should be noted that no one ever lived inside a cave in the drak inner recessos. Habitation was in the mouths of caves, or at the base of overhanging cliffs (so-called «rock shelters»).

It is hypotherized that windbreaks of poles and skins or brush may have bean erected on the outer side for greater warmth and protection

(1) Caton-Thompson, G. and Gardner, E. W. : The Desert Fayuum. London, Royal Anthropological Institute 1934.
(2) Rock-Drawings of Southern Upper Egypt. Egypt Exploration Society.
(3) Caton Thompson, G. : Kharga Oasis in Prehistory. London. Athlone Press, 1952, p. 4.



Map. 8. Landscape and settlement evolution in the Nile Delta (From : Butzer, 1976).

of the climatic optimum were to last about 2,000 years and turned the border-lands of the Sahara into pastures capable of supporting hards of grazing animals and, in favored spots where water collected, seasonal dry farming. Thus, a number of new ecologycal niches were created out of which prehistoric man could make a living.

In Egypt and much of North Africa a mixed economy developed and prospered based upon herding and hunting in the grassy savannahs, seasonal cultivation of wheat along the low-bying wadis which drained the margins of the desert, and intersive farming supplemented by fishing and fowling on the rich alluvial soils of the Nile Valley(1). Elliot Smith derived Polynesians of the Pasific occion from the early type of steppyramid in Egypt, through diffusion, but this is not accepted(2).

Here the problem is to find out when northern Semitic elements penetrated Egyptian, which belonged to the Hamitic Language-group, widespread in north and northeast Africa. Faint traces of Egyptian contact with the Near Eastern world date bach to the Mesolithic Period when settlers with a Natufianlike culture were established near Helwan, south of Cairo.

The earliest settlements with agriculture and pottery are found in the Fayuum about 4500 B.C., and at Merimed about 4200 B.C. in the Delta (Map 8), according to radiocarbon determinations(3). Their inhabitans, however, may or may not have been of Near Eastern stock Syrian timber was obtained during the Badari culture of Upper Egypt, about 400 B.C., and copper was probably obtained from the mine on the western side of the Sinai Peninsula. Nevertheless, Egypt maintained her splendid isolation during the Amratian Period. It is only in the Gerzaean Period (Ca. 3400-3100 B.C.) that we have evidence for the ever-increasing contact with Palestine and the coast of the Levant. This period is contemporary with the Late Chalcolithic or Proto-Urban of Palestine, Lebanon and Syria. Then foundations were laid for the greatness of Egypt during the Archaic period and the Old Kingdom. This period is known elsewhere as the Early Bronze Age(4).

---

(1) Ibid, p. 274.

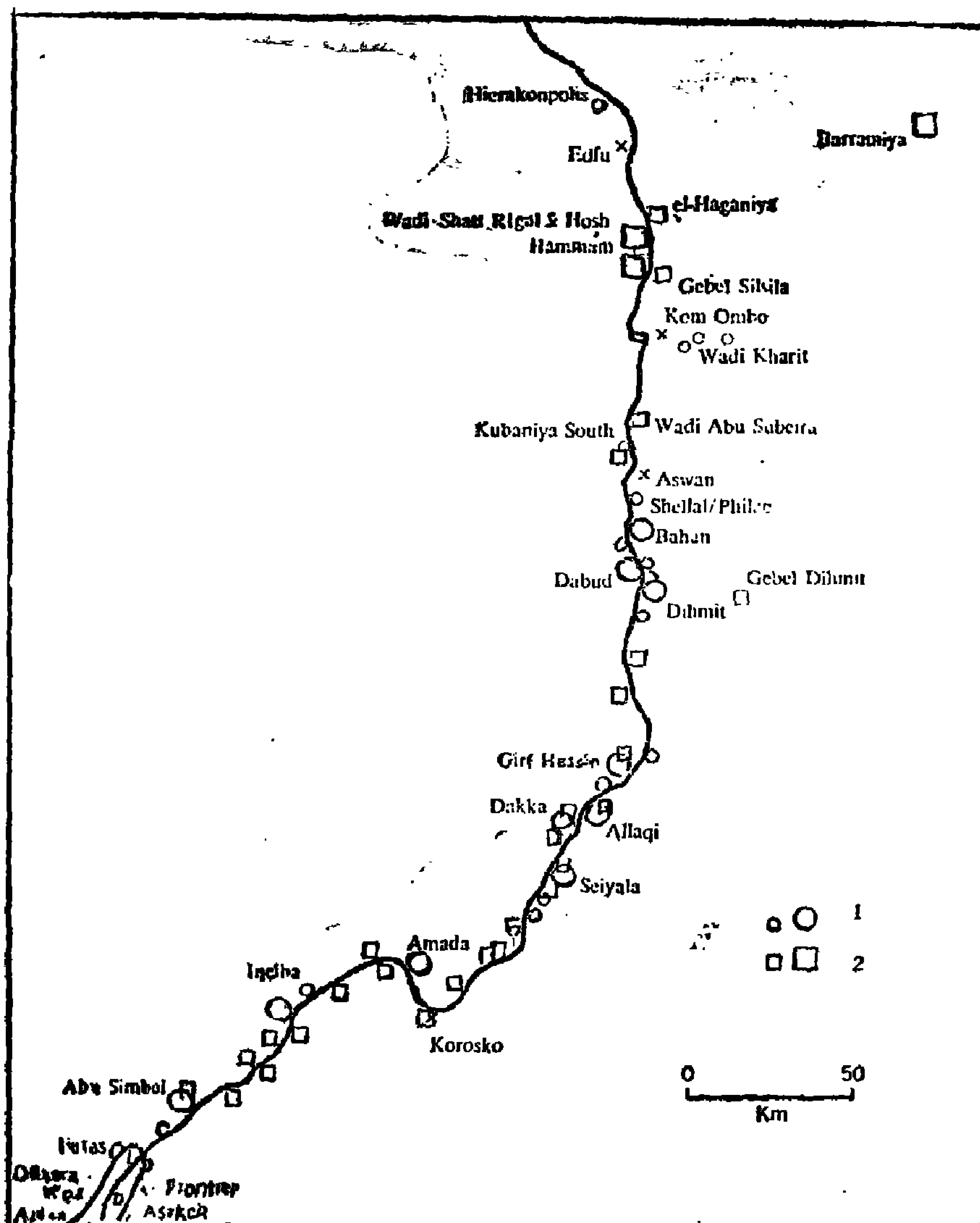
(2) Gates, R. Rugglas : Human Ancestry. Cambridge, Macc., Harvard Univ. Press, 1948, p. 342.

(3) Mellaart, James : The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia. Beirut, Khayats, 1966, p. 54.

(4) Ibid, p. 55.

Our knowledge of ancient Egypt is overwhelmingly from archeology. Fortunately, its material partly because of the prescriptions of a religin which emphasized the necessity of providing for the welfare of the dead by equipping them in the style to which they were accustomed in life. In addition, art from the beginning was representational and concerned itself with depicting situations and events.

Thanks to recent archeological explarations at Hierakoponolis in Upper Egypt (Map 7), we now know that the establishment of farmin cultures in the Nile Valley accompanied an increase in rainfall, known as the climatic optimum, which occurred around 5000 B.C. The effects



Map. 7. Predynastic site in southern Egypt 1 : Habitation sites and cemeteries (Gerzean, Amratian, Early A - Group). 2 : Early rock drowings.

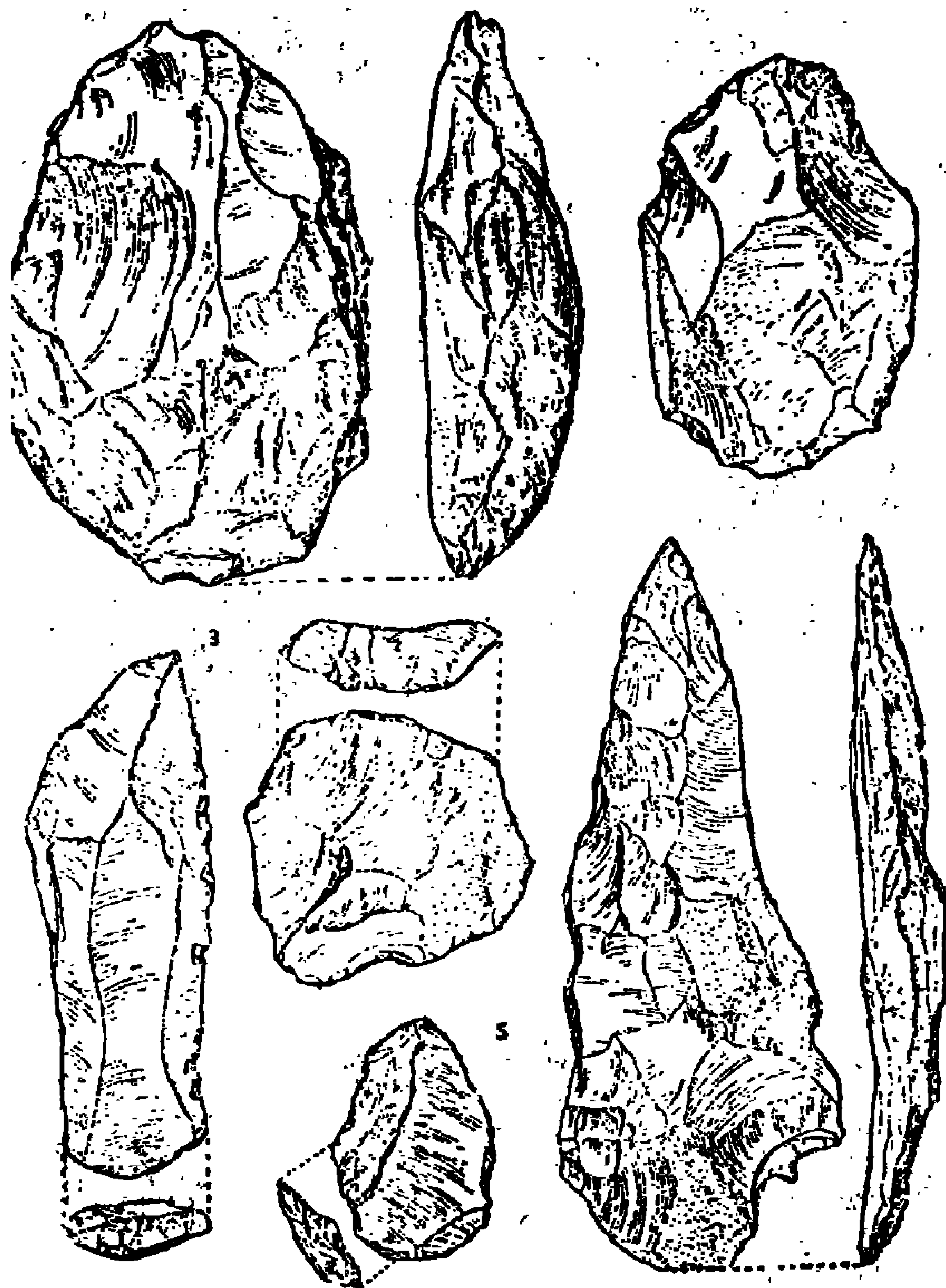


Fig. 8. Kharga Oasis : Acheulio - Levalloisian specimens. $(X\frac{2}{3})$

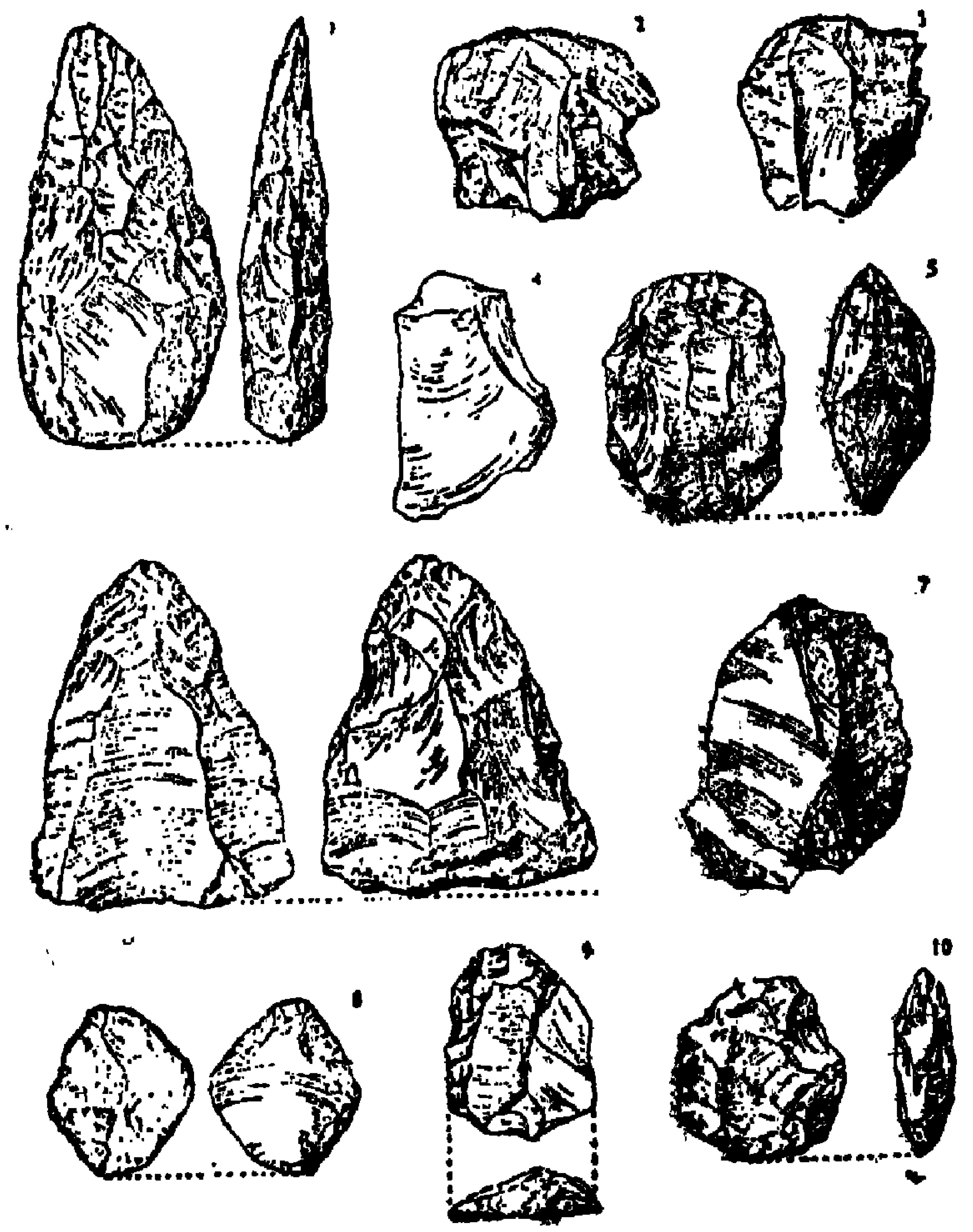


Fig. 7.—Nile Valley : Acheulio-Levalloisian specimens from 9 m. terrace ; (1 and 2) fragments of hand-axes, (3) trimmed flake, (4 and 5) coarse tortoise-core flakes, (6) flakes-blade (X $\frac{2}{3}$).

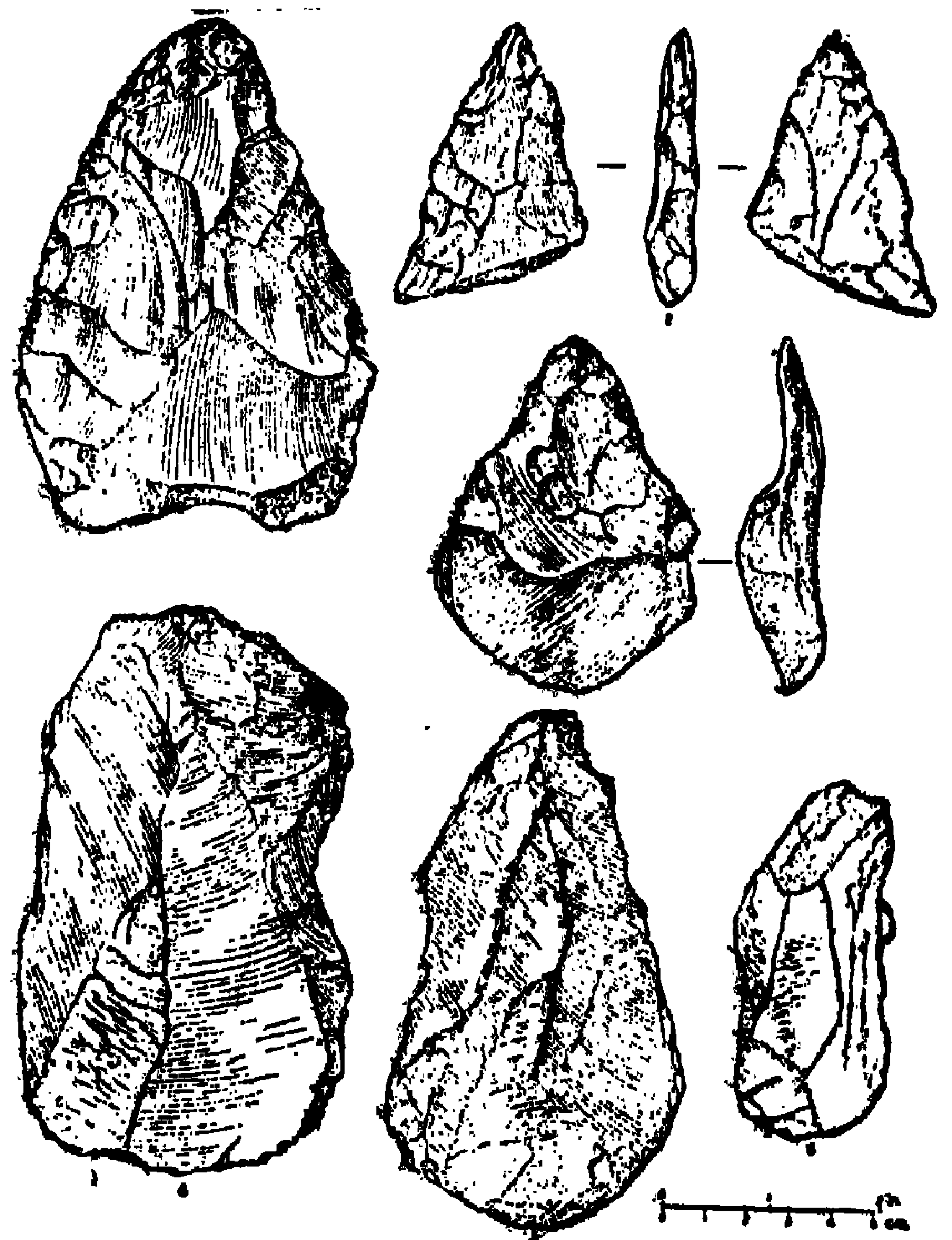


Fig. 6.—Kharga Oasis : Late Acheulian specimens with traces of incipient Levallois techoniques (X $\frac{2}{3}$).

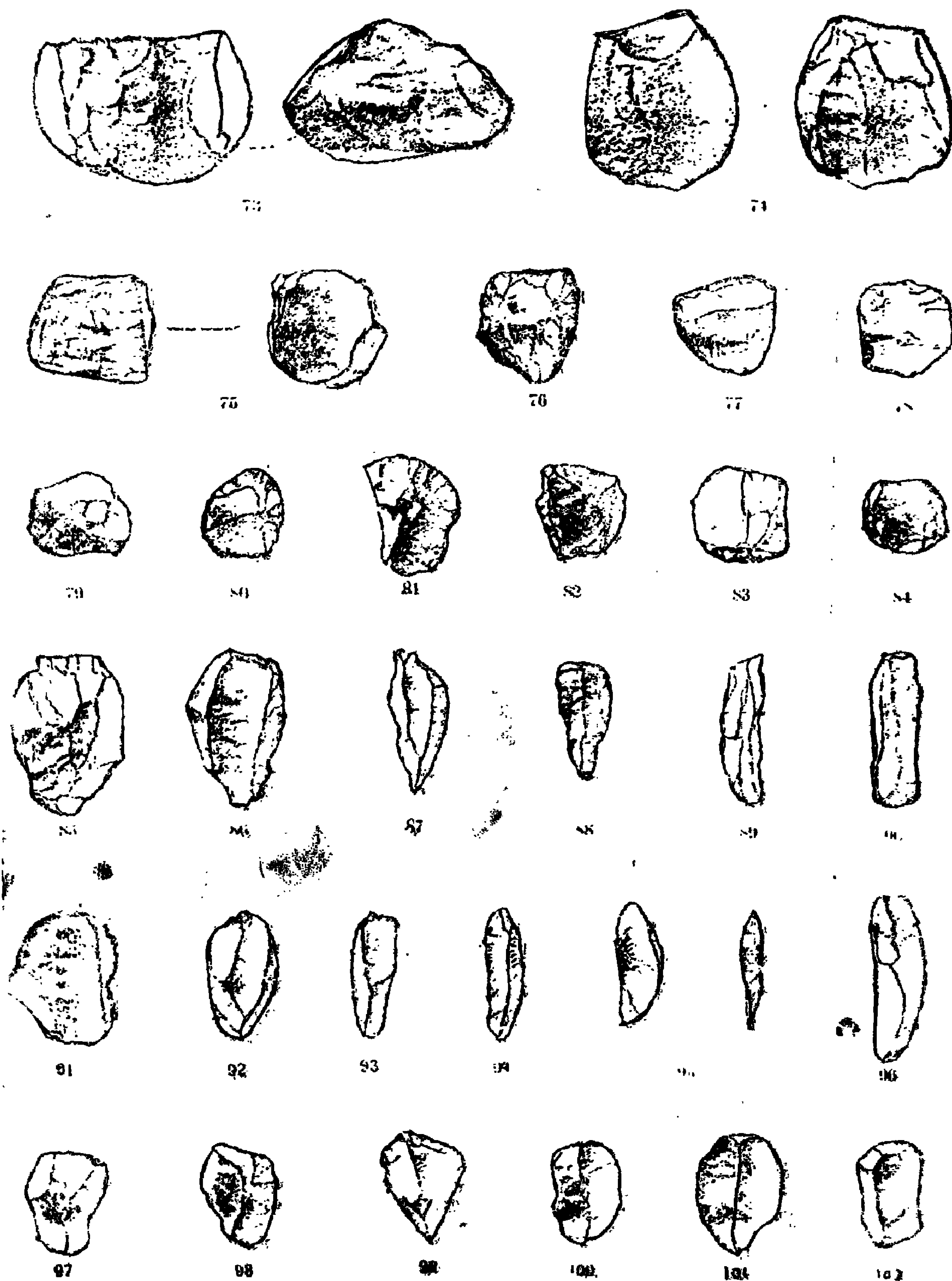
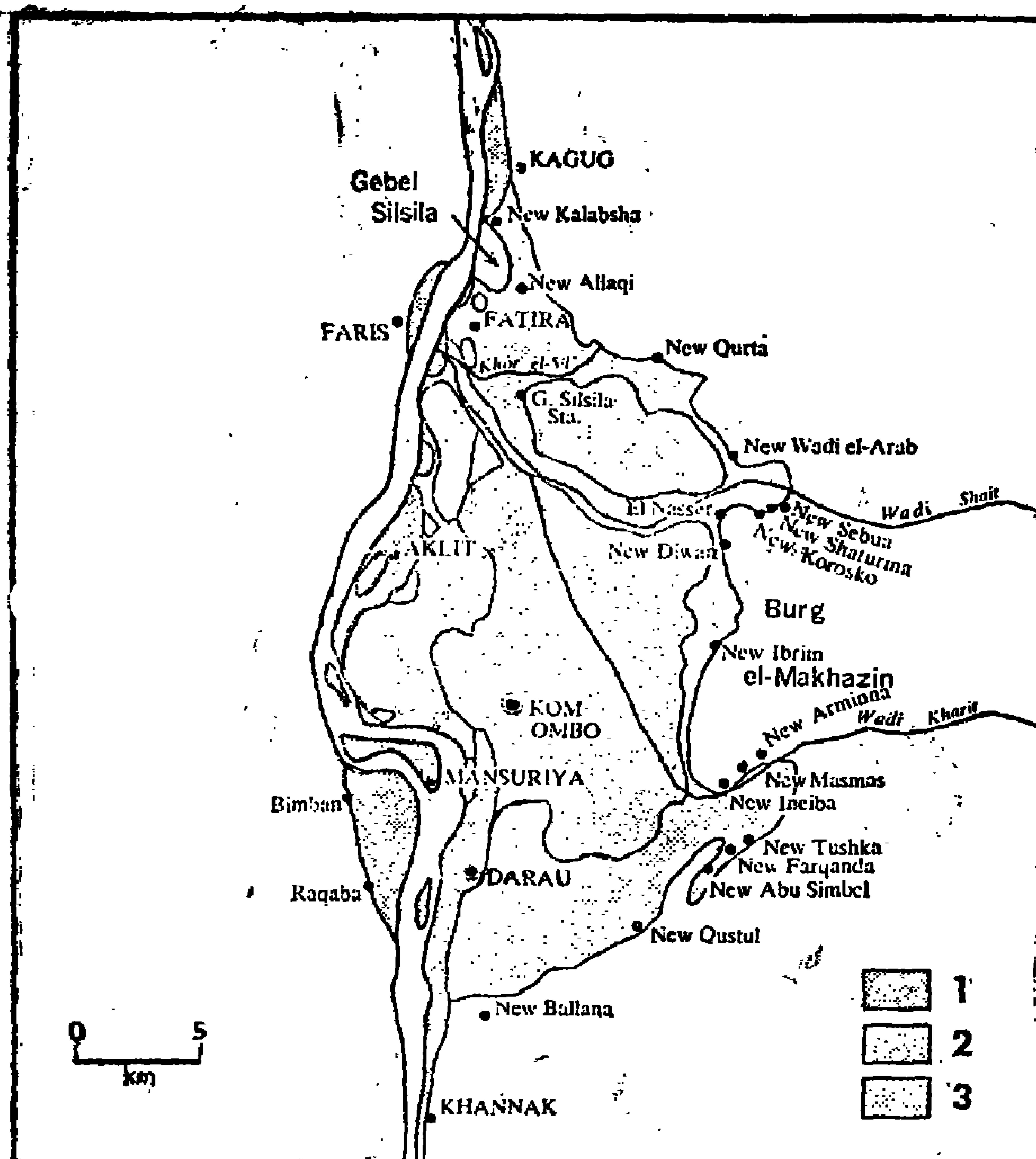


Fig. 5. Upper Sebilian implements from a site 40 above flood plain at Sibeira West, north of Wadi Halfa.



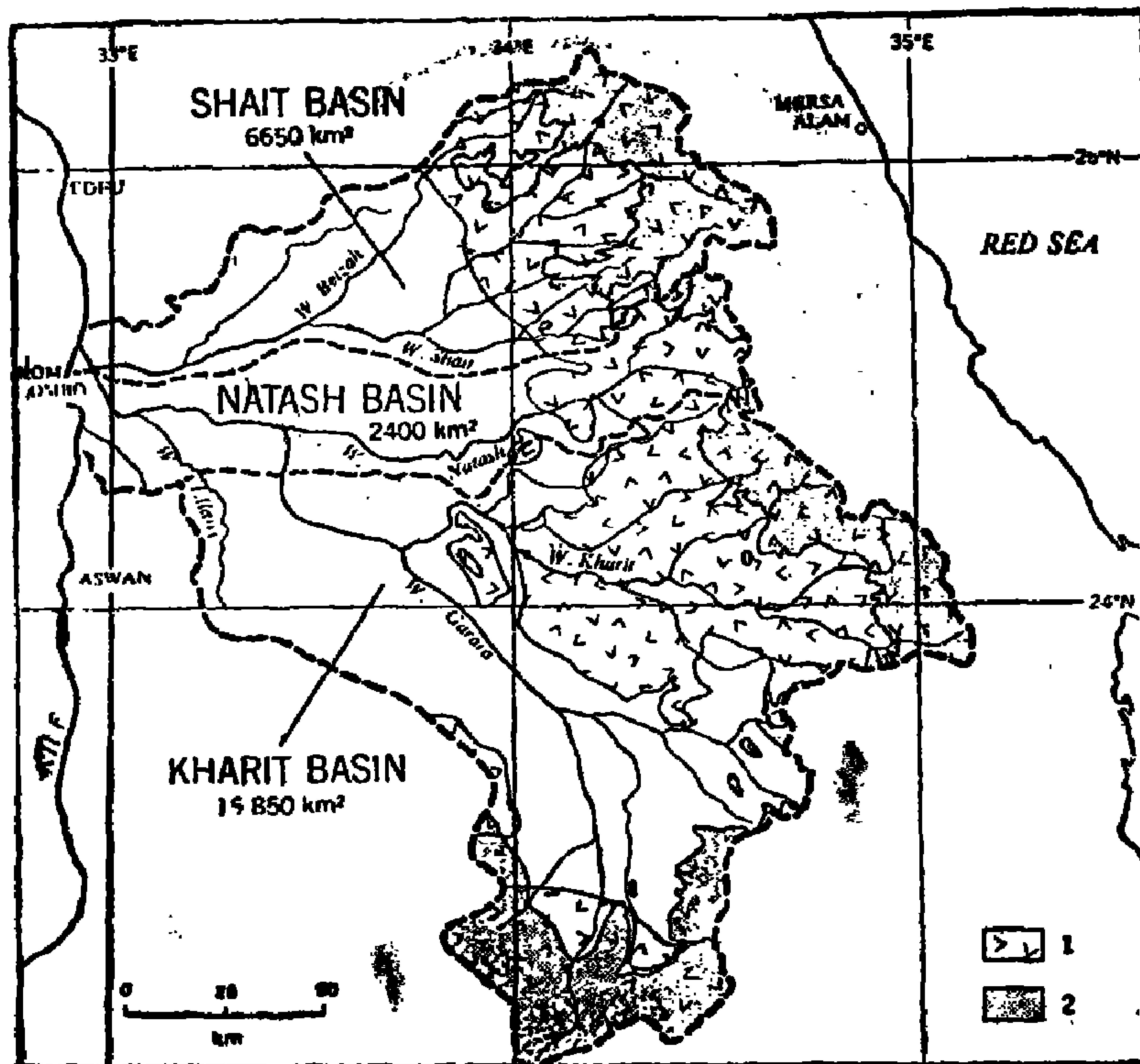
Map. 6. Settlement expansion on the Kom Ombo Plain, 1902-65. 1: Cultivated lands, 1902 ; 2 : Expansion of cultivation by Wadi Kom Ombo Company, 1903 - 29 ; 3 : Nubian resettlement areas graded and irrigated, 1961-65.

to be investigated gentelly. Beadnell, Hugh expressed the opinion many years ago that they did not occur (1) Ball, J. more recently, has stated that he thinks they may be expected anywhere in the Libyan Desert (2).

Throughout the Predynastic period, Egypt had been developing a series of small-to moderate sized ferming villages linked by the Nile and local trade in both luxury and utilitarian goods. Although this network of internal riverborne trade facilitated relatively frequent contacts among the communities which lined the Nile, it did not seem to reach out beyond the borders of Egypt to embrace the Near East (3).

---

(1) Beadnell, H.J.L. : Neolithic Flint Inplements from the Northern Desert of the Fayuum. Egypt. *The geological Magazine*, Decade IV, Vol. X, 1903, p. 53-59.
(2) Ball, J. : Problems of the Libyan Desert. *The Geographical Journal*. Vol. LXX, No. 3, Sept. 1927, p. 209-224.
(3) Chard, Chester S. : Man in Prehistory, p. 275.



Map. 5. The drainage basins of Wadis Shait, Natash, and Khepit. 1 : Basement Complex, after Atlas of Egypt (1928), Sanedford and Arkell (1933), and Gemini IV phlotography ; 2 : elevation above 500 meters. Demarcation of the Kharit-Natash divide near Kom Ombo is arbitrany to permit comparison of the formerly independent Natash and Kharit basins.

In Egypt, the earliest settlement in which pottery was used, that of Fayum «A», is dated about 4500 B.C. (1)

The emer (Triticum diccum) and barley are known in Egypt from various Neolithic sites (Fayum, Merimde, etc.) from about 400 years ago (2) .

The absence of Sebilian implements (Fig. 5) from the desert surface for from the Nile; reflected that the rain-full had virtually ceased in Upper-Egypt by Upper Sebilian times. Lower and Middle Paleolithic implements, but not Sebilian, may be found anywhere between the Nile and the Red Sea (Map 6). Concerning the wester desert, opinions differ. Although Lower and Middle Paleolithic implements have been know for many years to litter the surface between the Nile and Khargah Oasis (Fig. 6-10) their distribution in the remoter parts remains

(1) Mellaert, James : The Chalcolithic and early bronze ages in the Near east and Anatolia, p. 10.

(2) Monod, Theodone : «The Late Tertiary and Pleistocene in the Sahara». *In* : Howell, F. and Bourlière, London, Methuen & Co., 1964, p. 117-229 (p. 196).

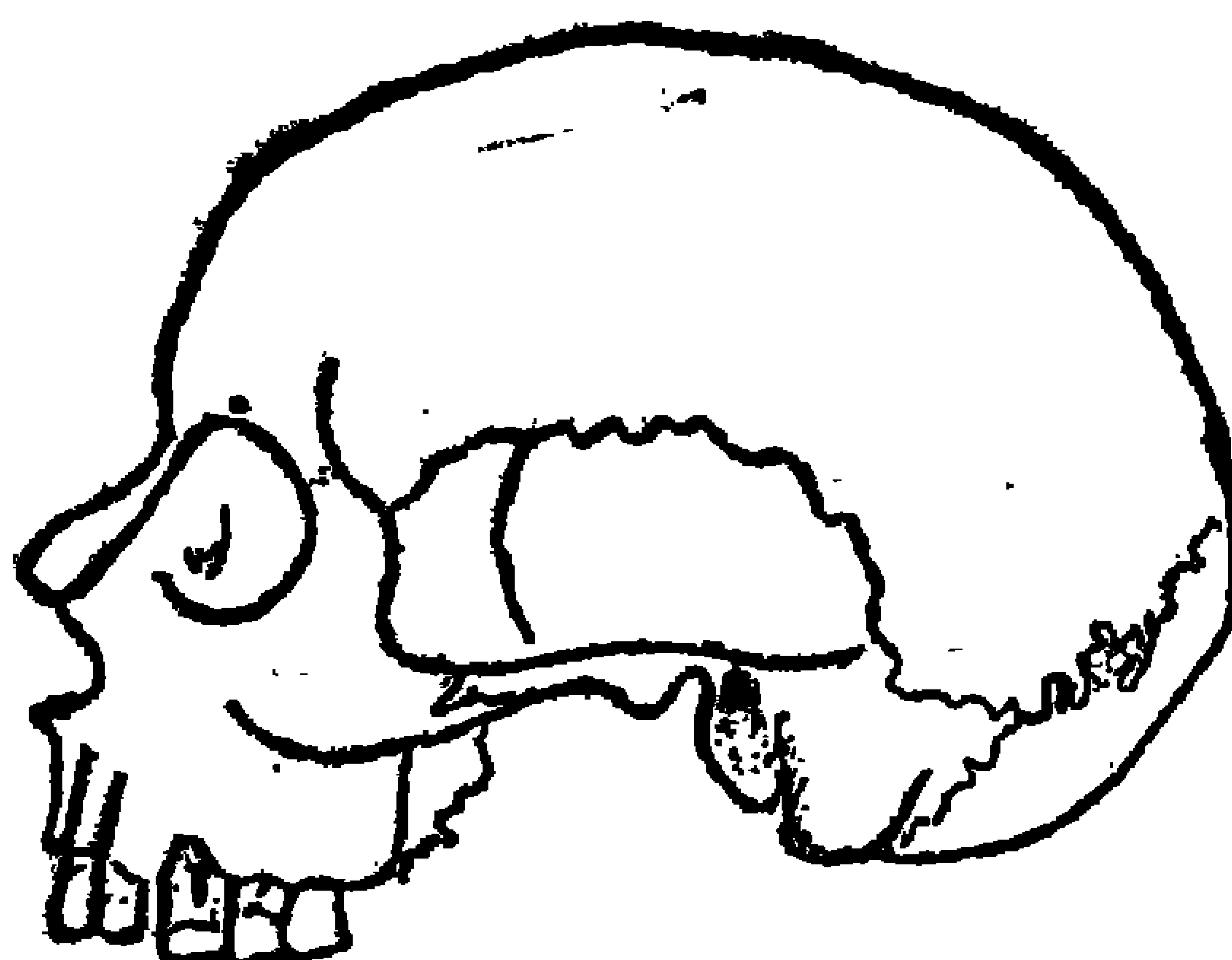


Fig. 4. Predynastic Egyptian Skull from Naga-ed-der (Heart Expedition)-Namow, high-bridged prominent nose.

America, the Mayan and Andean, but not one in Africa except the Egyptian, which was of Mediterranean origin, yet Central Africa was in touch with Egypt from very early times(1).

The most important intellectual achievement was undoubtedly the invention of systems of writing in all but one of the early centers of urbanism-although again it had little effect on contemporary life and its real impact was yet to come(2).

For the very recent periods of prehistory in the old world there was some hope of being able to do this because these recent periods - the late Neolithic, Bronze, and Iron Ages - over most of Europe and Asia were contemporary with the literate civilizations in Egypt and the Near East. In other words, history was being recorded and calendars were being kept in Egypt and Mesopotamia while many peoples of Europe were still in the Neolithic stage(3).

There are six areas of the world where urbanism and civilization developed apparently independently : Egypt, Mosopotamia, India, China, Mesoamerica, and Peru. All these hearths gave rise to great traditions and civilzations, and all seem to have developed more or less on their own. In other areas of the Old World, civilization and urbanism came later and largely as a result of diffusion from the primary hearths(4).

---

(1) Gates, R. Ruggles : Human Ancestry. Cambridge, Macc., Harvard Univ. Press, 1948, p. 199.
(2) Chard, Chester S. : Man in Prehistory, 2nd. ed. New York, McGrow-Hill, 1975, p. 61.
(3) Loc. cit.
(4) Ibid, p. 262.

The requirements of hunting and collecting (as were the people in the period of prehistory), keep the number of people who live near enough to one another to breed as a unit within about 500 or 600 inviduals. We may agree with C.S. Coon,[1] but cannot prove as he said, that the most of the fossil men was lived in population of this size or even smaller. There is no logical reason why their populations should have been larger, at least in the earlier periods. [2] (Fig. 4).

We all already know how is the importance of fire is to the physical and culture evolution of man, this fact is need not be repeated here again. But if it can be shown that some geographical races got fire before others did, the implication will be that those who had it first were also the first to receive its evolutionary benefits, and that those who obtained it last must have been correspondingly retarded.

Unfortunately, the absence of fire can be indicated only by negative evidence. We cannot expect to find charred wood and bone in disturbed sites such as gravel beds, and if we find such evidence, as found it was at Swanscombe on the Thames in England, we are extremely lucky. In Africa there is evidence that fire arrived late, as late as 40 thousand years ago. In the earlier habitation sites such as Olorgesailie in Kenya, where layer after successive layer of hand axes, cleavers, and meat bones have excavated with the most meticulours care, not a trace of charcool or charred bone has been found[3].

Both Louis Leakey and Demond Clark, who are among the most painstaking and observant excavators in the world, have stated their conviction that in East Africa the entire hand-axe period was fireless almos to the end. If future excavations confirm this erudite opinion, we shall have one explanation of the extraordinarily slow pace that human evolution followed, in the Middle and Late Pleistocene, in Africa south of the equator, and perhaps also south of the Sakara[4].

This idea means that the pace of the evolution of man (may be physically and culturally) in Africa North the Sakara and within, was more rapidly than it was South the Sahara.

Human Industries and Civilization in Early Egypt :

Toynbee, A.S. in his «study of history» (1962), lists twenty-one human societies or civilizations in al history. These include two in

(1) The Origin of Races, p. 101.
(2) Loc. cit.
(3) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 332.
(4) Loc. cit.

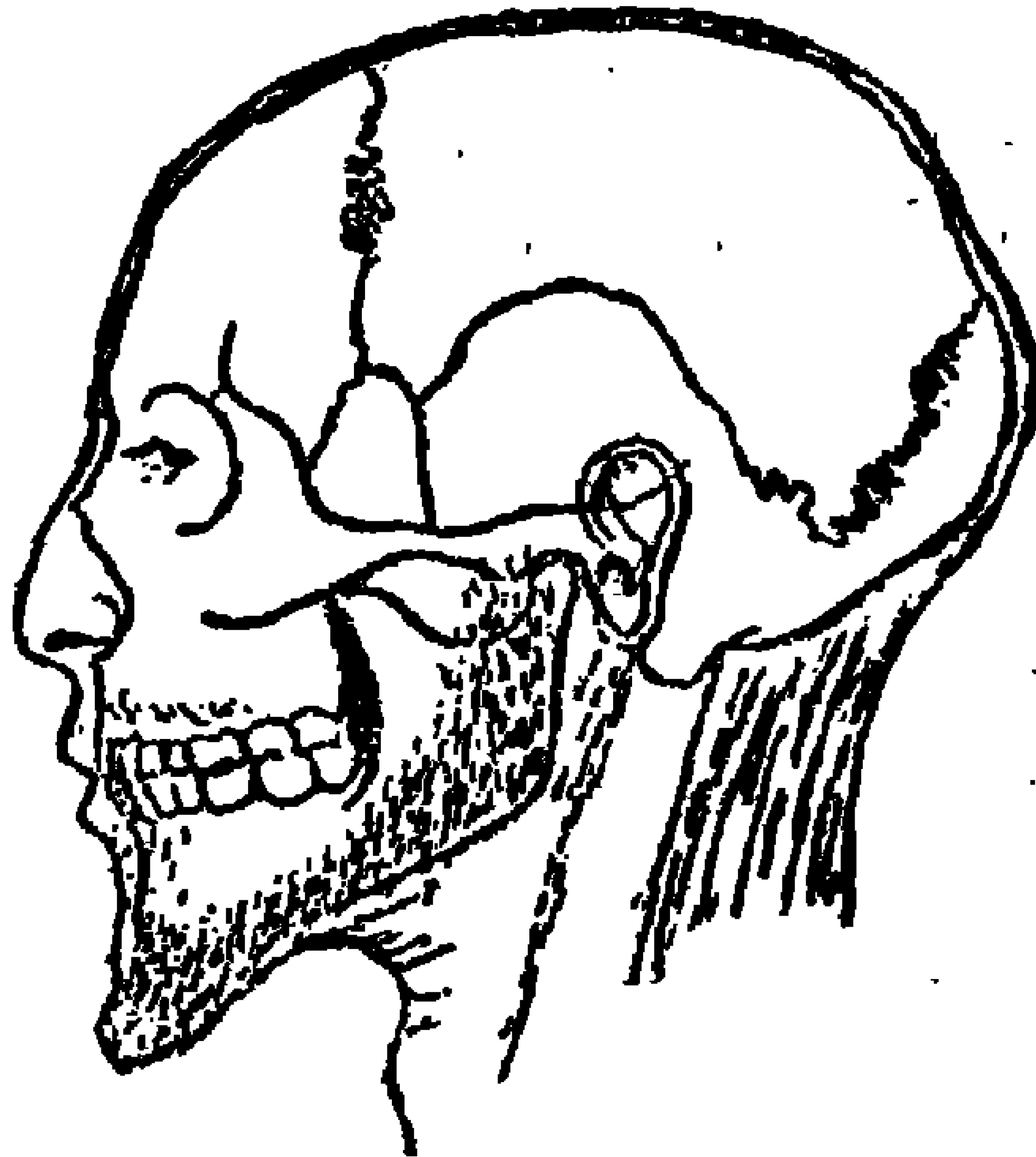


Fig. 2. Profile view an Early Predynastic shull from Naga-ed-der (Heart Expedition). Beard and soft parts drown from other specimens from the same site.



Fig. 3 Proto - Egyptian as represented in a pontait statutte by a contemporary artist (Circa 3400 B.C.) From Hterakonpolis After Qutbell.

A detailed comparison of all the ancient Egyption anthoropological material leads to the following main conslusion [1] :

a) In Pre-dynastic times there was a primitive, dolichocephalic race living in Upper Egypt which may have been directly desended from the people whose paleolithic are found on the high desert floor on either side of the Nile Valley. Though quite distinct from the main population, it bears certain relations to that more advanced type which suggests that the two had a common origin. This so-colled Aeneolihic race as Flinders Petrie named it.

b) In Early Pre-dynastic times there were two distinct races man living in Egypt ; one is the Theboid and the other, it is a supposed in the Fayuom These may be colled the Upper and Lower Egyptian races. They were as closely related to one another as two adjacent peoples are generally found to be, and there can be no doubt that they diverged from the same branch of the human tree at no very early date. [2]

The series represent various stages in transformation of one type into the other. The types shown in the following table(5), were relected because each represents an adequate number of crania and shows no signs of intermixture with any race foreign to Egypt. The order in which they are arranged is that deduced from a comparison of the coefficients of Racial likeness between them [3]

(1) Ibid, p. 4.
(2) Loc. cit.
(3) Morant, G.M. : A Study of Egyptian Craniology from Prehistoric to Roman Times. *Biometrika,* Vol. XVII, Nos. 1 and 2, June 1925, p. 5.

TABLE 4 : Some anthropometric measurements from different areas in Africa (1)

	No. of kulls	NH'R	NB	100NB/ NH;R	P	N	B	GL	G'H	100GH/ GB'	100H' L/
Early Predynastic Egyptian	40	50.1	25.2	50.3	—	67°.0	40°.4	98.8	69.2	—	73.3
Zulu (Negroes)	20	47.2	27.3	58.1	—	70°.1	39°.8	101.0	69.5	72.1	75.0
Congo (,,)	50	47.2	26.0	54.2	82°.8	69°.3	37°.9	96.5	63.4	66.9	75.4
Dchagga (,,)	12	44.3	27.8	62.2	—	73°.0	38°.6	105.0	68.2	70.5	73 2

TABLE 5 . Some Anthropometric measurements from Egypt (2)

	B	100B L/	100B H'	H, ,NH		100NB	NL	GL	L	LB	AL
Early Pre dynastic Measured by Thomson & MacIver	131.4	71.7	98.1	134.0	124.3	50.3	67.0	98.8	183.5	102.	072.0
Naga 'la ( ) A & Q Groyps Fawcett	132.7	71.8	88.2	133.8	125.9	50.0	65.5	96.7	184.7	101.7	73.3

(1) Morant, G.M. : A Study of Egyption Craniology from Prehestoric to Roman Times. *Biometrika*, Vol. XVII, Nos. 1 and 2, June 1925, p. 5.

(2) Ibid, p. 6.

TABLE 3 : Data relating to the Difference between Miss Stossigezs (S.) and Professor Derrys (D.) Measurements of the 1924—1924 Badarie skulls (1) (*)

Character	N	Maximum difference (D.—S.)	Mean difference (D.—S.)	Standard deviation differences	Molė O's of Egyptian E series	Presumed probabte upper of mean for 35 skulles
L	53	—2.0	— .22±060	0.65±.043	5.72±.09	.65
B	52	—3.5	+ .02±.068	0.73±.043	4.76±.08	.54
B'	53	+2.5	+ .40±.067	0.72±.047	4.05±.06	.46
H'	52	+3.0	0.34±.065	0.70±.046	5.03±.08	.57
U'	53	+6.5	+1.29±.200	2.16±.142	13.77±.22	1.57
S1	8	—1.0	—.06	—	—	—
S2	8	+&-2.0	+.13	—	—	—
S3	8	—2.0	—.37	—	—	—
S	8	—2.5	—.31	—	—	—
J	33	+2.5	—.03±.087	0.74±.061	4.57±.08	.52
GB	45	—5.4	—.43±.145	1.44±.102	4.67±.08	.53
LB	53	+&—1.0	—.15±.036	0.39±.026	3.97±.06	.45
G'H'	47	—2.5	—.79±.064	0.65±.045	4.15±.07	.47
NH,L	47	—2.3	0.64±.064	0.65±.045	2.92±05	.33
NB	47	—2.1	+.07±.053	0.54±.038	1.77±03	.20
O1,R	46	—2.9	—.76±.075	0.75±.053	1.67±.03	.19
O'2,R	45	+3.2	—.23±.071	0.71±.050	1.91±.03	.22
O2,L	44	—1.4	—.49±.050	0.49±.35	1.88±.03	.21

(1) Morant, G.M. ; A Study of Predynastic Egyptian Skulls from Badari Based on measuremests taken by Miss B.N. Stoessiger and professsor D.E. Derry. Biometrika, Vol. XXVII, parts 3,4, Oct. 1935, p. 293-309.

(*) Nagada I and Nagada II culture in Egypt were around 3600 B.C. (Monod, Theodore : «The Late tertiary and Pleistocene in the Sahara». *In* : Howell, F. Clerk and Bourlière, F. (eds.) : African Ecology and Human Evolution. London, Methuen & Co., 1964, p. 162),

TABLE 2 : Some Anthr opometrid Measuremenrs of some 1924-1925 Badarie Skulls (3)

Sexing	Sex	L	B	H'
Stoesseger		183.4 (27)	131.2 (27)	134.0 (26)
Derry	♂	183.5 (23)	131.9 (23)	134.5 (22)
Archaeological Report		182.2 (24)	131.6 (24)	133.6 (23)
Stoessiger		177.2 (15)	131.1 (15)	128.9 (15)
Derry	♀	178.3 (19)	130.1 (19)	129.4 (19)
Archaeologieal Report		179.7 (18)	130 6 (18)	130.3 (18)

When we discuss the origin of the Negroes in Africa, we can notice that they are a distinctive people, anatomicall yand phyniologically, and must have arisen in another part of Africa, probably north and west of the Congo Basin. There evidence is scarce and of late date(1).

The oldest skeleton that all writers agree was that of a Negro in the so-called Asselar Men, found in 1927 by M.V. Bernard and T. Monod, in a dry bed of a wide and permially flowing river near Tilemsi depression in the Sahara, 400Kilometers north of Timbuktu, (2) No implements were associated with this skeleton, with it, however, were found the remains of fresh-water molluscs, fish, crocodiles and various gazelles and antelopes, all of which still exist, but not in the Sahara. It was that of an adult male at least five feet seven inches tall (170 cm.), whose long bones were slender, whose forearms were long in relation to his upper arms, and whose lower legs were long in relation to his thighs. His pelvis, vertebrae, and hand and foot bones were all Negoid. In Fact, from the neck down he was altogether a Negro.

Kollmann, J. (1903) cites a pygmy skull from Abydos, upper Egypt, probably 4.000 years old(3).

In 1905 Biassutti, R.,(4) first noticed Bushman-like traits some of the oldest ancient Egyptian skulls, and since then the theory has been proposed and rejected several times. The writer himself noticed on his fieldwork study in December 1978, in Baharia Oasis in western desers of Egypt, that there are many Bushmenoid traits among some people there (Fig. 2).

The characters NH(R), NB, NB/NH(R), PL, NL and BL clearly distinguish the Egyptian from all Negroid types ; they seem to be very constant for the latter. At the same time G.M. Morant found(5) that for each one of those measurements the Upper Egyptian types are nearer to Negro values than are Lower Egyptian, and the Early-Pre-dynastic is very slightly nearer to the Negroes than is the Nagada type(6) (Fig. 3).

---

(1) Ibid, p. 649.

(2) Boule & Vallois : L'Homme Fossile d'Asselar, Sahara. *Archives de l'Institut de Paléontologie Humaine*, Paris, No. 9, 1932.

(3) Gates, R. Ruggles : Human Ancestry, p. 207.

(4) Biasutti, R. : Crania Aegyptica. *Archivio per l'Antropologia et la Etnologia*, Florence, Vol. 35, 1905, p. 322-362.

(5) Morant, G.M. : A Study of Egyptian Crainology from Prehistoric to Roman Times. *Biometrika*, Vol.XVII, Nos. 1 and 2, June 1925, p. 8.

(6) Loc. cit.

know that kind of a caterrhine it was. In its general configuration it resembles an ape rather than a monkey, but that is inconclusive.

The earliest remains in Egypt are found in Fayum region, where a series of Oligocen deposits were laid down when the area was covered with swampy rain forest. A large number of primate remains have now been recovered from these deposits representing a number of genera including the early «monkeys» Apidium and Parapithecus, and the primitive «apes» Oligothecus, Aeolopithecus, Propliopithecus, and Aegyptopithecus. For many years the amount of fossil material from the Fayum region was small and fragmontary and there was much speculation concerning its phylogenetic status.

However, as a result of present excavations some of the above genera are now known from extensive material. Apidium and Parapithecus are remarkable among Old World anthropoids in having three premolars in both the upper and lower jaws, but the cranial remains of Apidium and the molar tooth morphology in both show them to be quite definitely Anthropoidea. Further the incipient bilophodontz (tendency for the anterior cusps to be joined transversely to form a bar, and the posterior cusps likewise) of the molars, so characteristic of cercopithecoidea identifias them with this group.(1) The upper canines are large but the lower ones small ; the molar tooth morphology is essentially of ape-like form. So far as can be judged from the postcranial material, Aegyptopithecus was probably an active runner and perhaps leoper in the canony of the forests which covered the Fayuum in Oligocene times (2).

The first elements of Miocene fauna of North Africa were discovered in Egypt, (3) in the Moghara Oesis 150 kilometers southwest Alexandria.

Lower Pleistocene archaeological sites are as old in North as in East Africa. Moreover, what may be the oldest Austrolopithecine yet found comes from the heart of the Sahara from Tchad, halfway between these two most ancint archient archeological regions. Thus, North, Africa has as good a claim to the title of Cradle of Mankind as Tanganika(4).

---

(1) Herrison, G.A. et al : Human biology ; An introduction to Human evolution, variation, growth and ecology, 2nd. ed. Oxford, Oxford Univ. Press, 1977, p. 37.
(2) Ibid, p. 38.
(3) Fourtau, R. : «Contribution à l'étude des Vertébrés miocenes de l'Egypte. 2nd. ed., Cairo, Geol. Surv. of Egypt, 1920.
(4) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 590.

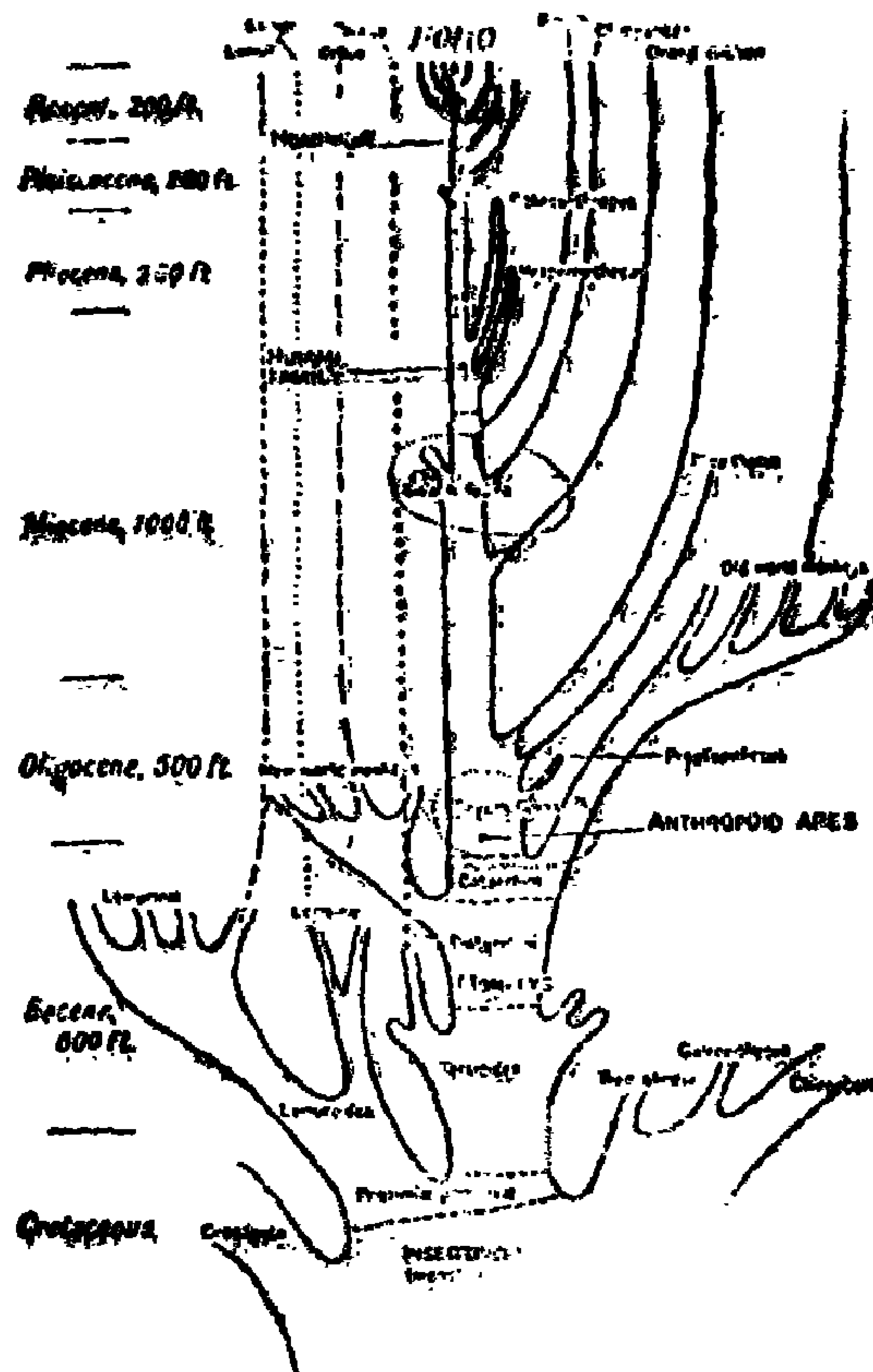


Fig. 1. Phylogenetic tree of the Primates (From Elliot - Smith, 1927) Note the suggestion of an ancestral relationship between tarsiers and simians and the departure from the usual anthropocentric representation of Man as the most advanced form, on the fare right of the tree.

monkeys and the Hominoids. One was «Amphipithecus», found in an Upper Eocene deposit in Burma,(2) the other was «Parapithecus»(3), from the Lower Oligocene beds of the Fayum in Egypt. Now both of these have been discredited. Not only do we lack a comon ancestral catarrhine, but we have no fossil cercopithecidae older than the Lower Miocene, at which time genuine Old World monkeys appear in East Africa. A small frontal bone from the Lower Oligocene beds of the Fayum has recently been identified as that of a primate, probably a catarrhine(4), but this does not solve the problem because we do not

(2) Colbert, E.H. : A New Primate from the Upper Eocene Pondaung Formation in Burma. : *American "Museum Novitates,"* New York, No. 951, 1937.

(3) LeG. Clark, W.E. : New Paleontological Evidence Bearing on the Evolution of the Hominoidea. *Quarterly Jour. of Geolog. Sciences*, London, Vol. 105, Part 2, 1949, p. 38.

(4 Simons, E.L. : An Anthropoid Frontal Bone from the Fayum Oligocene of Egypt : the Oldest Skull Fragment of Higher Primate. *American Museum Novitates*, New York, No. 1976, 1959.

The Evolution of Man in Egypt :

What do we mean by term «Man»?. Can we define man in terms of the size of his brain ? It may be usefull in the first forms of man, but among modern men the dimensions of ones brain do not correlate very well with genius. And it is in fact-dealing with the brain-not what one has but what one does with it, that counts.

In recent years students of prehistoric man have often defined man as a creature who manufactures tools in a constant, repeated pattern. This test has considerable usefulness but also serious limitations. Tools made of wood, bone, and similar materials do not survive well in most conditions (1); and there is evidence that chimpanzees, for example, can fashion useful objects for their needs. If we do take stone tools as a rough indicator, then mankind has existed certainly for one million years and quite probably for 2½ million years. There are other aspects of «Man» which one most not overlook. For some of us and I am one of them «Man» is distinguished from all other creatures by the possession of the soil. (2)

Man is distinguished from other primates by his upright posture, bipedal locomotion; peculiarly prehenile forelimbs, his large brain, and the ability to make and use many kinds of tools. Man's humanity shows itself in the may complicated social and cultural patterns that are unique to his kind. Some of the stages whereby this transformation from a quadrupedal ancestor was effected can be adduced from a study of the fossil record as it is known from the discoveries in east Africa and Egypt. (Fig. 1).

As far as we know at present, tool-making began in Africa in the second half of the Lower Pleistocene, with split pebbles, choppers, and chopping tools. This simple technology spread as far as Southeast Asia and Indonesia. At this point the hominid would knew but a single way of making tools. The toolmakers of Africa and Palestine had added coarsely chipped, ball-like implements to their repertoire, and these new items were apperently not diffused to the East (3).

Until a few years ago two small and ancient fossil mandibles were believed to provide a common catarrhine link between the Old World

---

(1) Starr, Chester G. : Early Man. New York, Oxford Univ. Press, 1973, p. 19.

(2) Shewika, F. A. Gawad : The Humane Man (in Arabic). *Bulletin of the Faculty of Arts*, Univ. of Cairo, Vol. 34,35, Part 1-2, 1971, p. 1-81.

(3) Coon. C.S. : The Origin of Races. London, Jonathan Cape, 1963, p. 333.

Wadi Qena is a broad and deep valley which joins the Nile from the north at Qena twon, about 40 miles north of Luxor. The history of the two valley is closely associated, and the former explains some of the problems of the latter. Like all the tributaries of the Nile (north of the Atbara), Wadi Qena is now a dry valley and a desert. The oldest beds visible within the walls of the valley-system are of Pleocene age, deposited in a gulf of the Mediterranean. This had been cut by reveresion during the elvation of the Egyptian plateaux in Miocene and (in the south) northy in Oligocene times, and it was then flooded to a height of at least 550 feet above present sea-level. A non-fossiliferous series of strata was deposited in it : breccia and conglomerate at the valley-sides interdigitating with limestones, which, towards the centre, give place to clays and marks and, rarely, to sandy beds of quartz derived from the south. Great thicknesses of travertine are locally present in the series.

Re-elevation carried the flooded valley-system back to fluviatile conditions in Plio-Pleistocen times, accompanied by the irruption of enormous quantities of detritus from the Red Sea Hills. Some interesting relics of this early invasion are to be found throughout the area.

In Pleistocene times an ordered succession of river-terraces was laid down in the Nile Valley and in all the major wadis, and by countless short tributaries rising in the Pliocene deposits which lined the sides of those valleys. A complicated series of local and non-local stages results, in which the meanders of the Nile (in particular) and their effects on the local stages may be traced. The gravels of each stage contain Paleolithic instruments, and on the surface of each may be found the working-floors of the next succeeding industry. The sequence is :

100 - foot terrace : Chellean

50 - foot terrace : Acheulean

30 - foot terrace : Early Mousterian

15 - foot terrace : Mousterian

Thereafter (in Upper Paleolithic times) desert conditions began to assert themselves, and the Nile alone survived, supplied from more favoured regions fasther south.[1]

---

(1) Sandford, K.S. : «The Pliocene and Pleistocene Deposits of Wadi Qena and of the Nile Valley between Luxor and Assiut». London, (Read May 29th, 1929) *Quart. Journ. Soc.*, Vol. XXXV, Pt. 4, 1924, p. 493-548.

The western plains and plateaus of Nubia and Upper Egypt probably remained in a semi-desert state for a very long time, and to the end of the geologically dated record there is only one known occurrence of an incorporated sand dune-in the silt on the west bank between Gebelein and Armant. It suggests, however, at least a semi-desert climate at the time of silt accumulation. On a hard limestons plateau the border between semi-desert and desert is a narrow one(1).

On the whole, then, it appears that run-off began to fail in Nubia at the close of Acheulean in Upper Egypt during Mousterian, times ; that it failed entirely in Nubia by the close of the Sebilian aggradation, and in Upper Egypt but little later; and that sand accumulated locally near the river in small dunes in the north before it did so in the south. The sand was derived, however, from the western plains, and it is possible that from an early date their climate differed from that of the Nile(2).

The great work of S.A. Huzayyin (1941) (3) deals with the climatic and archeological evolution of the entire Sahara-Arabian belt and gives for the Sahara some sequences, we can introduced it here after transcribed it with several additions from a more recent version by himself(4), as the following sequences :-

1. Two sort pluvials dating boch to about 666.000 years ago. (Pebble culture to Acheulian).
2. Along dry period (with short wet interruptions from 430.000 to 230.000 years ago (Acheulian).
3. A very long Saharian pluvial from 230.00 0to 70.000 years ago, with 2-3 submaxima (Acheulian, Levalloisium, Upper paleolithic).
4. Postpluvial, arid. with maximum in Upper Paleolithic (to Mesolithic).
5. Neolithic «Fairly wet phase» (5500 to 2500 B.C.). *)

(1) Sandford, K.S. and Arkell, W.J. : Poleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt, P. 86.
(2) Loc. cit.
(3) Huzayyin, S.A. : The Place of Egypt in Prehistory; a correlated study of climates and cultures in the Old World. Mem. Inst. d'Egypte, Cairo, Vol. 43, 1941, p.
(4) Huzayyin, S.A. : «Changes in Climate, Vegetation and Human Adjustment in the Sahara Arabian Belt with Special Reference To Africa». *In* : Thomas, W.L. (ed.) : Man's Role in Changing the Face of the Earth, Chicago, Univ. of Chicago Press, 1956, p. 313.
(*) This figures very similar to those of Butzer, K.W. (5000 - 2400 B.C.) (Butzer, K.W : Late glacial and Postglacial Climatic Variation in the Near East. *Erdkunde*, Vol. 2, 1957, p. 21-35).

TABLE 1–Pre Neolthic equence in Egypt. (2)

	Nile and Wadis	Climate	Vegetation
5000 B.C.			
Helwan Culture	No wadi activity, renewed aggadation.	Dry, warmer	Desert
Epi Levallois III	No wadi activity, Nile doen cutting	Dry, cool	Desert
Epi Levallois II	Wadi activity, Nile aggradation	Damper, cooler	Dry steppe
Epi Levallois I	First silt aggradation by floods	Dry	emi desert
Upper Levallios			
30.000 B.C.			
Levallois	Torrential aggradation	Damp, cooler	Dry teppe
	Little wadi activity,	Damper, warm	Thom avanna
	No wadi activity	Dry, warm	Desert
A. heulio	Renwed aggradation	Damp, cooler	Etesian steppe
Levallois	Little wadi activity	Dry	emi desert
Acheul	Torrential aggradation	Damp, cooler	Etesian steppe
	No wadi activity	Damp, warm	Thorn or grass savenna
Acheul	No wadi activity	Dry, warm	Desert
Lower Acheul	Torrential wadi and		Etesian steppe.
Abbevillian	Nile aggradation	Damp, cooler	

to the flat region extending from the south end of the Atlas Mountains to the Red Sea and includes all of Libya, Cyrenaica, and the northern Nile Valley (1).

I shall confire myself to an account of the recent reports of K.W. Butzer, which seem to offer the best resumé of the geological story and prehistoric culture of the Nile Valley. The following table (No. 1) show a mately picture.

The complex problem of the Nile and wadi terraces in Egypt (2) is directly or indirectly associated with the Mediterranean chonology of sea level fluctuations. Hence the Pleistocene terraces of many smaller rivers draining to the sea may be of great stoatigraphic importance (3).

The relations of the Lower and Middle Paleolithic levels in Egypt to the Mediterranean beashes may be summarized as follows (4). The 300 foot Nile terrace = 100-90 meter or Sicilian beach. The 200-foot Nile terrace = 60-55 meter or Milazzian beach. The 150-foot Nile terrace falls 9 meters below, but may also be tentatively correlated with, the Milazzian. Before the building of the High-Dam at Aswan; these terraces had been traced from Wadi Halfa in the Northern Sudan to Cairo.

W.J. Arkell had accompanied K.S. Sandford in three seasons of extension of work from the first cataract to the Mediterranean. The presence of large vertebrates in the early Miocene fluvial beds of northern Egypt is directly linked to the presence of a major (5), allochthonous river (6).

---

(1) Arambourg, C. : «Continental vertebrate founs of the tertiary of north Africa». *In* Howell, F. Clark and Bourlière, F. (eds) : African Ecology and Human Evolution. London, Metheuen & Co., 1964, p.55-64.

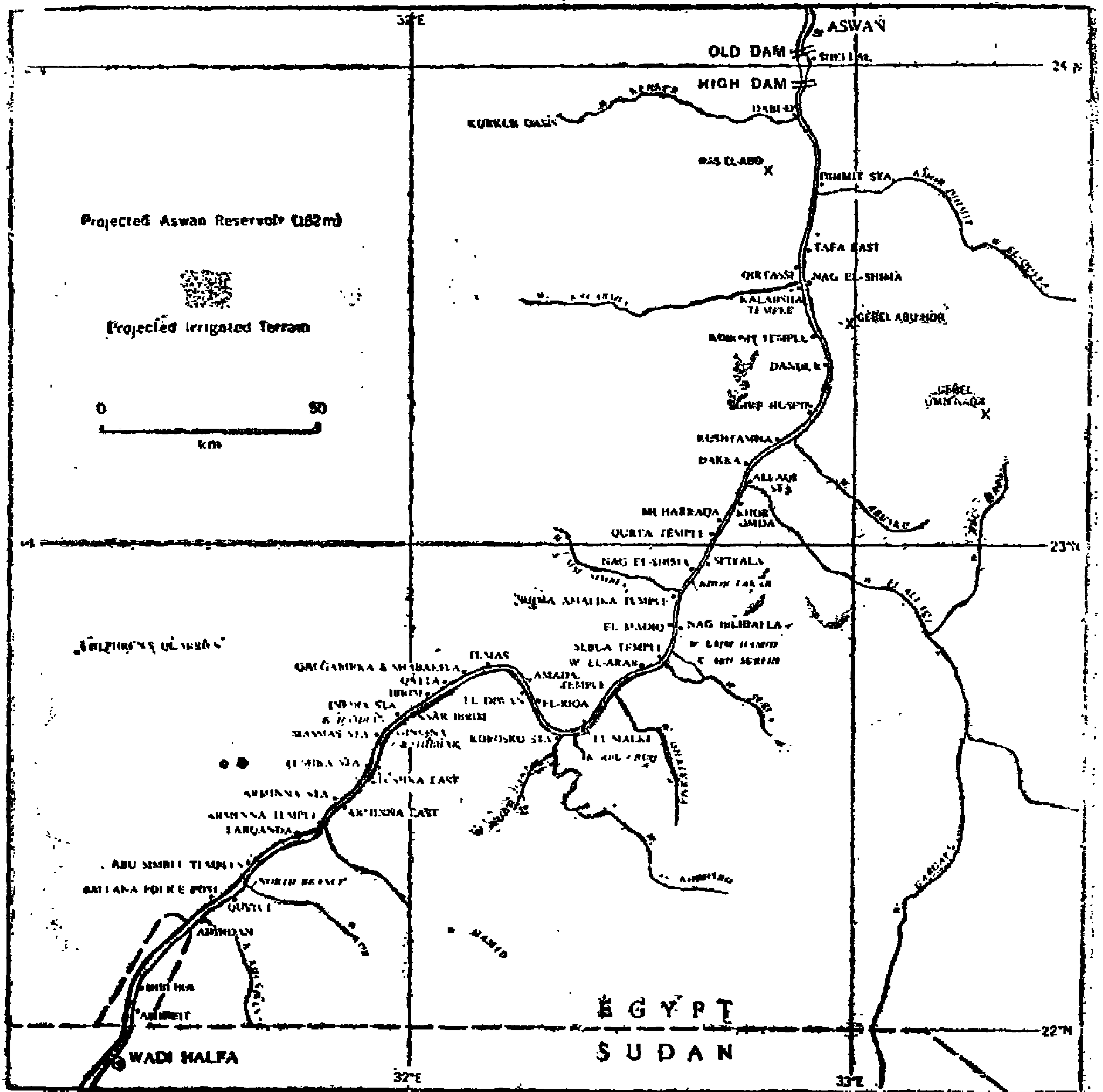
(2) Butzer, K. W. : Contributions to the Pleistocene Geology of the Nile Valley. *Erdkunde*, Vol. 13, 1959, p. 46-67.

(3) Butzer, K W. : Climatic-Geomorphologic interpretation of Pleistocene sediments in the Eura-frican subtropics». *In* : Howell, F. Clark and Bourlère, F. (eds.) : African Ecology and Human Evolution. London Methien & Co., 1964, p. 1-27.

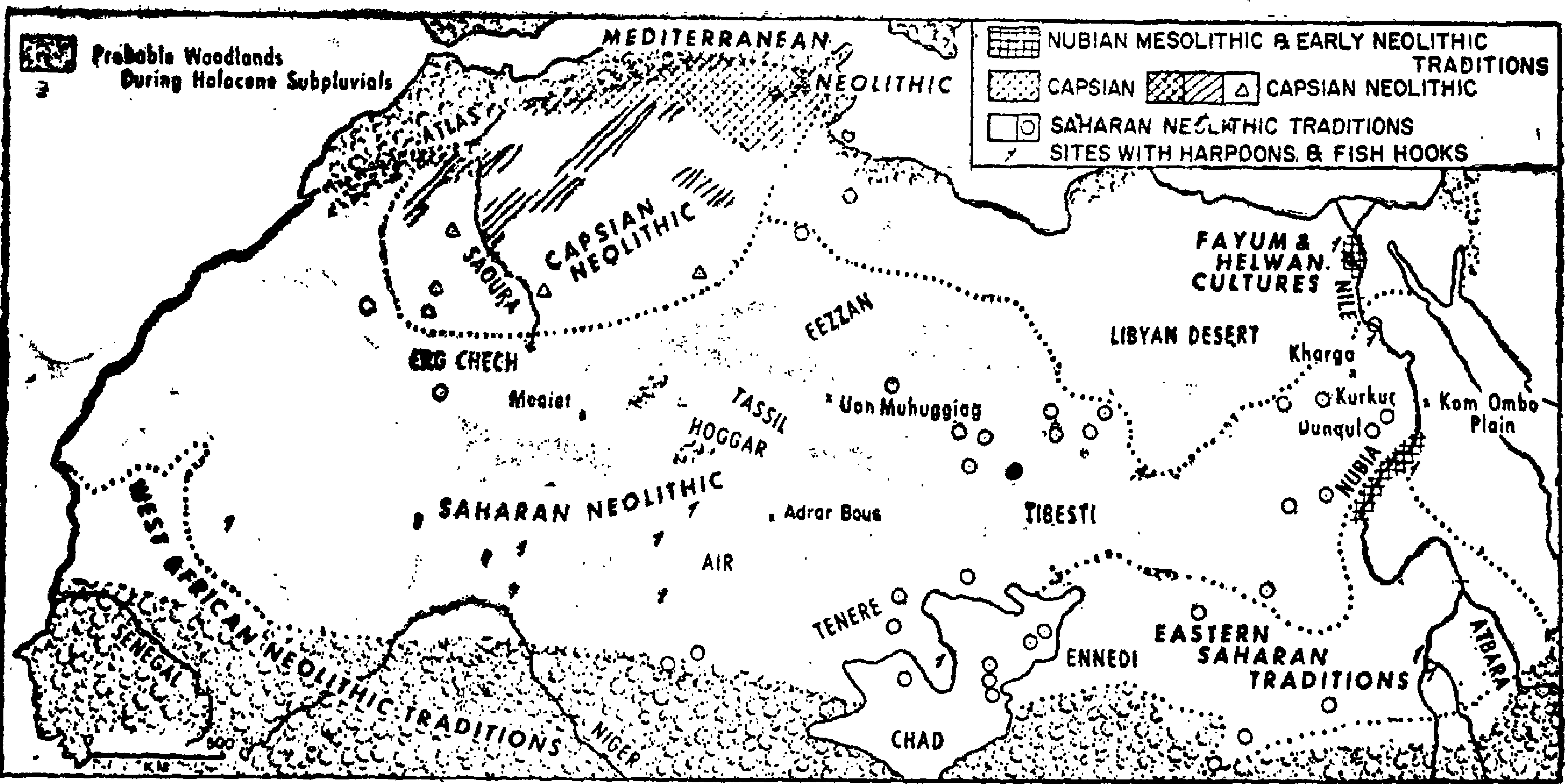
(4) Sandford, K.S. : «Paleolithic Man and the Nile Valley in Upper and Middle Egypt». Chicago, Univ. of Chicago Oriental Inst. Publications, Vol. XVIII, 1934, p. 124.

(5) Jolly, Clifford J. (ed.) : Early Hominids of Africa. London, Duckworth, 1978, p. 21.

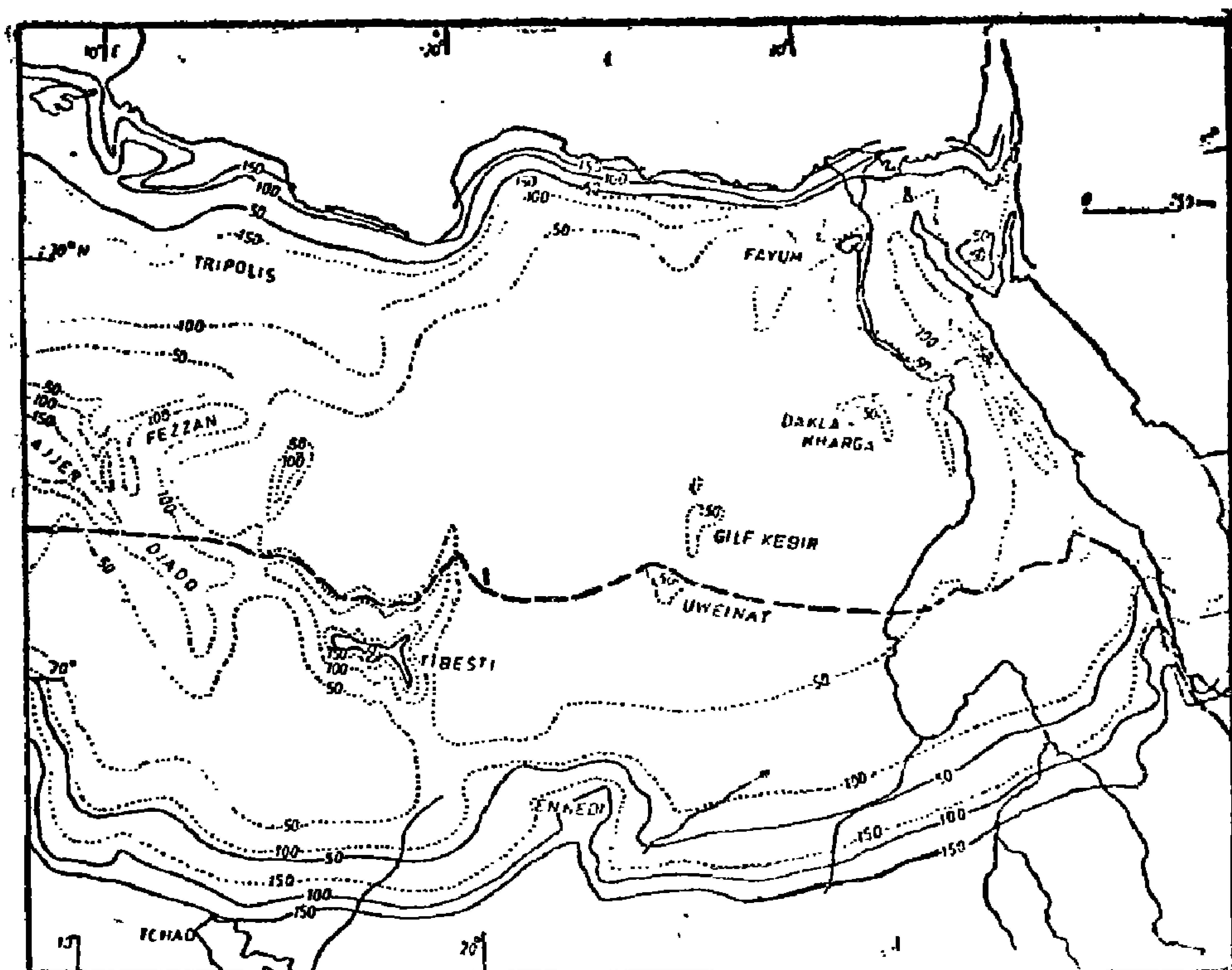
(6) Said, R. : The Geology of Egypt. Amsterdam, Elsavier, 1962, (allochthonous. A term applied to the material forming rocks which have been transported to the site of deposition) (Whitten, D.G.A. and Brooks, J.R.V. ; The Penguin Dictionary of Geology. London, Penguin Books, 1972, p. 22).



Map. 4. Lower Nubia



Map. 3. Mesolithic and Neolithic settlement in the Sahara.



Map .2. Present-day and Neolithic isohytes in eastern Sahara (From Howell, F. et. al. African Ecology).

eastern hills throughout were the main source of surface water. ([1]) (Map 5, p. 29 in this paper).

In upper Egypt the features of silt accumulation are similar to those in Nubia, but the local rainfall survived in some small measure. The vast mass of silt in the Kom Ombo plain was left virtually intact, however, and the wadi valleys from the eastern hills have been estabished across it to the Nile. In view of the large areas of silt surviving in exposed places, it must be assumed that the rainfall had virtually ceased in Upper Egypt by Upper Sebilian times.([2])

C. Arambourg said that there were in North African two kinds of areas under very different conditions. The first, which he call it the «Atlas Zones», corresponds to the broad zone of Pyrenean-Alpine folds, which make up the largest part of Maghreb, extending from the north of Mauritania to the Tunisian edge of the Gulf of Syrte. The second, which named by him also as «The Nilotic-Saharian Zone», corresponds

(1) Sandford, K.S. and Arkell, W.J. : Paleolithic Man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egypt, p. 85.
(2) Loc. cit.

Some Geographical and Ecological Features :

The interest in the research fieldwork in prehistory of Egypt was raised by the work of Hume, W.F. and to the importance of Kenneth-Stuart Sandford results by fining precisely for that district the date of the change, widespread in Africa, from moist to a desert climate.

During the Early Pleistocene and the interglacials of the Middle Pleistocene southern and Western Surope were tropical regions, connected by the Near Eastern land bridge to both the Oriental and the Ethiopian regions. Asiatic species were commoner in Europe at these times than African one, although both were present [1].

Africa and South-Western Asia seem long to have been joined by the Sinai Peninsul and so they provided a constricted gateway between Africa and Asia[2].

During pluvial periods similar floodings took place in Africa, in what is now the the Sudan and southern Sahara. Lake Tchad, now a shinking body of shallow water, was once a broad and deep lake. To its east extended, at least intermittently during the Pleistocene, an extensive area of swimps and sometimes possibly of lakes. This barrier extended from the Sabaluka Gorge, 50 miles north of Khartum, some 450 miles southward to about 10° North Latitude, [3] (Map 2).

These water barriers, and the existing great of East Africa, which were greatly enlarged during pluvials, must have restricted animal and human traffic in Africa, moving both north and south and east and west, to a few narrow highways, and made Black Africa nearly as inaccessible as western Europe. But after the Pleistocene the lakes and swamps shrank and the East African highlands were invaded at least twice by people from the north. (Map 3).

There is every reason to suppose that the part of the Nile basin draining into the Nubian area (Map 4) received a considerable rainfall in Pontic and later Pliocene times. Judged by the Pliocene deposits, it was abnormally heavy. There is no sign within our area of any desert period before Pleistocene times, and the Plio-Pleistocene terraces indicate a liberal water supply from the south, east (especially), and west. The

---

(1) Coon, C.S. : The Origin of Races. London, Jonathan Cape, 1963, p. 57.
(2) Birdsell, J.B. : Human Evolution ; An Introduction to the New Physical Anthropology. 2nd. ed. Chicago, Ran dMcNally, 1975, p. 167.
(3) Andrew, G. : «Geology of the Sudan» : In : Tothill, J.D. ; Agriculture in the Sudan. Oxford, Oxford, Univ. Press, 1948, p. 48-128.

and Eurasia and this particularly forwared primate evolution, including that of certain semiaboreal forms of Ape.

K.S. Sandford and W.J. Arkell spent two seasons of field work (1926-27, 1929-30) to investicate and make study about 350 miles of the Nile Valley between Luxor in Upper Egypt south to Serah in Sudanese Nubia (40 miles south of Wadi-Halfa), K.S. Sandford in the third Volume of «Prehistoric Survey of Egypt and Western Asia»[1], describes about 400 miles of the Nile Valley and some of its tributaries between Luxor and Beni Suef, with notes on the east bank between Beni Suef and Hilwan. New light was also brought to hear on the relationship of the Fayum to the Nile[2].

Butzer, K.W. spent since 1957 many seasons of research and field work in Nubia in Egypt and Sudan, he tries to complete Sandford's work, in fact he occupy the chair of Geography and anthropology at the University of Chicago. There were many books on the prehistory of Africa; some of it are: The Prehistory of East Africa by Sonia Cole, and «The Prehistory of Southern Africa by J. Desmond Clark» the two are of Pelicans, the last one is of Penguin : «The Stone Age of Northern Africa by C.B. McBurney ; «Eary Hydraulic Civilization in Egypt» by karl W. Butzer.

MEETHOD, MATERIAL AND DISCUSSION.

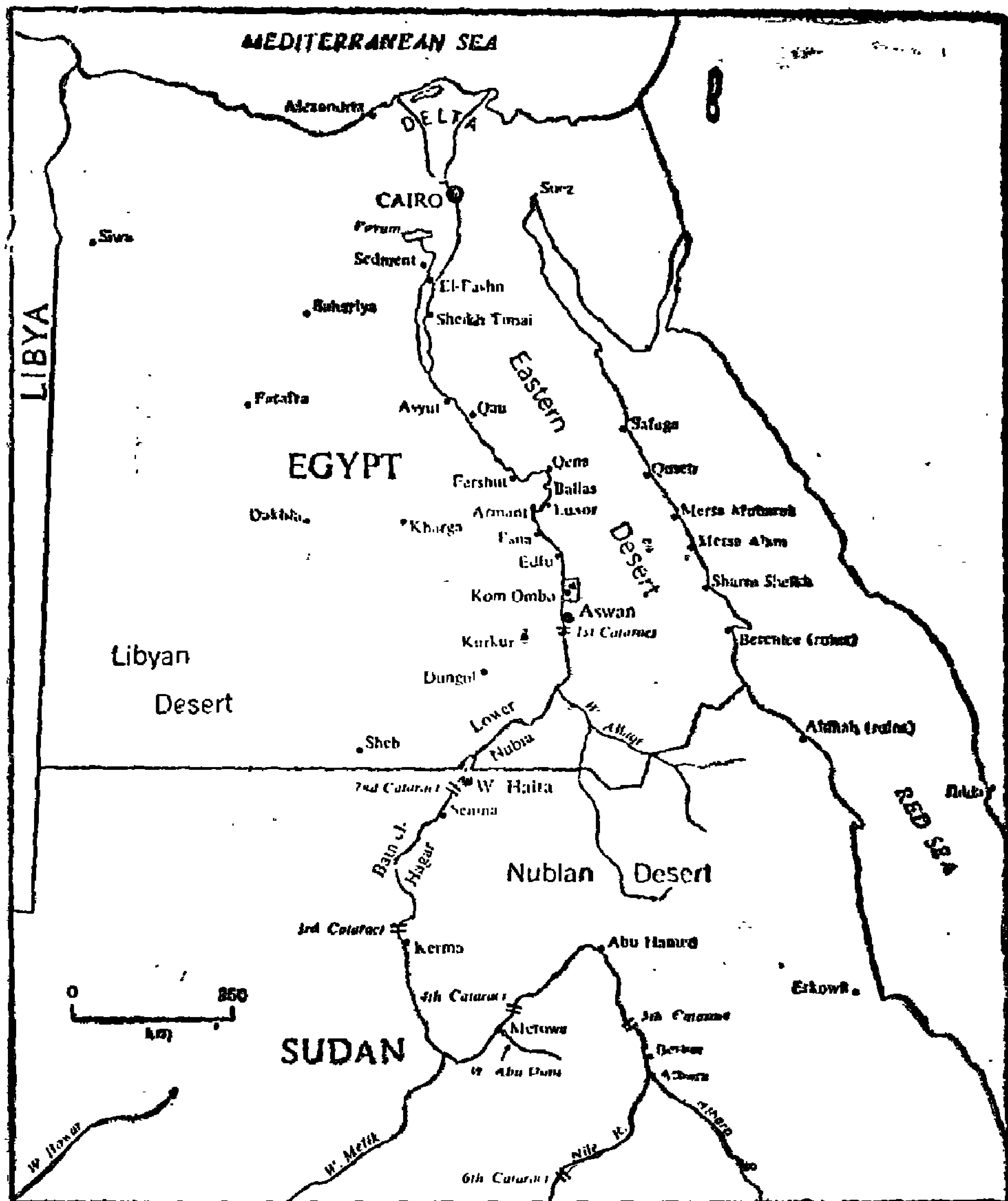
The probleme raised by the present state of investigations in Northern Africa fall naturally into three main classes, the first concerned with the origin and spread of the earliest type of industrial activity expressed in stone-work, and more particularly by hand-axes, involves such questions as a date and place of origin, direction and nature of spread, and its duration, the second and third are concerned in a similar way with the industries associated respectively with Neanderthaloids and modern Homo sapiens. While the final and perhaps most complex problem is that of the origin and spread of foodproducing economies which herald the end of the Stone Age and the beginning of the general use of metal [3].

---

(1) Sandford, K.S. : Paleolithic Man the Nile Valley in Upper and Middle Egypt. Chicago, The Univ. of Chicago Press, 1934.

(2) Ibid, p. 121.

(3) McBurney, C.B.M. : The Stone Age of Northern Africa. London, Penguing Books, 1960, p. 61.



Map 1--Location Map of Egypt and Northern Sudan.

in North Africa (1).

The main fossil-bearing regions of the continent of Africa are the Western and Great Rift Valley areas of east Africa, the Maghreb, certain locations in South Africa and a few isolated localities in Egypt. Paleocological studies show that the climate of the Miocene was in general more uniform than that of the Quarternary. These humid equable conditions permitted the spread of extensive forests in Africa

(1) Isa, Glynn LI. et la (ed.) : Human origins. Louis Leakey and the East Africa Evidence. London, Benjamin Inc. 1967, p. 4.

I hope that I was and will be hardly the best sincere man to him. There is no need for me so say much about those of Ghallab, M.E.'s writings in geography and anthropology. I first met Prof. Ghallab, M.S. in January 1966, a few days after he had arrived from Khartoum to occupy the chair of Geography and Anthropology in our Institute in Cairo but that is another story. On the other hand no one could complain about the precision of his exposition when herefound (with the kindness and helpfull aid of Prof. Hassan Ismail) the Institute of African Research and Studies. He is in fact vigorous, ambitious and possessive to write many books, papers and translations into arabic in Physical Geography and Anthropology. He is -in fact- as I have saw, is immersely kind, he undoubtedly helped create the intellectual clinate of his day-both within and outside his subject-to an extent which I believe no other Egyptian Geographist of this century has done. His own opinions, right or wrong, were usually founded on facts which were open to all, as his heart. In fact he had left his marks on every one in our Institute.

I know, I speak for all who attended the Institute of African Research and Studies in Cairo in the period 1966-1974 and after that 1978-1979, when I express to Professor Ghallab, M.S. the deeply and most wormed thanks for the far-reaching researches he was able to encourage us to make in a rich and full days of life. God safe him and his family.

Introduction

North East Africa is one of the four main areas in africa, which the ancient man of prehistoric period and his civilization was take place, the other areas are : North West Africa, East Africa and South Africa. This paper is a study of the prehistoric man and his civilization in this area. The study will try to make light on the subject from four points : some geographical and ecological features; the evolution of Man in Egypt; human industries and civilization in early Egypt; and ancient Man and his civilization in Northern Sudan, (Map 1).

Since evolutionary theory shows how the hominid line derives from an arboreal ancestor, and the chimpanzee and the gorilla are both forest dwellers, it might be in the forested, or formerly forested regions of Africa that the fossil forms intermediate between ape and man will be mostly found. Very important fossil material is known from Fayum depression in Egypt, showing, the extent to which the forests had been able to spread during the mid-Tertiary in a region that is now desert

مقال : « المجموعة الكيبوانية للباحث . مجلة الدراســات الافريقية ، ١٩٧٧ ») ، وهى التى أرجعها جرابهام .Grabham,G. W (١٩٣٨) ، الى فترة ترجع الى ما بين ٥ ــ ١٠ آلاف سنة مضت .

من كل هذا نخلص الى نتيجتين هامتين هما : ان هذه الحضارات التى شهدها القسم الشمالى الشرقى من افريقيا ، وبتحديد اكثر فى وادى النيل الاوسط والادنى خلال عصر ما قبل التاريخ ، كانت هى الاساس والارهاصات الاولى للحضــارة القديمــة والحضــارات المتتابعة بالقــارة الافريقية ، وانها من أقدم ــ ان لم تكن أقدم ــ حضارات الانســان .

والنتيجة الثانية هى أن هذه الحضارة وامداداتها المنتشرة والمختلفة والمتعاقبة كانت تمثل نمطا حضاريا واحدا ، اى أن التقسيم الحضارى والثقافى لافريقيا الحديثة والمعاصرة وهو الذى يجعل من معظم وادى النيل اقليما حضاريا واحدا ، له اساس عميق وجذور متينة تمتد الى عصر ما قبل التاريخ ، وان هذه الحضارة تعد ــ بالقطع ــ أعرق واطول حضارة انسان شهدتها القارة الافريقية ، بل ربما العالم .

Preface :

This paper is written on the honour of Prof. M.S. Ghallab, Proffessor of Geography and Anthropology and the Dean of the Institute of African Research and Studies, on his retired in Oct. 1979.

Prof. Ghallab, M.S. of the University of Cairo must be both a legend and a myth, with his scholers and fellows Geographiologists and Anthropologists, he has a legend for producing sound and useful translations into Arabic of many useful and good books published in Europe and America. For a large segment of the public he was the Demographian (with his fellow Prof. Hakim, M.S.) of Egypt, because of a high school texbook of great acceptance betwen both fields of Geography and Anthropology in Egypt and the Middle-East. Within academic circles he became a myth of kindness and helpfulness and as a promoter who could raise a high and concentrated studies by rapporting our Institute, and raise financial sapport for studies seeming remote in time and space.

This is Prof. Ghallab, who that I am one of his students and colleagues. He had an extremely courage opened gates of opportunity to many of this colleagues to have work in the Institute of African Research and Studies in University of Cairo. They in fact preserve, for him, a great respect and love, the writer of this paper give his word that he by all means has in his heart a great love to his Professor, whom he writes this paper to honour him in his sixty birthday (June 1979).

ولقد عثر على حضارات كثيرة (آلات حجرية واواني فخارية) فى عدة مواضع فى الدلتا وغربها (مرمدة) وعند بدايتها (حلوان والمعادى) يدور تاريخها مع حضارة الفيوم حول ٤٥٠٠ق.م. ، وهى حضارة تسبق وتمهد لحضارات تاريخية لاحقة ، عثر عليها فى البدارى (حوالى ٤ آلاف ق.م.) ، وجرزة (٣٤٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م) وغيرها ، وكلها مهدت لقيام عصر الاسرات والملكة القديمة المصرية .

ومن الكشوف ذات القيمة ، ما عثرت عليه كيتون طومسون Caton-Thomson, G. (١٩٣٠ ـ ١٩٣١) فى الواحات الخارجة ، بعد ان كانت قد تابعت مع جاردنار (١٩٢٤ ، ١٩٢٨) كشوفه فى شمال الفيوم عن حضارات عصر ما قبل التاريخ مبعوثين من الجمعية الملكية الانثروبولوجية فى لندن ، وقد ساهم بعد ذلك المصريين بجهودهم فى هذا المجال (العمرى ، عامر ، حزين ، رزقانه ، .. الخ) ومازالوا ، وهم الذين وضعوا الكثير من النظريات التى القت الضوء على كثير من المشكلات كالعلاقة بين مدرجات وادى النيل واطوار تذبذب البحر المتوسط ، وعلاقة حضارات ما قبل التاريخ بالحضارات المجاورة وبالحضارات اللاحقة لها فى مصر وغير ذلك .

هذا ولقد ارتبطت حضارة السودان بالحضارة المصرية منذ فجرهما، خلال عصر ما قبل التاريخ ، اكدت ذلك الكشوف التى قام بها فلندرز بترى وبرستد (١٩٠٥ ـ ١٩٠٧) وآركل (١٩٤٩) ، واوضحت أن الحضارة التى افرخت مروى ومملكتها (٧٠٠ ق.م ـ ٣٥٠م) بالقرب من موقع الخرطوم الحالى ، كانت لها جذورا عميقة فى التاريخ السودانى والافريقى ، وأنها كانت على صلة بحضارة مصر خاصة نمط الفيوم والثقافة السبيلية .

ولقد كانت لهذه الكشوف السودانية دور بارز فى ايضاح ـ نتيجة لتأكد انتماء العظام التى عثر عليها أركل بجوار الخط الحديدى الى السلالة الزنجية ـ أن أصل هذه السلالة ونشأتها قديمة وعريقة وفى القارة الافريقية بالتحديد ، هذا ويرجح ما كبيرنى ، أن حضارة الخرطوم هذه ترجع الى ٣٢٥٣ ق .م (± ٢٩٥) ، وقد تعرضة جمجمة الخرطوم تلك ، لاجتهادات كثير من الباحثين ، فهى عند آركل لسلالة زنجية ، أما تشارلس كون Coon, C.S. (١٩٦٣) فيعتقد انها من سلالة حامية مختلطة بأخرى زنجية ، وأنها ليست زنجية صرفة .

وايا كانت الآراء بخصوص الدماء الزنجية فى هذه الجمجمة ، فان الاتفاق تام بين الجميع على ان اصحابها هم الذين انشئوا الحضارة القديمة فى السودان ، وانهم كانوا على صلة قوية بمصر .

ومن الكشوف الاخرى الهامة ، ما عثر عليه بوند Bond, W. R. (١٩٢٤) من جمجمة سنجا ، وهى لانسان من السلالة الكيبوانية (راجع

جفريات يقال انها لبعض من اسلاف الانسان القديم (من الفيوم) ، كما عثر أيضا على حفرية أخرى من عصر الميوسين فى واحة المغارة فى الصحراء الغربية المصرية ، وبذلك : يمكن ان يكون لشمال أفريقيا ذات الاهمية الكبيرة التى تمثلها شرق افريقيا ، وذلك بفضل الكشوف التى ترجع الى البلايستوسين الاسفل فى كل من الاقليمين .

ومن هذه الدراسات ومن دراسة احوال سهول وهضاب الصحراء الغربية فى مصر ، التى كانت صحراء منذ عصور جيولوجية طويلة ، امكن دراسة الاحوال الجغرافية والايكولوجية القديمة خلال عصر ما قبل التاريخ ، ومن الدراسات القيمة ، تلك التى قام بها حزين (١٩٤١) وربط فيها بين الفترات المطيرة وبين الحضارات الجرية والتاريخ الزمانى .

ولقد دلت القياسات والملاحظات الانثروبومترية والانثروبوسكوبية (كولمان Kollmann, J. ١٩٠٣ ، بياسوتى Biassutti, R. ١٩٠٥) على وجود بعض صفات الاقزام وصفات الكيبوانيين (البوشمن والهوتنتوت) فى الجينبول المصرى ، ولقد لاحظ ذلك كاتب هذا المقال بنفسه ايضا (١٩٧٨) فى الواحات البحرية فى الصحراء الغربية المصرية (راجع مقال : المجموعة الكيبوانية مجلة الدراسات الافريقية . ع ٦ ، ١٩٧٧)

وتبعا لرأى توينبى Toynbee, A.S. (١٩٦٢) ، لم يكن فى افريقيا من المراكز الحضارية الرئيسية من بين الـ ٢١ مركزا التى عددها فى العالم ، سوى مصر ، التى كانت تتصل بها باقى المراكز الافريقية التى لحقتها بزمن تال فى عدة مناطق من القارة ، بل أنه من المقطوع به ان كل الحضارات التالية لحضارة ما قبل التاريخ المصرية سواء من عصر الحديد أو من العصور اللاحقة فى كل من اوربا وآسيا ، كانت على صلة ما بتلك الحضارة المصرية (شارد . ١٩٧٥) ، الذى يذكر أن مصر كانت من ست بيئات عالمية ، ظهرت فيها المدنية (بضم الميم وفتحها ، على حد سواء) بصورة مستقلة .

ولقد كانت حضارة الفيوم (٤٥٠٠ ق.م.) اول حضارة صنعت الفخار ، كما عرفت زراعة الشعير والحنطة emmer فى هذه الفترة المبكرة (٥٠٠٠ ق.م) ، كما انتشرت الثقافة (الحضارة = عدة مظاهر ثقافية x زمان ومكان معينين راجع للباحث كتاب مقدمة فى الانتروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية. القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٢، ص٢٦) المجدلينية السبيلية (عصر البليستوسين المبكر والاوسط) فى مصر العليا وفى المنطقة الممتدة من وادى النيل غربا الى الواحات الخارجة . هذا وكان لنهر النيل دور واضح ، غير مساعدته المباشرة فى قيام الزراعة ، اذ عمل منذ وقت مبكر على ربط المراكز الحضرية والحضارية المصرية على طول جانبيه ، بصورة لم تتكرر فى الشرق الاوسط (شارد ١٩٧٥) ولا فى افريقيا ، وكان ذلك لملاءمة ظروف البيئة (المناخ ـ الارض ـ النيل ...) منذ حوالى ٥ آلاف سنة قبل الميلاد ، وكانت هذه بداية انتشار الحضارة المصرية خارج البيئة المحلية الضيقة ، الى آفاق بعيدة (قال اليوت سميث ١٩٢٣ ، ان اصل البولينيزيين من مصر ؟) .

وتكشف عما فى داخلها من كنوز (كشوف : برستد ، ساندفورد وآركل ، بوتزر ، .. الخ) ، ولقد أسهمت بالكثير فى كشف النقـاب عن أسرار وغوامض فترة هامة من تاريخ الانسان البيولوجى والثقافى .

وتتركز مشكلات البحث الثقافى حاليا فى شمال افريقيا لفترة ماقبل التاريخ ، فى ثلاث نقاط : الاولى أصل نمط الالات الحجرية الاولى وعظم انتشارها ، والثانية اتجاهات انتشـارها ، والثالثة تشـابهها مع الالات الخاصة بالانسان الحديث وآلاته ، وعند ماكبيرنى McBurney, C.B.M. (١٩٦٠) أن عظم انتشار اقتصاد انتاج الغذاء (بالزراعة والرعى) بدلا من الصيد ، يحدد نهاية العصر الحجرى وبداية عصر استعمال المعدن بصفة عـامة .

ولقد بدأ الاهتمام بدراسة آثار ما قبل التاريخ فى مصر عندما وجه هيوم Hume, W.F. الانظار اليها ، وبناء على اهتمام كينث سـتيوارت Stwart, K. أخذ ساندفورد Sandford, K. S. يدرس التغيرات التى حدثت وحولت المنطقة من اقليم ممطر الى آخر جاف وصحراء ، ففى خلال اوائل البلايستوسين والفترات الدفيئة من البلايستوسين الاوسط كانت مناطق جنوب وغرب اوربا ذات مناخ مدارى ومرتبطـة باراضى الشرق الاوسط بمعابر ارضية ، بحيث كانت الانواع الحيوية الاسيوية كانت سائدة فى اوربا اكثر من الانواع الافريقية .

وخلال العصور المطيرة كانت تسقط على الصحراء الافريقية امطارا غزيرة ، حيث كانت بحيرة تشاد الصغيرة الان ؛ بحـيرة عظيمة الاتسـاع والعمق ، بحيث كانت تصل شرقا الى خانق سبلوقة شمال الخرطوم ، وكانت هذه المسطحات المائية التى كانت واسعة الانتشار تحدد حركـة الانسان والحيوان فى مسـالك معينـة هى المرتفعـات ، ولكن بعد عصر البليستوسين اخذت البحيرات والمستنقعات فى الجفـاف مما جعل شرق افريقيا تستقبل اكثر من حركة انسانية قادمة من الشمال .

ولقد كشفت اودية الصحراء الشرقية فى مصر على انها كانت تحمل المصدر الاكبر من المياه التى كانت تصل الصحراء خلال البليستوسين ، اتضح ذلك خاصة من دراسة الطمى السبيلى فى كوم امبو والنوبة . ويذكر آرامبوج Arambourg, G. أنه يوجد فى شمال افريقيا نوعين مختلفين من التكوينات ، الاولى اسماه « تكوينات الاطلس » والاخرى « منطقـة الصحراء » ، ويبدو أن أفضل تلخيص للظروف الجغرافية لوادى النيل خلال البليستوسين والحضارات الحجرية المصاحبة لها هو ما قام به بوتزر Butzer, K. W. (١٩٦٤) ، هذا وترتبط مشكلة مدرجات النيل بأدوار ارتفاع وانخفاض البحر المتوسط ، وقـد امكن الربط بين اكثر من دور ومدرج (حزين — ١٩٤١) .

ولقد كان لمصر دور ملموس فى الكشوف الانثروبولوجية للانسـان القديم ، وانسان ما قبل التاريخ من النوع العاقل ، وايضا قدمت مصر

SIDE LIGHTS UPON PREHISTORIC MAN AND HIS CIVILIZATION IN NORTH EASTERN AFRICA

FAROUK A. GAWAD M. SHEWIKA (*)

Key Words : Prehistory, Man, NE Africa (**)

Abstract in Arabic

«بعض الأضواء على انسان ما قبل التاريخ وحضارته فى شمال شرق افريقيا»

فاروق عبد الجواد م. شويقة

الكلمات الدالة : ما قبل التاريخ ، الانسان ، ش.ش. افريقيا

تقديم :

كتبت هذه الدراسة على شرف السيد الاستاذ الدكتور محمد السيد غلاب بمناسبة بلوغ سيادته سن الستين (يونيو ١٩٧٩) واعتزاله العمل الادارى الجامعى كعميد لمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة (اكتوبر ١٩٧٩) ، بعد أن ساهم فى وضع خطة احياء المعهد (١٩٧٠) وعمل على تنفيذها كعميدا له (١٩٧١ – ١٩٧٥) ، ثم واصل الكفاح (١٩٧٨/١٩٧٩) أيضا أثناء عمادته الاخيرة .

والدراسة المعروضة تدخل فى مجال اهتمام المحتفى به ، موضوعا واقليما ، اذ أن لسيادته الكثير من الدراسات فى عصر ما قبل التاريخ فى هذا الاقليم وما حوله ، هذا ويسجل المؤلف ، عرفانه الدائم لسيادته ، لما قدمه لتلاميذه وزملائه من الجغرافيين والانثروبولوجيين . أحسن الله اليه ، وأطال بقاءه بصحة وهناء .

مستخلص للدراسة

تعتبر منطقة شمال شرق افريقيا احدى المناطق الأربع الرئيسية فى افريقيا التى عمرها انسان ما قبل التاريخ بحضارته ، ولقد شهدت منذ القرن الماضى الكثير من الحفائر والكشوف والبحوث ، ومازالت تشهد

(*) Assistant Professor of Anthropology and acting head of the Department, Institute of African Research and Studies, University of Cairo.

(x) The number of the subject of this paper is, according to :
L.C.C. Class G 3rd ed. GN784.7
D.D.C. 19th. ed. 573.361.
B.C. LA : VA : VAS.

CONTENTS

Editor : Prof. Dr. M. SOUDI

Secretary : Dr. S. EL-BADAWY

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :

Prof. Dr. M. SOUDI

33 Mesaha Str. Dokky, Cairo Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 8 1979

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.
33 Mesaha Str. Dokky, Cairo, Egypt

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 8 1979

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University.
33 Mesaha Str. Dokky, Cairo Egypt